لغة الخطاب التاريخي
من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري
(دراسة استقرائية تحليلية)

دكتور/ عبد الله شعف عماش الحربي
دكتوراة في اللغة العربية (اللغة والنحو)

المستخلص:

يتناول هذا البحث لغة الخطاب التاريخي عبر دراسة عينة منتقاة من أمهات المصنفات التاريخية من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري في ضوء عدد من المحاور هي: المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والأعلام والألقاب والكنى، والوصف الخرائطي. والهدف الرئيس من البحث في هذا الموضوع هو اكتشاف أهم ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها المميزة. وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: لغة الخطاب التاريخي، المباني النحوية، معجم الحرب، الأعلام الألقاب، الوصف الخرائطي، ألفاظ الرواية، خصائص..

This research deals with the language of historical discourse by studying a selected sample of the mothers of historical works from the third to the eighth centuries AH in light of a number of axes: the syntactic buildings, the expressions of the historical novel, the dictionary of the war machine, the flags, titles and nicknames, and the cartographic description. The main objective of research on this topic is to discover the most important features of the language of historical discourse and its distinctive characteristics. This study followed the descriptive and analytical approach.

أولا: المقدمة:

قصر كثير من الباحثين اللغويين في هذا العصر دراساتهم وأبحاثهم على الموروث اللغوي الذي خلفه لنا الأسلاف من علماء اللغة العربية، فإذا كانت الدراسات اللغوية التي تناولت المصنفات المتخصصة في علوم اللغة العربية قد حظيت بالنصيب الوافر من اهتمام اللغويين وعنايتهم، فإن مما يؤسف أن ذلك الاهتمام لم يتعد إلى غيرها من المصنفات الأخرى في موروثنا الثقافي، وقد ترتب على ذلك زهد كثير من الباحثين في دراسة كنوز لغوية عظيمة في تراثنا العربي؛ فقط لكونها وجدت خارج اهتمامات اللغويين.

وبمرور الزمن، ترسخ خطأً في الأدبيات العربية أن اللغة هي أقوال الرجال على الرجال، متناسين بذلك مجالات عدة يمكن للدراسات اللغوية خوض غمارها، وسبر أغوارها. وصار حالهم في هذا الشأن كحال قوم أدركهم العطش حتى كاد يفنيهم، فجدوا في طلب الماء حتى وقعوا على بئر نزيحة، فتهافتوا عليها، فمنهم من أدرك رشفة، ومنهم من ملأ كفه، ومنهم من أروى ظمأه، ومنهم من لم يبلغ الماء أطراف حلقه. لكن البعض لم يعجبه هذا الزحام، فجد واجتهد حتى وقع على نهر فياض لا يبعد عن تلك البئر شيئاً، فأقبل عليه يعب وينهل، ويدعو أصحابه إلى الورود عليه، وترك تلك البئر التي إن لم تكن قد نضبت، فإن الزحام حولها مؤذن بجفاف قريب لها.

وقد سعيت في هذه الدراسة إلى طرق باب آخر من أبواب الدراسات اللغوية، تمثل في دراسة المصنفات التاريخية التي دونها عدد من المؤرخين العرب في مدة امتدت نحوا من خمسة قرون، للتعرف إلى لغة الخطاب التاريخي التي سادت في تلك المصنفات، واكتشاف ملامحها وأهم خصائصها. وحرصت على أن تكون النصوص المتناولة تمثل خمسة قرون مختلفة، من القرن الثالث حتى الثامن الهجري، ليكون كشف خصائص لغة الخطاب التاريخي أيسر وأقرب، وليكون تعميم النتائج المتوقع التوصل إليها على الفترة الزمنية المحددة مقبولا.

ثانيا: أهداف الدراسة:

١- الإسهام بفتح آفاق جديدة في البحث اللغوي العربي.

٢- التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأبرز خصائصها.

٣- بحث المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي على المستويين الداخلي والخارجي.
٤- دراسة العلاقة بين لغة الخطاب التاريخي وألفاظ الرواية التاريخية.
٥- اكتشاف أهم الألفاظ التي استعملها المؤرخون العرب من معجم الآلة الحربية.
٦- معرفة صور استعمالات الأعلام والألقاب والكنى لدى المؤرخين.
٧- التعرف إلى أسلوب الوصف الخرائطي ودواعي استخدامه لدى المؤرخين العرب.

ثالثا: مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها في مصنفات المؤرخين العرب في الفترة من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري، عبر دراسة النصوص التي تطرقت إلى معركة (عمورية)، ورصد بعض الظواهر اللغوية، لاسيما المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والوصف الخرائطي.

رابعا: منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد سرت فيها وفق المنهجية الآتية:

١- تحديد حادثة تاريخية لتكون نواة لعينة الدراسة (معركة عمورية). والسبب في هذا التحديد هو الرغبة في تتبع لغة الخطاب التاريخي، إذ يتشكل جزء كبير من تلك اللغة على يد المؤرخين، ولن تظهر ملامح تلك اللغة بوضوح في القصص التي تنقل بروايات تاريخية متواترة؛ لأنها ستنقل بأسلوب صائغ الرواية، دون أن تكون هناك فرصة لظهور ملامح لغة الخطاب التاريخي.
٢- تتبع هذه الحادثة التاريخية المختارة (معركة عمورية) في كتب بعض المؤرخين. وقد تتبعت الدراسة ما جاء عن هذه الحادثة عند خمسه من المؤرخين وهم على الترتيب: (الطبري، والمسعودي، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن كثير).
٣- رصد أهم الظواهر اللغوية، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها، وذلك عبر دراسة النصوص عينة الدراسة بمعية المجالات الآتية:
- المباني النحوية.
- ألفاظ الرواية التاريخية.

– معجم الآلة الحربية (الحرب).
– الأعلام والألقاب والكنى.
– الوصف الخرائطي.

٤– تدوين النتائج التي توصلت إليها الدراسة، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها.

والمصنفات التي تناولتها الدراسة هي:

– تاريخ الرسل والملوك للطبري (القرن الثالث الهجري).
– مروج الذهب للمسعودي (القرن الرابع الهجري).
– المنتظم في تاريخ الملوك لابن الجوزي (القرن السادس الهجري).
– الكامل في التاريخ لابن الأثير (القرن السابع الهجري).
– البداية والنهاية لابن كثير (القرن الثامن الهجري).

خامسا: أسئلة الدراسة:

هنالك أسئلة رئيسية تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها، وهي:

١– ما هي ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها؟

٢– ما أهم الألفاظ الواردة في مصنفات المؤرخين العرب التي يمكن اعتبارها ضمن المعجم العسكري العربي؟

٣– ما المنهج الذي تعامل به المؤرخون العرب مع الروايات التاريخية وأسانيدها في مصنفاتهم؟

٤– ما أهم الألفاظ التي كانت سائدة في الوصف الخرائطي في المصنفات التاريخية العربية؟ وما هي الأدوات التي استخدمت للتعبير عن هذا الوصف؟

٥– ما الارتباط الموجود بين ألفاظ الوصف الخرائطي وبين لغة الخطاب التاريخي في المصنفات التاريخية العربية؟

٦– كيف تعامل المؤرخون العرب مع الأعلام والألقاب والكنى عند تناولهم للمادة التاريخية؟

سادسا: الدراسات السابقة:

من الصعوبات التي واجهتها عند التحضير لهذه الدراسة هو ندرة الدراسات التي تطرقت بصورة مباشرة إلى بحث لغة الخطاب التاريخي، وقد توصلت إلى عدد من

الدراسات العلمية التي ناقشت موضوعات تتصل بموضوع دراستي هذه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومنها:

١- دراسة أحمد يوسف (٢٠٠٥). النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية. أظهرت الدراسة أن الفرضيات التي بسطها النحاة الجدد في صرامتها العلمية وتطبيقاتها الحرفية لا تكتسي على جميع الألسن التي تشترك في محيط واحد، ولكن تكمن- أيضا- في الطابع الإجرائي الكامن وراء تلك الدعاوى التي ثارت على تقاليد البحث اللغوي السائد في مطلع القرن التاسع عشر؛ وليس أدل على ذلك أنهم أبعدوا تلك المعتقدات الخاصة بسلسلة من الصلات الصوتية المشتركة بين الكلمات للغتين أو أكثر دون أن تقع في محظور الاستثناءات التي كانت تعترض سبيل الفليلولوجيا. ومن ثم، كانوا يقتربون شيئا فشيئا من فكرة "النسق" système التي بلورتها فيما بعد لسانيات دو سوسير وكذلك فكرة "العمومية" généralité التي صارت صفة لموصوف اللسانيات. وتبين من الدراسة أن المسائل الكبرى التي تطرق لها النحاة الجدد لم تفقد كل راهنيتها في الدراسات اللسانية المعاصرة وإن اتسمت بغياب المتصورات النسقية التي يعود الفضل لدو سوسير في إرساء قواعدها؛ ولهذا ليس من الموضوعية في شيء أن يقلل المرء من إسهاماتهم في فتح آفاق جديدة للسانيات الوصفية المعاصرة التي لم تول ظهرها لبعض القضايا التي كانت مطروحة من قبل. ومن أهم نتائج الدراسة أن اللسانيات التاريخية سعت سعيا حثيثا إلى وصف تطور الأشكال اللغوية أملا في الوقوف على القواعد التي تحكمها من جهة، وكذا صوغ منطق تطور المعنى الذي صار قبلة الدلاليات والسيميائية.

٢- دراسة إبراهيم خليل (٢٠٠٧). في اللّسانيّات ونحو النّصّ. أظهرت الدراسة أن الكلام المنطوق يمثل طبيعة اللغة، وجوهرها، تمثيلا يفوق بدرجات تمثيل الكتابة. فالانفعال والتعاطف والتوكيد والتنغيم أمور لا يكشفها الكلام المكتوب، وتستعرض نموذج سوسير الذي يربط الدراسة اللسانية بعلوم عدة هي: علم الصوتيات، الصرف، علم الدلالة، النحو، علم النص. وتستعرض الدراسة تاريخ الصوت اللغوي وبعض العلماء العرب الذين اهتموا بهذا المجال. وتبين الدراسة أن الصرف متصل اتصالا وثيقا بالصوتيات، لا سيما بالجانب الفونولوجي، فأي إجراء صرفي يلحق بالجذر لا بد أن يصحبه تغيير في البنية الصوتية له. ومن أهم نتائج الدراسة أن ثمة تشابكا بين

المستويين الصرفي والصوتي، وتداخلا بين النحو والصرف، فاللغة تتألف من نظام متعدد: صوتي وصرفي ونحوي ومعجمي لا يمكن إنكار ما بين مستوياتها المتعددة من الترابط والوحدة.

٣- دراسة محمد جنتي فر (٢٠١٢). تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه. أظهرت الدراسة أن دراسة العلاقات التاريخية والثقافية للغة والآداب القومية في علاقاتها باللغة والآداب عند الشعوب الأخرى من القضايا المهمة والمنظورة منذ القدم، وأن مجالات هذا التأثير المتبادل يمكن أن تتناسب مع قضايا اجتماعية وثقافية ودينية وأدبيه ولغوية مختلفة. وتطرقت الدراسة إلى المجال اللغوي ولاسيما مجال التعامل بين اللغتين العربية والفارسية من خلال تناول التغييرات الصوتية والدلالية للمفردات العربية في تاريخ البيهقي بأسلوب وصفي تحليلي وتاريخي. وبينت أن اللغة العربية باعتبارها لغة المبدأ (الأصل) جعلت أساليب اللغة المقصودة أي اللغة الفارسية ولاسيما في مجال المفردات تواجه تحولات وأزمات عدة.

٤- دراسة حنان إسماعيل العمايرة (٢٠١٣). تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي – مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري. هدفت الدراسة إلى رصد ملامح من التطور اللغوي، الماثل في تغير الأنماط التعبيرية اليوم عما كان يمثل عرفا لغويا في الأمس، والتي هي مجموعة من التراكيب اللغوية التي تنظر المعيارية إليها على أنها (ثوابت) حفظت للغة بقاءها وسيلة تواصل بين متحدثيها في مختلف الأزمنة والأمكنة. وتوقفت الدراسة عند كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري والتقطت منه عددا من الأنماط التركيبية اللغوية التي قامت فرضية هذه الدراسة عليها، إضافة إلى التقاط أنماط أخرى من لغة القرآن الكريم، ورصد هذه الأنماط الصحيحة لغويا لتبيان ما آلت إليه في الاستعمال اللغوي الحديث. وتوصلت الدراسة إلى وصف النظرة الحديثة إلى هذه التراكيب من خلال تضمينها في استبانة أجاب عنها خمسون متخصصا في اللغة العربية من طلبة السنة الرابعة، وموضوع الاستبانة هو التراكيب ومدى صحتها في نظرهم. وأسفرت نتائج الاستبانة عن تقييم المستبينين لكثير من هذه الأنماط على أنها (خطأ) أو (ركيكة). وهي في واقع الحال تمثل جزءا من صميم الثابت الصحيح في التراث اللغوي الفصيح وفي هذا ما يشير إلى فجوة حاصلة بين كثير من التراكيب اللغوية المعيارية وما آل إليه الذوق الحديث في

استخدامها. كما يدعو ذلك إلى اتخاذ موقف من هذه الانزياحات اللغوية التي ترتب عليها جعل الصحيح الفصيح مستهجنا أو ركيكا أو خطأ.

٥- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٤). القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية. تؤسس هذه الدراسة لقراءة نقدية تستطلع قوى الهيمنة المؤلفة للنصوص الأدبية على وجه دون آخر، وترصد الطرق الأسلوبية التي تضاعف دلالات البنى وتكسب النصوص الأدبية لذتها وفتنتها وسلطتها وتكون مسؤولة عن أدبية الأدب، وتفسح المجال لتطوير الوعي الثقافي من جيل إلى آخر. وتبين الدراسة أنّ القراءة النقدية تضع الناقد أمام رسالته الحضارية لكي يتسنى له إعادة إنتاج الثقافة وتحويلها إلى أقصى درجات الوعي لمواكبة المناهج النقدية في عالم متغير. وتكشف أنّ النظرية الأسلوبية تحظى بموقع متفرد في النقد الحديث وتتمتع بطرق جمالية تسهم في قراءة النص الأدبي وبيان دلالاته وتجلياته. وتبيّن من خلال الدراسة أنّ النظرية الأسلوبية تعتمد على استراتيجيات بسطت نفوذها في مقاربة النص الأدبي وهي: الاختيار الأسلوبي، والتكرار الأسلوبي والبنية المهيمنة والاستبدال والمفعول الإيحائي والمبدع والرسالة والمتلقي.

٦- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٦). المناهج الأسلوبية والنظريات النصية. أظهرت الدراسة أن الأسلوبية صارت أسلوبيات، وترتب على ذلك اختلاف المناهج الأسلوبية في قراءة النص الأدبي، فقد تجاذبتها عناصر الثالوث النقدي (المبدع والنص والمتلقي)، وشكلت منطلقاتها في استطلاع فرادة النص الأدبي وبيان تجلياته المائزة. وبينت أن الجامع النصي بين المناهج الأسلوبية النظر للأسلوب على أنه عالم من الفرادة وتوظيف للغة على نحو خاص واختيار من البدائل اللغوية وبحث عن المعاني الإضافية (الفائض الدلالي). وكشفت أن الأسلوبية استراتيجية لاكتناه قوى إنتاج الدلالة التي تفجر طاقات اللغة وتموقع عناصرها في مواقع جمالية لم تعهد. وأظهرت أن النص الأدبي نسيج متماسك تتجاذبه (اللذة والمتعة والفراغ المعرفي ومجهول البيان وبؤر التوتر)، ويجتاح مواقع المؤتلف نحو بناء مختلف يقوده العدول المؤسس على الفرادة.

٧- دراسة علي زواري وأمجد بلخضر (٢٠١٧). منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق. تتطرق الدراسة إلى المنهج التحليلي الأسلوبي وإشكالية التطبيق، الذي تبرز إشكاليته في بيان الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء مقاربته النصوص

الأدبية بالمنهج الأسلوبي وما يعتمد عليه من آليات وإجراءات أثناء تطبيقها. وسعت الدراسة إلى إبراز أهم النقاط المتعلقة بفك هذا الإشكال، انطلاقا من تقرير المنهج الأسلوبي وأهميته، ثمّ التعريج على علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى، والاختلاف في بعض المصطلحات في علم الأسلوب، ما أدى إلى اختلاف المنطلقات أثناء التحليل. وأظهرت الدراسة أبرز الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء التطبيق، وأهم الأسباب الكامنة وراء ذلك.

٨- دراسة عبد الرحمن حاج علي (٢٠١٧). أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. واشتملت على محورين أساسيين: المحور الأول تناول " الأسلوب" مصطلحاً نقدياً، في حين تطرق المحور الثاني إلى مدى تأثير المصطلح في قراءة النصوص التراثية وفق النظريات النقدية المعاصرة. وأظهرت الدراسة أن الكثير من النقاد المحدثين لم يتطرقوا إلى معالجة وتحليل التراث الأدبي واللغوي لأسباب عدة، منها وجود صعوبة في إسقاط المصطلحات النقدية المعاصرة على الأعمال التراثية، وانتشار مصطلحات التّعمية على الدرس النقدي واللغوي بعد التوجه نحو الاستيراد والترجمة. وبينت أنه لما كان من الأهداف الرئيسية للنقد خدمة الأدب وتوجيه الكتابة الأدبية نحو الأفضل، كان لزاماً على الكتاب والمبدعين مسايرة التطورات الحاصلة في الساحة الإبداعية، لكنهم وجدوا أنفسهم يبتعدون عن المعايير التي نشأ عليها الأدب العربي، ما وسع الهوة بين التراث والمعاصرة وقطع حبل الوصال بينهما، ولم يبق للمهتمين بالتراث إلا بعض المحاولات لإيجاد مرادفات مناسبة نوعاً ما لقراءة بعض النصوص التراثية. كما أظهرت الدراسة أن الجهود المبذولة لا تزال تتصف بالشتات وعدم تحقيق الفعالية المرجوة في ظل افتقار الدرس النقدي واللغوي العربي لنظرية واضحة، وأنه من خلال قراءة النصوص التراثية وفق نظريات نقدية معاصرة تمّ تحوير وتطوير هذه النظريات لترتكز على أصول ثابتة وتنفتح على تطورات موضوعية مدروسة بعناية، لا تابعة لطوارئ مستوردة.

- **التعليق على الدراسات السابقة:**

استفاد الباحث من الدراسات السابقة من حيث المناهج المستخدمة فيها، والمراجع التي اعتمدت عليها، إضافة إلى البيانات والمعلومات التي وردت فيها. كما استفاد الباحث من النتائج والتوصيات والاقتراحات التي خرجت بها تلك الدراسات.

وركز الباحث في دراسته هذه على أمر لم تتطرق إليه معظم هذه الدراسات، وهو اكتشاف خصائص لغة الخطاب التاريخي عبر مدة طويلة امتدت نحوا من خمسة قرون، عبر دراسة نموذج تاريخي واحد ورد في مصنفات خمسة من المؤرخين العرب في عصور متفاوتة.

لغة الخطاب التاريخي من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري:

أولا: نص محمد بن جرير الطبري من كتابه تاريخ الأمم والملوك:

١- وصف النص:

أفرد الطبري في تاريخه فصلاً للحديث عن وقعه فتح عمورية وقد عنون له بـ"ذكر الخبر عن فتح عمورية"[١]، فأفاض الحديث وأطال في ذكر هذه الواقعة، وسرد أحداثها ومجرياتها، مسجلاً بذلك الكم الأكبر بين النصوص محل الدارسة في تناول هذه الحادثة، ولعل هذا الإطناب من الطبري في ذكر تفاصيل معركة عمورية نابع من كونه قريب عهد بها، فالروايات التاريخية تظهر أن فتح عمورية وقع في عام ٢٢٣ هـ، أي قبل ولادة الطبري بعام واحد فقط[٢]. ما جعله من معاصري هذا الحدث، أو على الأقل من معاصري آثاره وتبعاته.

وقد كان لهذه المعاصر أثر بالغ في تناول الطبري لمعركة فتح عمورية، فالحالة المعنوية التي كان يعشيها الناس في ذلك العصر –نظراً لقربهم من سنه الفتح– تجعل المؤرخ يتردد في تجاوز أدق التفاصيل المتعلقة بالحدث، ناهيك عن أجلها وأعظمها، لاسيما وأن الطبري لم يُسبق إلى توثيق هذه الحادثة إلا من قبل أبو الحسن البلاذري في ورقات موجزة[٣]، فكان يكتب وهو يعلم أنه الأصل الذي سيبني عليه من سيأتي بعده، وأنه الموثق الأول لهذه الواقعة، فتطلب ذلك منه هذا السرد والإطالة.

أضف إلى ذلك أن الطبري قد بنى تاريخه هذا على منهجية الاستفاضة والتقصي لأدق التفاصيل التاريخية، حتى وصف بأنه من أمهات كتب التاريخ المطولة، فلا عجب إذاً أن يفرد فصلاً بهذا القدر من التفصيل والسرد لوقعة عمورية مقارنة بالنصوص المدروسة الأخرى، حتى أنها كانت هي الحدث الأبرز عند حديثه عن أحداث سنة ٢٢٣ هـ.

٢- المباني النحوية:

تعد المباني النحوية (نحو المباني) تطورا إيجابيا لنحو القواعد الذي تقف حدوده عند النظر في أحكام أواخر الكلمات، فيما يفتح نحو المباني المجال واسعا أمام الباحثين للانتقال من طور القاعدة إلى طور الاستعمال[٤]، وكشف أحكام نظم الكلام، وأسرار

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : سير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٤.

[٣] : فتوح البلدان: ٢٠٣.

[٤] : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٢٣-٢٢٤، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، د. عبد النبي هماني: ٢٣.

تأليف العبارات، وفقه العربية[1]. وأنبه هنا إلى أن هذا المبحث من الدراسة يتناول وصف المباني النحوية فقط دون الخوض في جوانب أخرى تتعلق بدلالات وتداوليات تلك المباني، أو غيرهما من المواضيع التي يمكن بحثها في هذا الميدان، وذلك انسجاما مع المنهج الذي انتهجته وبينت ملامحه في مقدمة الدراسة.

ومن المهم هنا أن يتعرف القارئ على الأسباب التي دفعت الباحث إلى دراسة المباني النحوية في النصوص المتناولة، والتي تلخصها الأسئلة الآتية:

١- هل تميزت المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي عن غيرها من المباني النحوية الأخرى في لغات الخطاب المختلفة؟

٢- أي الجمل (الفعلية أم الاسمية) كان لها الحضور الأكبر في نصوص الخطاب التاريخي؟

٣- هل تنوع الحشو داخل المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي؟

٤- هل كان لأي فعل من الأفعال الثلاثة (ماضي - مضارع - أمر) مساحة حضور أكبر من البقية في لغة الخطاب التاريخي؟

وبنظرة فاحصة يكتشف الباحث في نص الطبري أن المباني النحوية قد تنوعت تنوعاً واضحاً وملحوظاً، فقد راوح المؤلف بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في هذا النص، حتى أنك لو قلبت طرفك يمنة ويسرة في النص لا تكاد تجد فقرة قد خلت من هذه المراوحة، مع تفاوت في نسبة حضور كل منهما في كل فترة من فقرات النص. بيد أن الجملة الفعلية سجلت حضوراً كبيراً وفاعلاً في هذا النص، فهي الحاضر الأكبر على فقرات النص، ولعل هذا الكم الكبير من الجمل الفعلية في النص مرده إلى طبيعة المادة المناقشة فيه، فالطبري هنا يناقش مادة تاريخية، أي: أحداث حصلت وانقضت في الزمان الغابر، وطالما أنه حدث فمن الطبيعي أن يكون الفعل أبلغ من الاسم في الدلالة على هذه الأحداث، وأعمق أثراً في نفس القارئ في التعبير عنها[2]. ولهذا السبب أيضاً كانت الغلبة في معركة الأفعال للفعل الماضي في النص بشكل واضح، حتى أنه لا يكاد يخلو سطر في النص من فعلين ماضيين على الأقل، يقابل هذا حضور على استحياء

[1] : إحياء النحو: ٣.

[2] : البحث النحوي عند الأصوليين، ١٤٧، دلالة الفعل على الزمن في ديوان النابغة الذبياني (حوليات آداب عين شمس)، ٤٥٣، دلالة الألفاظ: ٣٢، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٩١.

للفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر، إذ لم يرد في النص إلا نادرا نحو: "فخل"[١]، "انصرفوا"[٢]، و"ادخلوا"[٣]. وقد كان المؤلف كثيراً ما يستعيض عن التعبير بأفعال الأمر الحاصلة في زمان الحادثة بهذه الصيغة (فأمر ...)، ومثاله من النص "فأمر المعتصم فضرب مضربة في ذلك الموضع"[٤]. فعوضت هذه الصيغة إلى حد كبير غياب فعل الأمر في النص.

وقد صاحب تنوع المباني النحوية عند الطبري تنوع في الحشو النحوي داخل هذه المباني على مستوى الجملتين الفعلية والاسمية، وجاء هذا التنويع في الجملة الفعلية عبر (الفعل والفاعل والمفعول به أحياناً)، وفي الجملة الاسمية عبر ركينها (المبتدأ والخبر)، ومن أمثلة تنوع حشو الجملة الفعلية في النص ما يلي:

"أمضى المعتصم الأفشين"[٥].

(فعل + فاعل + مفعول به)

"أخذوا عدة ممن كان في عسكر الملك"[٦].

(فعل + فاعل "ضمير متصل" + مفعول به)

"كتب إلى أشناس"[٧].

(فعل + فاعل "ضمير مستتر")

"يوافيه كتاب أمير المؤمنين"[٨].

(فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل)

"وكان أشناس قد أسر عدة أسرى"[٩].

(فعل ناسخ + اسمة + خبره)

"باتوا فيه"[١٠].

---

[١] : تاريخ الطبري: ٩/٦٠.

[٢] : نفسه: ٩/ ٦٦.

[٣] : نفسه: ٩/٦٨.

[٤] : نفسه: ٩/٦٣.

[٥] : نفسه: ٩/٥٧.

[٦] : تاريخ الطبري: ٩/ ٥٩.

[٧] : نفسه: ٩/٦٠.

[٨] : نفسه: ٩/٥٩.

[٩] : نفسه: ٩/٦٠.

[١٠] : نفسه: ٩/٦١.

(فعل ناسخ + اسمة "ضمير متصل" + خبره " جار ومجرور)
"فسر المعتصم"[١].
(فعل مبنى للمفعول + نائب الفاعل)
ومن أمثلة تنوع الحشو النحوي في الجملة الاسمية:
"والأفشين في الميمنة "[٢]. (مبتدأ + خبر "شبة جملة")
"أنا أجمع بينك وبين الحارث"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر جملة فعلية)
"بينهما سبع مراحل"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)
"أنه وارد"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل " + خبره)

ويلاحظ من الأمثلة السابقة التنويع الواضح في الحشو النحوي على مستوى الجملتين الاسمية والفعلية عبر التقديم والتأخير تارة، واستعمال الضمائر تارة أخرى، وقد أعطت هذه النماذج صورة عامة عن المباني النحوية في نص الطبري، واستعمالات أداتي الحشو والتنويع في المباني النحوية.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

على الرغم من أن المادة المناقشة في هذا النص مادة تاريخية، ومعلوم أن المادة التاريخية العمدة في جمعها وتقصيها على الرواية التاريخية المتناقلة من راو إلى راو آخر، إلا أن الناظر في هذا النص يلاحظ ندرة استعمال ألفاظ الرواية التاريخية فيه. وأعني بألفاظ الرواية التاريخية تلك الألفاظ التي يصدّر بها المؤلفون رواياتهم ونقولاتهم التاريخية، سواء كانت هذه النقولات حرفية أو ضمينه، مثل (رَوى – رُوي – أخبرنا – ورد في – سمعنا من – جاء في الخبر – عن "العنعنة" – ذكر – قال – قيل) والتي لم ترد عند الطبري إلا في مواضع نادرة، ومن ذلك ما جاء عند حديثة عن تاريخ وقعة عمورية مستخدما لفظة (قيل): "وفي هذه السنة شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم، وقيل كان شخوصه إليها من سامرا في سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل في سنة

[١] : نفسه: ٦٢/٩.
[٢] : نفسه: ٦٣/٩.
[٣] : نفسه: ٩/ ٦٦.
[٤] : نفسه: ٩/ ٦٣.
[٥] : نفسه: ٦٢/٩.

اثنتين وعشرين ومائتين بعد قتله بابك"[1]. ومنه أيضا استعمال لفظة "قال" عند إسناده رواية لـ(مالك بن كيدر): "قال مالك بن كيدر: فدعوا الناس كلهم، خذوا ما أخذتم، ودعوا الباقي، فترك الناس السبي والمقاتلة وانصرفوا راجعين يريدون عسكر أشناس"[2]. وأنت تلاحظ أن المرة الأولى كانت على وجه التشكيك "قيل"، والثانية على وجه الجزم "قال".

ولعل السبب في ندرة ألفاظ الرواية التاريخية في نص الطبري يرجع إلى المنهج الذي اختاره المصنف، فقد اعتمد في رواية الأحداث على صياغته الشخصية للحدث والخبر المنقول، حرصاً منه على تبسيط مادة النص للتناول والقراءة، وطرد السآمة والملل عن المستمعين والقراء، لا سميا إذا عرفنا أنه كان يملى تاريخيه هذا على تلاميذه في ظل تذمرهم من طوله وكبر حجمه، وهو ما أكده الذهبي في سيره إذ يقول: "عن القاضي أبو عبد الله القضاعي: حدثنا علي بن نصر بن الصباح، حدثنا أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمسار، وأبو القاسم بن عقيل الوراق: أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة"[3]. فكان من البديهي أن يعمد الطبري إلى مادة سهلة ميسرة بعيدا عن العنعنة، وكثرة ألفاظ الرواية التاريخية، وقد شجعه على ذلك كون المادة المنقولة ليست نصاً من النصوص المقدسة التي لا تقبل إلا عبر إيرادها كما هي دون إعادة صياغة، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي الشريف –عند من يرى بتوقيفية ألفاظه–[4].

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

بما أن الحديث في هذا النص يتعلق بمعركة عمورية فليس من المستغرب أن ترد في النص بعض الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالمعارك والحروب، خاصة ونحن نعلم أن لكل بيئة (صنعة) ألفاظها ومصطلحاتها الخاصة بها، والمعبرة بدلالاتها عن مكونات

[1] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[2] : نفسه: ٦٢/٩.

[3] : سير أعلام النبلاء: ٢٧٥/١٤.

[4] : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: ١٤.

هذه البيئة ومحتوياتها[1]، وقد أردت بهذا المصطلح (معجم الآلة الحربية) التعبير عن الألفاظ المتعلقة بالمعارك والحروب[2].

فكما أن للمحدثين معجما، وللوراقين معجما، وللزراعين معجما، وللبحارة معجما، فكذلك للحروب والمعارك معجمها الخاص، ولقد حفل النص بكم زاخر من ألفاظ هذا المعجم، حتى إنك لا تكاد تفقدها ولو في ورقة واحدة من أوراقه، وقد كانت بعض ألفاظ هذا المعجم عربية، وبعضها الآخر معرّباً، وكانت تذكر أحياناً استرسالاً في موضع واحد، وأحياناً أخرى تنثر في مواضع عدة بحسب ما يقتضيه سياق الحديث، ومن هذه الألفاظ:

– "تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط، من السلاح، والعدد، والآلة، وحياض الأدم، والبغال، والروايا، والقرب، وآلة الحديد والنفط"[3]. وقد وردت ألفاظ الحرب هنا استرسالا في فقرة واحدة.

– ("المقدمة"، "القلب"، "الميمنه"، "الميسرة")[4]، "فكمن"[5]، "عساكر"[6]، "المنجنيق"[7]، "كردوس"[8]، "دبابة"[9]. وأنت تلحظ في الألفاظ السابقة أنها تنوعت بين الأسماء (المفرد والجمع) والأفعال، وأن بعضها احتفظ بدلالته اللغوية التي تتفق مع دلالته الاصطلاحية (الحربية)، وبعضها الآخر لم تتفق دلالته الاصطلاحية مع اللغوية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

من العلامات البارزة التي يمكن أن تستوقف الباحث في هذا النص، كثرة الأعلام والألقاب والكنى التي أوردها الطبري، حتى إنك لتشعر في الوهلة الأولى، أنك تطالع مصنفا من مصنفات التراجم وسير الرجال. ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: لماذا كل هذا الكم من الأعلام والكنى والألقاب في النص؟

---

[1] : معجم ألفاظ الحرف والمهن في نابلس، ٢٢.

[2] : ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي، ١٢. شعر الحرب في العصر الجاهلي: ٦١.

[3] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[4] : نفسه.

[5] : نفسه: ٥٨/٩.

[6] : نفسه: ٦٣/٩.

[7] : نفسه: ٦٥/٩.

[8] : نفسه: ٥٨/٩–٦٢.

[9] : نفسه: ٦٥/٩.

والإجابة على هذا التساؤل تحتم علينا الرجوع إلى طبيعة المادة المتناولة في النص (المادة التاريخية)، فالمصنف هنا يؤرخ لأحداث وأبطال، ورواية المؤلف لوقائع معركة عمورية دون ربط كل فعل بصحابة ونسبته إليه تعد في ذلك العصر قصوراً في الكتاب، لاسيما أن مشاهد المعركة لازالت حاضرة في أذهان كثير من أبناء ذلك الجيل نظراً لقرب عهدهم بها، أو لقرب عهدهم بمن عاصرها، ما سيجعل عزل الأحداث عن محدثيها قصوراً في نظرهم، إضافة إلى أن فيه نوع من الإجحاف المتمثل في عزل الإنجازات عن منجزيها، هذا فيما يتعلق بالأسماء والألقاب والكنى المرتبطة بالمسلمين، أما فيما يتعلق بالألقاب والأسماء والكنى المرتبطة بجيش الروم، وكثرة ورودها، وتكرار بعضها في مواضع متفرقة، فلعل مرده إلى مشاعر الفخر والاعتزاز لدى أبناء ذلك الجيل من المسلمين بعد هذا الانتصار في معركة عمورية، وكأنه يقول: قتلنا قادة الروم العظام، فلان وفلان وفلان، أصحاب تلك الأسماء الرنانة، وهؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا يقهرون قد قهرناهم، وأذقناهم أصناف الذل والهوان. فكان ذكر هذه الأسماء مهما عنده، لأنه يعبر عن مدى المجد والنصر الذي حققه المسلمون.

ومما يدعم هذا التأويل ما سبق وذكرنها عند حديثنا عن غياب أفعال الرواية في النص، فقد قررنا أن المؤلف عزف عن ذكر أسماء الرواة والمخبرين كراهة الإطالة والسآمة، وخوفاً من الإثقال على القراء والمستمعين الذين أملى عليهم كتابه، فما الذي سيجعله هنا يتخلى عن هذا التحفظ على ذكر الأسماء غير ما ذكرنها من ارتباط تخليه عن تحفظه بمشاعر الفخر والاعتزاز بانتصار المسلمين وتفوقهم على أعدائهم.

وقد كثرت الأسماء والألقاب والكنى الأعجمية في النص، لكون هذه المعركة بين الروم وهم أعاجم، والمسلمين وفيهم كثير من قواد المعتصم الأتراك والفرس، إضافة إلى الأسماء والألقاب والكنى العربية الواردة في النص. ومما يستلطف هنا أن الطبري استوقفه –على كثرة ما ذكر من الأسماء الأعجمية– اسم أعجمي، ففسره في استطراد لغوي لطيف، وذلك حين قال: "رجلاً من قواد الروم يقال له (وندوا) وتفسيره بالعربية (ثور)"[1]. فلماذا حرص على تفسير هذا الاسم دون غيره من الأسماء الأعجمية الأخرى التي جاء على ذكرها؟

لعل الأمر هنا عائد إلى أحد الافتراضات الآتية:

[1] : تاريخ الطبري: ٦٧/٩.

الأول: أن يكون هذا التفسير جاء بشكل اعتباطي شاذ عن المنهجية التي سار عليها المصنف فيما يتعلق بتفسير الأسماء التي يوردها. وهذا الافتراض مستبعد جملة وتفصيلاً؛ لأن ما أبداه الطبري من منهجية منضبطة -إلى حد كبير- في مصنفه هذا تبطل هذا المذهب.

الثاني: أن يكون تفسيره لهذا الاسم تحديداً نابع من جهله بمعنى سواه، وهذا الافتراض مردود ومرفوض أيضاً؛ لأن موسوعية الطبري، ولطائفة الفريدة والرائعة التي يوردها في مؤلفاتها ترد هذا التأويل.

الثالث: وهو أن يكون إفراده هذا الاسم بالشرح والتفسير نابع من استلطافه لمعناه (ثور)، فأراد أن يملي معنى هذا الاسم الأعجمي على طلابه ليشاركوه هذا اللطيفة، والتي قد تكون مشوبة بشيء من التهكم. وهذا الافتراض أكثرها مقبولية.

وفي نهاية هذا المبحث أورد بعض الأسماء والأعلام والألقاب والكنى التي جاء على ذكرها الطبري في نصه محل الدراسة: "المعتصم"[١]، "أشناس"[٢]، "الفرغاني"[٣]، "عمرو"[٤]، "إيتاخ"[٥]، "الأفشين"[٦]، "خيذر"[٧]، "كاوس"[٨]، "أمير المؤمنين"[٩]، "الأسقف"[١٠]، "مالك بن كيدر"[١١]، "ياطس"[١٢]، "أبا العباس"[١٣].

٦- الوصف الخرائطي:

وأعني به الحديث عن المواقع الجغرافية المتناولة في مادة النص المدروس، سواء عبر الوصف التفصيلي الدقيق لها، أو عن طريق الإشارة إليها دون تفصيل. ومثل هذا

---

[١] : نفسه: ٥٧/٩.
[٢] : نفسه.
[٣] : نفسه: ٥٨/٩.
[٤] : نفسه: ٥٩/٩.
[٥] : نفسه: ٦٩/٩.
[٦] : نفسه
[٧] : نفسه: ٥٧/٩.
[٨] : نفسه: ٧٠/٩.
[٩] : نفسه: ٦٣/٩.
[١٠] : نفسه: ٥٨/٩.
[١١] : نفسه: ٦٠/٩.
[١٢] : نفسه: ٦٤/٩.
[١٣] : نفسه: ٦٦/٩.

الوصف لا يستغرب أن يقع عليه الباحث في كتب الجغرافيا العربية مثلاً، أو كتب تاريخ البلدان والمدن، ولكن الذي قد يستغرب هو ظهور مثل هذا الوصف وبشكل واضح، عبر مساحات واسعة في كتب التاريخ والحوادث، غير أن هذا الحضور البارز للوصف الخرائطي في نص الطبري له ما يبرره، فكما هو معلوم أن النص يتناول وقعة عموريه، وهي وقعه حصلت في بقعة من بقاع الأرض، والمعتصم حين قصد فتحها والمسير إليها خرج من بقعة أخرى، وأثناء هذا المسير كان المرور على عدد من المدن والبلدان، والمؤلف في كل هذا بمنزلة الصحفي –وفق مفهوم هذا العصر– المرافق لوفد عسكري يرصد تحركاته، ويصف خطواته ومراتعه، فكان من المهم جداً عنده وصف هذه البقاع والمدن التي شملتها المعركة، ودارت أحداثها فيها.

وحُقَّ لسائل أن يسأل هنا لماذا أكثر الطبري من استخدام (الوصف الخرائطي) مقارنة بالنصوص الأخرى المتناولة في هذا البحث، على الرغم من أن المبرر الذي سقناه في الفقرة السابقة منطبق تماماً على كل المؤرخين الذين أرخوا لهذه المعركة، ودونوا أحداثها؟

والجواب على هذا التساؤل من وجهين:

الأول: ما قررناه في مبحث سابق فيما يتعلق بقرب عهد الطبري من هذه المعركة وعمق أثرها في نفسه، وأثرها في نفوس أبناء ذلك العصر بصورة عامة، والتي كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لهم، ما انعكس على اهتمامهم بأخبار هذه الواقعة، والحرص على أدق تفاصيلها، والخريطة المكانية لبقاع وساحه المعركة تعد ضمن هذه التفاصيل المشمولة بالعناية والمتابعة.

الثاني: وضع المنهج الذي اعتمده الطبري في الحسبان، والذي كان يعتمد الإطناب والحرص على التقصي ومتابعة أدق تفاصيل الأحداث التي يؤرخ لها، فكان من البديهي أن يلتفت إلى كثير من التفاصيل التي يزهد فيها غيره من بعض المؤرخين تبعاً لمناهجهم في الكتابة، ومن أبرز هذه التفاصيل (الوصف الخرائطي) لساحه وميادين المعركة، والتي أكد المصنف من خلالها دقته في الوصف والتجسيد، حتى إنك لتشعر أحياناً وأنت تقرأ بعض هذه الأوصاف بأنك جندي من جنود هذه المعركة، أو حتى قائد من قوادها؛ لأنه يصور لك المكان والموقع وكأنك تراه، وفيما يأتي طرف من نماذج الوصف الخرائطي الواردة في النص:

– "ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللمس، وهو على سلوقية قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وأمضي المعتصم الأفشين خيذر بين كاوس إلى سروج، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدث"[٢].

– "حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"[٣].

– "فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل، وبرز معه من نشط من الناس، ثم برز فضرب دابته بالسوط، فركض قريبا من ميلين ركضا شديدا، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه"[٤].

– " فأخبروهم أن الملك كان معسكرا على أربعة فراسخ من اللمس، حتى جاءه رسول، أن عسكرا ضخما قد دخل من ناحية الأرمنياق"[٥].

– "فوجه خلف الضياع فبنى وجه السور بالحجارة حجراً حجراً، وصير وراءه من جانب المدينة حشواً، ثم عقد فوقه الشرف كما كان"[٦].

والملاحظ من هذه الأمثلة مدى الدقة والبراعة التي تجلت عند الطبري عبر وصفه وتجسيده لمواقع المعركة وميادينها، حتى وكأنه لا يتكلم وإنما يرسم مجموعة فريدة من الخرائط والرسومات المعبرة عن مواقع القتال، وقد استعان بأدوات عدة في وصفه الخرائطي للمعركة، من أبرزها (ظروف المكان، أسماء المدن والبلدان، أسماء الأنهار والقرى والدروب، وأدوات القياس مثل: مرحلة – فرسخ – ميل).

ثانيا: نص أبي الحسن علي المسعودي من كتابه مروج الذهب:

٢– وصف النص:

لم يفرد المسعودي مساحة واسعة للحديث عن معركة عمورية، بل نراه اختزل الحديث عن هذه الحادثة في ورقة واحدة فقط، حتى أنه لم يجعل هذه الورقة خالصه تماماً للحديث عن وقعة عمورية، ولكنه استقطع ربعها الأول لإتمام حديث في موضوع

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : نفسه.

[٣] : نفسه: ٦٠/٩.

[٤] : نفسه:

[٥] : نفسه: ٦١/٩.

[٦] : نفسه.

سابق. ويعد هذا الاختزال اختزال مبرر ومقبول، إذ أن المسعودي يكتب بمنهجية تخالف منهجية الطبري في تاريخه، والذي كان يقصد الإطالة وتتبع التفاصيل عند تناوله الأحداث التاريخية، وجعل القارئ محيطاً بجميع جوانب الحادثة المتناولة، في حين أن المسعودي تجاوز هذا كله إلى مصنف يجد فيه الفاحص حضوراً لمعظم الأحداث التاريخية مع التضحية ببعض الجزئيات والتفاصيل العامة على حد تقدير المؤلف، فالحوادث المتناولة في الكتابين تكاد تكون واحدة، لكن الفرق في منهجية تعامل كل من المؤلفين مع هذه الوقائع والأحداث.

وهذه المنهجية هي التي دفعت المسعودي إلى عدم تخصيص عنوان مفرد ومستقل لوقعة عمورية، فتراه أوردها أثناء حديثه عن حوادث سنه ٢٢٣ هـ دون ذكر ميزة لها على حوادث ذلك العام، ولعل السبب في ذلك –إضافة إلى ما ذكرناه– التقدير الشخصي للمصنف، فالطبري قدر في أن معركة عمورية حدث بالغ الأهمية، وجدير بأن يكتب بحروف من ذهب تخليداً له في ذاكرة الأجيال، وشغلت هذه الفكرة حيزاً من تفكيره، وظهرت بالتالي عبر إطنابه في ذكر تفاصليها الموقعة، فيما قدر المسعودي أن هذا الحدث وإن كان بالغ الأهمية إلا أنه من الممكن الاختصار فيه واختزال بعض تفاصليه دون المساس بأهميته.

٢– المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند المسعودي متنوعة مبنى وحشواً، مبنى عبر المراوحة بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وحشواً عبر التغيير الداخلي في أركان كل جمة على حدة. ففي الجملة الفعلية جاء التغيير على مستوى ركنيها الفعل والفاعل وأحيانا المفعول به، وفي الجملة الاسمية على مستوى ركنيها المبتدأ والخبر، وكان التغيير في حشو كلا الجملتين يظهر من خلال عدة صور، من أبرزها: التقديم والتأخير، والظهور والاستتار في بعض أركانها، فيما سجلت الجملة الفعلية حضوراً أوسع من حضور الجملة الاسمية، وكان الفعل الماضي كان هو صاحب الحضور الأكبر، في ظل وجود منافسة ضعيفة من الفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر. وفيما يأتي بعض نماذج تنوع المباني النحوية على مستويي التركيب والحشو:

الجملة الفعلية:

– "خروج المعتصم". (فعل + فاعل)

- "فتح المعتصم حصوناً". (فعل + فاعل + مفعول به)
- "تعمم بعمامة". (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + جر ومجرور متعلق بالفعل)
- "جعل على مقدمته أشناس". (فعل + جر ومجرور + فاعل)
- "أراد المسير". (فعل + فاعل " ضمير مستتر" + مفعول به)
- "يتلوه محمد". (فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل مؤخر)
- "نُصبت الأعلام". (فعل مبني للمفعول + نائب فاعل)
- "نودي في الأمصار". (فعل مبني للمفعول + جر ومجرور)
- "كان الأفشين قصر عن أخذ الملك". (فعل ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "فلم يكن يحصي الناس العدد". (فعل ناسخ + خبر "جملة فعلية" + اسمه)

الجملة الاسمية:

- "هو ملك". (مبتدأ + خبر)
- "الملوك يبقي بعضها على بعض". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "فالمكثر يقول". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "أن ناساً قد بايعوه". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "وأنه كاتب". (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل" + خبره "جملة فعلية")

ونسجل أخيراً ملاحظة مهمة، وهي أن المباني النحوية رغم تنوعها في النص إلا أنها كانت بعيدة كل البعد عن التعقيد والتكلف، بل كانت بسيطة وميسرة، مجارية لمادة النص وطبيعته.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

إن من أبرز الملاحظات التي يمكن تدوينها في حق هذا النص هي غياب ألفاظ الرواية التاريخية بشكل تام عنه، ليس هذا وحسب، بل إن المؤلف لم يشر حتى ولو إشارة بسيطة إلى ما يعبر عن هذه الألفاظ، ومن الممكن هنا أن نرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور:

- المنهج الذي تعامل به المؤلف مع الروايات التاريخية وأسانيدها، إذ اعتمد حذف الأسانيد (العنعنة) من الروايات وإيرادها مجردة من أسماء رواتها ومحدثيها، ويكفي للوقوف على ذلك قراءة أي حادثة من الحوادث التي أرخ لها المسعودي في كتابه هذا.

– الصياغة الشخصية للأحداث والوقائع، والتي اعتمد عليها المسعودي كثيراً، فهو ينقل الرواية التاريخية معنى لا نصاً، في اعتماد ملحوظ على أسلوبه الذاتي، والذي هو بالتأكيد أقرب إلى أذهان أبناء جيله من أن يسوق لهم رواية تاريخية بشكل نصي.

– ميل المسعودي إلى الاختصار بشكل عام، فقد ألف مصنفه هذا معتمدا على الإيجاز في السرد، وقد يكون نزوع المؤلف إلى الاختصار مرده إلى رغبته بأن يكون كتابه مادة ميسرة لطلاب العلم، لا سيما الناشئة منهم، فنراه أقرب ما يكون إلى كونه كتابا تعليميا يسهل على العامة قراءته وتناول مادته العلمية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

لو أنَا قيمنا ألفاظ معجم الحرب الواردة في النص مقارنة بحجمه لوجدنا أن نستبها مرتفعة جداً، فقد ورد في النص خمس وعشرون لفظة من ألفاظ الحرب، أي بمعدل لفظة لكل سطر، وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، وكان لكل منها دلالته الخاصة ذات الصلة بالحروب مع احتفاظ بعضها بدلالتها اللغوية الأصلية، ومن ألفاظ الحرب الواردة في النص: (نافراً – دُرَّاعة – الغزاة – عسكر – الأعلام – النفير – المطوعة – مقدمته – ميمنة –ميسرته – ساقته – القلب – الثغور – فحاربه – هزمه – قتل – حماه – فتح – حصوناً – أسر – يهدم – يحرق – المسير).

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

لا نبحث عند حديثنا عن الأعلام والكنى عن عدد هذه الأسماء ومقدار حضورها في النص، بل نبحث في الدرجة الأولى عما إذا كان وجودها يعد ميزة من مزايا لغة الخطاب التاريخي أم لا. وقد ورد في نص المسعودي عدد من الأسماء العربية والأعجمية، وهي أسماء بعض المشاركين في معركة عمورية من قادة وجنود، كما وردت بعض الألقاب المرتبطة ببعض المشاركين في هذه المعركة، فيما غابت الكنى بشكل تام عن النص. ومن أمثلة الأعلام والألقاب ما يأتي:

الأعلام العربية:

(المعتصم – محمد بن إبراهيم – العباس).

الألقاب العربية:

(أمير المؤمنين – الخياط).

الأعلام الأعجمية:

(أشناس – إيتاخ التركي – لاوى – ياطس – البطريق – الأفشين).

٦- الوصف الخرائطي:

السبب في وضع مبحث (الوصف الخرائطي) ضمن مباحث الدراسة هو كونه يضم في طياته منظومة من الألفاظ ذات الدلالة الخاصة، ومجموعة من الأدوات والأساليب اللغوية المرتبطة به، هذا من جانب، ومن جانب آخر الرغبة في معرفة مدى الارتباط بين الوصف الخرائطي ولغة الخطاب التاريخي. وقد ورد في نص المسعودي عدة مواضع تدخل ضمن هذا المبحث، منها:

- "ونصبت الأعلام على الجسر".
- "فعسكر في غربي دجلة".
- "وسار المعتصم من الثغور الشامية، ودخل من درب السلامة، ودخل الأفشين من درب الحدث، ودخل الناس من سائر الدروب".
- "وأراد المسير إلى القسطنطينية والنزول على خليجها، والحيلة في فتحها براً وبحراً".

والملاحظة الأبرز التي يمكن رصدها عبر استعراض الأمثلة السابقة هي غياب (الوصف الخرائطي) العميق كما شاهدناه في نص الطبري، وكذلك ندرة ظروف المكان، والتي تعد من أهم أداوت (الوصف الخرائطي) التي يمكن للمؤلف الاعتماد عليها، كذلك كثرة استعمال الجار والمجرور في جمل الوصف، واستعانته بأسماء المدن والدروب وبعض الأنهار، وأسماء الجهات.

ثالثا: نص ابن الجوزي من كتابه المنتظم تاريخ الملوك والأمم:

١- وصف النص:

يعد كتاب المنتظم من أمهات كتب التاريخ في الحضارة الإسلامية، ومن الكتب المميزة في الموروث التاريخي للعرب. والحق أن هذا التميز لم يكن وليد الصدفة؛ بل هو وليد منهجية منضبطة سار عليها ابن الجوزي في تصنيفه لهذا الكتاب، والتي اعتمد فيها على البسط والإطناب في تتبع الحوادث التاريخية وتوثيقها، إضافة إلى ما عرف عن ابن الجوزي من العناية الشديدة بمصنفاته، والحرص على ظهورها بأحسن صورة. ومن هنا كان حديث المصنف عن معركة عمورية فيه شيء من البسط والإطالة، دون إفراد فصل مستقل لها، فقد ساق الحديث عنها سرداً ضمن حوادث ذلك العام. ومن

الامور التي يمكن ملاحظتها عند ابن الجوزي دون غيره من عينة الدراسة الاستطراد في بعض المواضع، كذكره لقصة يعقوب بن جعفر[١]، وحبس المعتصم للعباس بن المأمون[٢]. كما أن نص ابن الجوزي، تميز بإيراد بعض الأبيات الشعرية التي نظمت بمناسبة بعض أحداث هذه المعركة، ومن ذلك إيراده لأبيات محمد بن عبد الملك الزيات التي قالها في فتح عمورية[٣]، ولبيت ردده المعتصم[٤]، ولا شك أن هذه الإيرادات الشعرية كان لها دور فاعل في النص على مستوى التوثيق وتعزيز مصداقية النقل من جانب، ومن جانب آخر على مستوى تخفيف ثقل المادة التاريخية التي قد يكون الاسترسال فيها مورثا للسآمة والملل، ما يجعل إضافة مثل هذه التعليقات الأدبية مناسبا في هذا المقام.

٢- المباني النحوية:

سجلت الجملة الفعلية حضوراً لافتا (كماً ونوعاً) في النص، فيما تراجعت الجملة الاسمية في المقابل، مع احتفاظها بالتنوع على مستوى الحشو النحوي، وقد كان الفعل الماضي هو الحاضر الأكبر في النص، في حين أن ندرة حضور فعل الامر ظلت مستمرة، مع ملاحظة الحضور المحتشم للفعل المضارع، وفيما يأتي أمثلة على المباني النحوية في النص:

الجملة الفعلية:

- "بعث الأفشين"[٥]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "أمر المعتصم أشناس"[٦]. (فعل + فاعل + مفعول به)
- "أحضر القضاة"[٧]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "فأمره"[٨]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به "ضمير متصل")
- "فإن أردت الخروج"[١]. (فعل مضارع سبق بناصب + فاعل مستتر + مفعول به)

---

[١] : المنتظم: ٨٢/١١.
[٢] : نفسه: ٨٣/١١.
[٣] : نفسه: ٨٤/١١.
[٤] : نفسه: ٧٨/١١.
[٥] : نفسه: ٧٩/١١.
[٦] : نفسه.
[٧] : نفسه.
[٨] : المنتظم: ٧٩/١١.

– "كان السبب في ذلك تضييق الأفشين"[٢]. (فعل ناسخ + جار ومجرور + اسمه + خبره)

– "كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين"[٣]. (فعل ناسخ + اسمه + خبره "شبه جملة")

– " فطرحت الجلود"[٤]. (فعل "مبني للمفعول" + نائب فاعل)

الجملة الاسمية:

– "هي وقف"[٥]. (مبتدأ "ضمير" + خبر)

– "وهم يتقدمون"[٦]. (مبتدأ "ضمير" + خبر "جملة فعلية")

– "الرجل ممكن"[٧]. (مبتدأ "اسم ظاهر" + خبر "اسم ظاهر")

– "في دار لي"[٨]. (مبتدأ "ضمير مستتر" + خبر "شبه جملة")

– "أن العباس دسّ رجلاً"[٩]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")

– "لكن أشهد الله أني جعلت"[١٠]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير مستتر" + خبره "جملة فعلية")

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

بدى واضحاً أن ابن الجوزي تجنب الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالأحداث التاريخية، وتجلى ذلك عبر عزوفه عن ذكر أي من (ألفاظ الرواية التاريخية) رغم ما قررناه في مبحث سابق من أن المادة التاريخية العمدة فيها على الرواية، إذ لم يرد في النص ذكر لها إلا في موضعين، مرة عند الحديث عن تاريخ خروج الجيش الإسلامي حين قال: "وقيل: كان ذلك في سنة اثنين وعشرين. وقيل: سنة أربع وعشرين"[١١]، ومرة

---

[١] : نفسه: ٧٨/١١.

[٢] : نفسه: ١١/ ٧٨–٨٣.

[٣] : نفسه: ١١/ ٨١.

[٤] : نفسه: ٨١/١١.

[٥] : نفسه: ٨٣/١١.

[٦] : نفسه: ٨٢/١١.

[٧] : نفسه: ٨٣/١١.

[٨] : نفسه.

[٩] : نفسه.

[١٠] : نفسه.

[١١] : المنتظم: ٧٩/١١.

أخرى عند روايته لحكاية يعقوب بن جعفر بالسند حين قال: "وروى أبو بكر الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني يعقوب بن جعفر بن سليمان ..."[1].

ولسائل هنا أن يسأل لماذا سلك المؤلف هذا المسلك في تعامله مع ألفاظ الرواية التاريخية رغم أنه اعتمد منهجية الإطناب والإطالة في تأليفه لهذا المصنف؟

ولعل السبب في ذلك هو أن المصنف قد اعتمد منهجية الإطالة الموجهة، فجاء تهميشه لألفاظ الرواية التاريخية انطلاقاً من كونها –في تقديره– لن تقدم أو تأخر في المادة التاريخية المطروحة، فكان التخلي عنها هو الأولى.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

يعد نص ابن الجوزي أكثر نصوص عينة الدراسة إيرادا لألفاظ معجم الحرب، إذ كان حضورها في النص لافتا، وكما قلنا عند حديثنا عن النصوص السابقة أن هذا الحضور غير مستغرب البتة، لكون الحديث هنا عن معركة عمورية، فكان من المتوقع شغل هذه الألفاظ لمساحة واسعة في النص. ومن أمثلة هذه الألفاظ:

– ("السلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والحمير والبغال والروايا والقرب وآلة الحرب، والحرير والنفط"، "الدم")[2].

– ("ضربت عنقه"، " فأسرهم وخرب بلدهم "، " فأغار"، " حصون "، "مقاتلة")[3].

وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة) والمصادر أحياناً، فيما كان بعض تلك الألفاظ يحمل دلالة لغوية واصطلاحية واحدة، وبعضها الآخر اختلفت دلالتها اللغوية عن دلالتها الاصطلاحية ذات الصلة بمعجم الآلة الحربية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

ورد في النص العديد من الأعلام والألقاب والكنى، وقد كان بعض هذه الأعلام والألقاب عربيا، وبعضها الآخر أعجميا، أما الكنى فقد كانت عربية خالصة، ولم يرد في النص أي كنية أعجمية، وقد عبرت الأعلام والألقاب والكنى العربية عن جيش المسلمين، أما الأعلام الأعجمية فقد عبر جزء منها عن جيش المسلمين (قواد المعتصم

[1] : نفسه: ٨٢/١١.

[2] : نفسه: ٧٧/١١.

[3] : نفسه: ٧٨/١١.

من الفرس والأتراك)، وعبر جزؤها الآخر عن جيش الروم الذي لاقاه المعتصم في هذه الواقعة. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

- ("توفيل"، "ميخائيل"، "الأفشين"، "بابك"، "جعفر"، "دينار"، "إيتاخ"، "ملك الروم"، "عجيف"، "عنبسة"، "المعتصم")[1].
- ("أشناس"، "محمد"، "إبراهيم"، "الصولي"، "البطريق")[2].
- ("أبوبكر"، "السمرقندي"، "الحارث"، "العباس")[3].

ولعل التساؤل المهم طرحه هنا هو: لماذا تم إضافة هذا المبحث (الأعلام والألقاب والكنى) ضمن مباحث الدراسة؟

ويكفي للإجابة على هذا التساؤل أن نشير إلى الثمرة المرجوة من تناول هذا المبحث، وهي: الكشف عن مدى ارتباط (الأعلام والألقاب والكنى) بلغة الخطاب التاريخي، والبحث عما إذا كان من الممكن عدها من العلامات البارزة التي تميز بها الخطاب التاريخي؟

٦- الوصف الخرائطي:

يمكن الربط بين منهجية الكاتب التي اعتمدها في التأليف وبين حجم مواضع (الوصف الخرائطي) في النص، فكلما كانت منهجية المؤلف قوامها البسط والإطالة كانت رقعة الوصف الخرائطي أوسع في النص، أما إذا كانت منهجيته مرتكزة على الاختصار والإيجاز كانت رقعة الوصف الخرائطي -على الأغلب- أضيق.

وهذا تماماً ما يؤكده تتبع مواضع الوصف الخرائطي في نص ابن الجوزي، والتي حظيت بشيء من البسط والتوسع على امتداد النص تبعاً للمنهجية التي اعتمدها المصنف. وفيما يأتي بعض الأمثلة:

- ("عسكر في غربي دجلة"، "ووجه عجيف بن عنبسة في جماعة من القواد إلى زبطرة")[4].
- ("فدخل بلاد البروم، فأقام على سلوقية قريباً من البحر"، "ودبر النزول على أنقرة"، "وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طرطوس")[1].

---

[1] : المنتظم: ٧٨/١١.
[2] : نفسه: ٧٩/١١.
[3] : نفسه: ٨٣/١١.
[4] : نفسه: ٧٨/١١.

– ("حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"، "وبين كل عسكر وعسكر فرسخان"، "فصار لكل قائد ما بين البرجين إلى عشرين برجاً")[٢].

ويمكنك هنا ملاحظة أن المؤلف قد استعان في وصفه الخرائطي بمجموعة من الأدوات أبرزها: (الظروف المكانية، أسماء المدن والقرى والبلدان، أسماء الجهات، أسماء الأنهار).

رابعا: نص ابن الأثير من كتابه الكامل في التاريخ:

١– وصف النص:

من المهم هنا أن أشير إلى أن ما قلناه عند وصفنا لنص الطبري صالح –إلى حد كبير– لتعميمه على نص ابن الأثير، فالقواسم المشتركة بين النصيين كثيرة، وهذا ما أكده ابن الأثير في مقدمته حين شرع في شرح منهجيته ومصادره في تصنيف هذا الكتاب إذ يقول: " فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا.

ولا أقول إني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ، فإن من هو بالموصل لا بد أن يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب، ولكن أقول إنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك. فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة ... وإنما اعتمدت عليه –الطبري– من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا"[٣].

إذا علم هذا فلتعلم أن ابن الأثير قد أطال وفصل في سياق حديثه عن وقعة عمورية، لأنه أراد كتابه هذا كاملا كما أسماه، فأراده كاملاً في استعراضه لحوادث العصور والأزمان، وكاملاً في تقصيه لتفاصيل هذه الحوادث، وما فتح عمورية إلا حادثة من هذه الحوادث، تخضع للمنهجية ذاتها التي حددها ابن الاثير. وقد أفرد عنواناً مستقلاً

---

[١] : المنتظم: ٧٩/١١.

[٢] : نفسه: ٨٠/١١.

[٣] : الكامل: ٦/١–٧.

للحديث عن عمورية، جمع تحته شتات أحداث هذه الموقعة، وهو منهج اختاره ابن الأثير وسار عليه، وقد أثبته في مقدمته حين قال: "على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصبا واللآلي. ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض"[١].

٢- المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند ابن الأثير في نصه هذا متنوعة على المستويين (الداخلي والخارجي)، وأعني بالمستوى الداخلي: تنوع الحشو النحوي داخل الجملة الواحدة، وبالمستوى الخارجي: المراوحة بين الجملتين الاسمية والفعلية. غير أن الجملة الفعلية استمرت في فرض سيطرتها على النص كما كانت مسيطرة في النصوص السابقة، وكذلك على مستوى الأفعال كان الفعل الماضي هو الحاضر الاكبر في النص، وقد استخدم المؤلف لتحقيق التغيير في المستوى الداخلي للجملة التقديم والتأخير أحيانا، والظهور والاستتار أحيانا أخرى. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

الجملة الفعلية:

- "وأمضى المعتصم الأفشين"[٢]. (فعل متعدي + فاعل ظاهر + مفعول به ظاهر)
- "رحل المعتصم"[٣]. (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "جمع العساكر"[٤]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به ظاهر)
- "فأشهدهم"[٥]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به "ضمير متصل")
- "لم يعرض لها أحد"[٦]. (فعل مسبوق بجازم + جار ومجرور + فاعل مؤخر)

---

[١] : الكامل: ٦/٧.
[٢] : نفسه: ٦/٣٩.
[٣] : نفسه.
[٤] : نفسه: ٦/٣٨.
[٥] : نفسه.
[٦] : نفسه: ٦/٣٩.

– "يكون اجتماعهم فيه"[١]. (فعل مضارع ناسخ + اسمه "ظاهر" + خبره "ظاهر")

الجملة الاسمية:

– "وهو جالس"[٢]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر)

– "وهي عين النصرانية"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر "مضاف ومضاف إليه")

– "ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)

– "أن الملك مقيم"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره)

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

لم يستعمل ابن الأثير في نصه هذا أيا من (ألفاظ الرواية التاريخية)، إلا في موضع واحد عند حديثه عن تاريخ خروج المعتصم من (سر من رأى) حين قال: "فسار المعتصم من سر من رأى، وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين، وقيل سنة أربع وعشرين"[٦]. والسبب في هذا دون شك يعود إلى الأسلوب الذي اعتمده المؤلف في مصنفه هذا، والذي يتضمن استبعاد الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالمادة التاريخية المطروحة، لاسيما بعد ما قررناه في مبحث (وصف النص) من تأثر ابن الأثير بالطبري في أسلوبه ومنهجيته، إذ لم يكن لكليهما عناية بألفاظ الرواية التاريخية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

كثر إيراد ألفاظ (الآلة الحربية) في النص، وهذا أمر لا يستغرب نظراً لما قررناه في مباحث سابقة بأن الحديث هنا عن معركة، فلا غرابة في أن تكون الألفاظ المعبرة عن بيئة المعركة حاضرة في النص، ولكن اللافت في نص ابن الأثير هو تكراره لبعض هذه الألفاظ تكرارا محظا أحيانا، وتكرارا جزئيا أحيانا أخرى، نحو: "سير – مسير – عسكر – عساكر – معسكر – يتجهز – جهازاً – جهزه"[٧]. وقد يكون هذا التكرار سببه سياق الكلام الذي اضطر المصنف أحياناً إلى التكرار، وقد يكون سببه

---

[١] الكامل: ٣٩/٦.

[٢] : نفسه: ٣٨/٦.

[٣] : نفسه: ٣٩/٦.

[٤] : نفسه: ٣٨/٦.

[٥] : نفسه: ٣٩/٦.

[٦] : نفسه: ٣٩/٦.

[٧] : نفسه.

أسلوب المؤلف وطريقة اختياره للألفاظ، لا سيما ونحن نعلم أن تاريخ الطبري –وهو النموذج الذي سار عليه ابن الأثير في كامله– لم يضطر إلى التكرار بالشكل الذي نجده عند ابن الأثير. وقد تنوعت ألفاظ (المعجم الحربي) في النص، إذ تضمنت الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، فيما جاء بعضها عربياً وبعضها الآخر أعجميا. ومن أمثلتها في النص:

– ("أسيرة"، "النفير"، "وسمط خلفه شكالاً"، "سكة حديد"، " القواد "، "أمنع وأحصن")[1].

– ("فارس"، "سرية")[2].

– ("الأرمنياق"، "حياض الأدم"، "ظفر")[3].

ويلاحظ هنا أن معظم الألفاظ السابقة اتحدت دلالتها اللغوية والاصطلاحية في الدلالة على مدلولات ذات صلة بالحروب والمعارك.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

سجلت أسماء الأعلام والألقاب حضوراً واسعا في النص، فيما غابت الكنى عن النص، وقد تنوعت هذه الأعلام بين العربي والأعجمي، والألقاب كذلك. ومن أمثلتها:

– ("محمد بن إبراهيم"، "خليفة"، "إيتاخ"، " ملك الروم"، "المعتصم")[4].

– ("الحارث"، "البطريق"، "أشناس"، "الأفشين"، "السمرقندي")[5].

وقد ظهر هنا اعتماد ابن الأثير لتاريخ الطبري مصدرا رئيسا في نقل وقائع معركة عمورية، وذلك عبر التشابه الكبير في الأعلام والألقاب المتناولة عند كل منهما، بل إن ابن الأثير لم يفسر أي علم أعجمي إلا ذلك العلم الذي فسره الطبري بـ(ثور) في العربية، إذ قال: "وكان البطريق الموكل بهذه الناحية (وندوا)، وتفسيره ثور"[6].

٦– الوصف الخرائطي:

استرسل ابن الأثير في وصف البقاع والبلدان التي قصدها الجيش الإسلامي، وكذلك ميادين وساحات المعركة، وقد تميز هذا الوصف بالدقة، حتى إن القارئ ليقف عند

---

[1] : الكامل: ٣٨/٦.

[2] : نفسه: ٣٩/٦

[3] : نفسه: ٤٠/٦.

[4] : نفسه: ٣٧/٦–٣٩.

[5] : نفسه: ٤٣/٦.

[6] : نفسه.

بعض مواضع (الوصف الخرائطي) في النص وكأنه يشاهد صورة (فوتوغرافية) لا كأنه يقرأ وصفاً لبقعة أو مكان، هذا وقد اعتمد المؤلف في صياغة (الوصف الخرائطي) على عدة أدوات، منها: (ظروف المكان، أسماء البلدان، أسماء الأنهار، أسماء الدروب، أسماء الجهات). ومن أمثلة الوصف الخرائطي في النص:

– " فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن، وهو على سلوقية، قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وساروا حتى خرجوا من الغيضة، وسار بهم الشيخ حتى أتى جبلا، فنزله ليلا، فلما أصبحوا قال الشيخ: وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل، فينظرا ما فوق"[٢].

– "ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر: عسكر فيه أشناس في الميسرة، والمعتصم في القلب، وعسكر الأفشين في الميمنة، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمر كل عسكر أن يكون له ميمنة وميسرة"[٣].

ثالثا: نص ابن كثير من كتابه البداية والنهاية:

١ – وصف النص:

على الرغم من أن ابن كثير قد اعتمد –عند تصنيفه للبداية والنهاية– منهجية البسط والإطالة في تتبع الحوادث على مر العصور، إلا أن حديثه عن معركة عمورية جاء غاية في الاختصار مقارنة بما ورد عند أصحاب كتب التاريخ المطولة الأخرى، فقد جاء الحديث عن معركة عمورية في البداية والنهاية في ورقتين وزيادة، مع إفراد فصل للحديث عنها، وقد عنون لهذا الفصل بـ "فتح عمورية على يد المعتصم". ولعل السبب في ذلك هي الوسطية التي اختارها ابن كثير لتحكم منهجية تأليفه، فقد كان حريصاً على أن يؤرخ لأكبر عدد ممكن من الحوادث التاريخية مع الاحتفاظ بأداة الاختصار في تفاصيل هذه الحوادث، فيقع اختياره أحياناً على بعض الحوادث ليطبق الاختصار عليها لحساب حوادث أخرى أطال فيها، فتتحقق في النهاية هذه الموازنة، فما كان من إطالة في خبر معين قابله اختصار في موضع آخر، وقد كانت معركة عمورية –على ما يبدو– من الحوادث التي كان نصيبها عند ابن كثير الاختصار.

---

[١] : الكامل: ٣٩/٦

[٢] : نفسه: ٤٠/٦.

[٣] : نفسه: ٤١/٦.

والذي قد يميز نص ابن كثير عن غيره من النصوص محل الدراسة هو التركيز في المعلومة المطروحة، فقد جاءت الألفاظ عنده مركزة، فلا تستطيع إسقاط أي عبارة أو كلمة من النص دون أن يسقط معها فائدة رئيسة ترتبط بأحداث عمورية. إضافة إلى ذلك كانت لغته سهلة وقريبة من أذهان أبناء هذا العصر؛ ولعله السبب في ذلك يرجع إلى كونه من أواخر كتب التاريخ المطولة التي وصلتنا، فكانت الأمور أمامه ناضجة وتامة في ضوء ملكة لغوية سخرها في ذلك.

٢- المباني النحوية:

إن عالما بجلالة قدر ابن كثير ليعرف تمام المعرفة كيف يوظف المباني النحوية في النص التوظيف النافع، فقد أراد لها أن تكون بسيطة وميسرة وقريبة من الأذهان، بعيدة عن التكلف والتعقيد، فكانت كذلك، إذ جاءت هذه المباني منوعة على المستويين الخارجي والداخلي، مع ملاحظة تفوق الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، وغلبت استخدام الفعل الماضي على غيره من الأفعال. وفيما يأتي بعض الامثلة[١]:

الجملة الفعلية:

- "فوافاه الافشين". (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "فسره ذلك". (فعل + مفعول "ضمير متصل" + فاعل "اسم إشارة")
- "فتقاربا". (فعل + فاعل "ضمير متصل")
- "وسار إلى عمورية". (فعل + جار ومجرور "متعلق به")
- "لم يجهزه أحد كان قبله". (فعل سبق بجازم + فاعل)
- "أن يجعل لجيشه ميمنة". (فعل سبق بناصب + فاعل "مستتر")
- "وكان بينها وبين مدينة انقرة سبع مراحل". (فعل ناسخ + خبره مقدم + اسمه مؤخر)

الجملة الاسمية:

"وهو قريب". (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبره)

"وذاك في رجب". (مبتدأ "اسم إشارة" + خبره "شبه جملة")

" فالميمنة عليها الأفشين". (مبتدأ + خبره "جملة اسمية")

"أن بقية الجيش قد شردوا". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "فعليه")

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤.

"فأول من وصل إليها من الجيش اثنان". (خبر متقدم + إضافات + مبتدأ مؤخر)

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

الأسلوب الذي اعتمده ابن كثير لرواية الأحداث والوقائع التاريخية التي أرخ لها قلل من مساحة وجود (ألفاظ الرواية التاريخية) عند حديثه عن معركة عمورية، وهذا ما يؤكده خلو النص من أي من تلك الألفاظ. وقد كان لخلو النص من (ألفاظ الرواية التاريخية) أثره الواضح على لغة النص، فلو أن المؤلف اعتمد سرد الروايات التاريخية المتعلقة بالمعركة بنصها كما رواها الرواة لكان في ذلك شيء من الإطالة والتعسير؛ لكون هذه الرواية صيغت في أزمان غابرة، فكان من المؤكد أن لغتها لا توافق لغة عصر ابن كثير والتي كانت أكثر نمواً وتطوراً من لغة عصر الرواة السابقين، أضف إلى ذلك أنها ستحد من لمسة الكاتب في النص؛ لأنه سيضطر لسردها بأسلوب ناظمها وفي ذلك تحجيم وحد من أسلوبه الشخصي، ولكن ابن كثير تجاوز كل هذا حينما اعتمد رواية هذه الاحداث بأسلوبه وصياغته الخاصة دون عزوها بأسانيد ثقيلة إلى رواتها.

٤- معجم الآلة الحربية:

لسنا بحاجة هنا إلى سرد أسباب ورود ألفاظ (المعجم الحربي) في النص؛ لأن ما ذكرناه في المباحث السابقة يغنينا عن ذلك، لكنني أورد لكم بعض ما جاء في النص من ألفاظ هذا المعجم: ("الجين"، "العسكر"، "الميمنة"، "دبابات"، "السلالم"، "الخندق"، "قتل"، "حرقوه"، "المجانيق"، "الحصون"، "الأبراج"، "السور"، "المسير")[١].

٥- الأعلام والألقاب والكنى:

بدت آثار رغبة المؤلف في الاختصار واضحة عبر التقنين الشديد في ذكر الأعلام والألقاب والكنى، فقد كان ورودها في النص بشكل مركز دون تكرار، وإذا اضطر إلى تكرار اسم أو لقب كرره بقدر حاجة السياق. أما الكنى فقد خلت ساحة النص تماماً منها. وفيما يأتي بعض الأمثلة من النص:

("المعتصم"، "الأفشين"، "الخليفة"، "ملك الروم"، "أمير المؤمنين"، "مناطس")[٢].

---

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

[٢] : نفسه.

ويلاحظ هنا أن العلم الاخير "مناطس" قد ضبطه المؤرخون السابقون بـــ"يـــاطس"، ولا أدري إن كان ما جاء عند ابن كثير يعد من أخطاء الطباعة أم أنه تـــصحيف فـــي التحقيق، لا سيما وأن الاسم تكرر مرتين في النص بهذا الشكل.

٦- الوصف الخرائطي:

تميز الوصف الخرائطي عند ابن كثير بالتركيز والتقنين، فلم يطلق لنفسه العنان فـــي وصف كل بقعة من بقاع المعركة أو المسير إليها، بل وصف ما اعتقد أن القراء بحاجة إلى معرفته. ومن أمثلته في النص:

("فتقاربا حتى كان بين الجيشين أربعة فراسخ"، "ودخل الأفشين بلاد الروم مـــن ناحيـــة أخرى")[١]، ويلاحظ هنا أن ابن كثير قال "من ناحية أخرى" دون اللجوء إلـــى تحديـــدها؛ لتقديره عدم أهمية معرفة القارئ لهذه الناحية وعـــدم ترتـــب أي شـــيء علـــى فقـــدان معرفتها. وقد استعان في (وصفه الخرائطي) بظروف الزمان، وأدوات القياس، وغيرها مما أشرنا إليه من الأدوات في المباحث السابقة. كما ورد عنده ضبط اسم نهـــر خلافـــا لما ضبطه عليه المؤرخون قبله فجاء عنده باسم نهر "اللسى"، فيما سماه من سبقه نهـــر "اللمس".

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

نتائج الدراسة:

مما سبق عرضه ومناقشته من مباحث يمكننا أن نستخلص عدد من النتائج نختم بها هذه الدراسة:

١- تميزت لغة الخطاب التاريخي بالسهولة والبساطة والبعد عن الزخرفة القولية والتعقيد، كما تميزت بأنها لغة مباشرة يحكمها الأسلوب السردي والروائي.

٢- على مستوى المباني النحوية تميزت لغة الخطاب التاريخي بعلاقتها الوطيدة مع الجملة الفعلية على حساب الجملة الاسمية، كما سجل الفعل الماضي حضوراً لافتاً على حساب بقية الأفعال الأخرى.

٣- يتوقف التعامل مع ألفاظ الرواية –ذكرا أو تجاهلا– في لغة الخطاب التاريخي على المنهجية التي يعتمدها المؤلف في مصنفه.

٤- معجم الآلة الحربية شكل حيزاً في كثير من نصوص لغة الخطاب التاريخي، لا سيما تلك التي تؤرخ للمعارك والحروب.

٥- يكثر في لغة الخطاب التاريخي إيراد الأعلام والألقاب والكنى لارتباطها بالأحداث التي يتناولها المؤرخون.

٦- تشترك لغة الخطاب التاريخي في كثير من مواضعها مع اللغة الجغرافية فيما يتعلق بالوصف الخرائطي، وذلك عبر استخدام عدد من الأدوات أهمها ظروف المكان، وأدوات القياس، وأسماء الجهات.

المراجع:

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨.
- همامي، د. عبد النبي، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة، السنة ٥، العدد ١٣، أبريل ٢٠٠٧.
- جمال الدين، د. السيد مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥.
- حويت، وفاء عباس حسن، دلالة الفعل على الزمن (دراسة نحوية تحليلية) من خلال ديوان النابغة الذبياني، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٧، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٩.
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.
- الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١.
- الجندي، الدكتور علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الجامعة العربية، بيروت.
- اللوقة، ناظم خليل، ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية)، جامعة الأزهر (غزة)، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- عبوة، زينة عبد الرحيم، معجم ألفاظ الحرف والمهن التقليدية في نابلس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.
- يوسف، أحمد، النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥.
- خليل، الدكتور إبراهيم محمود، في اللّسانيّات ونحو النّصّ، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩.
- جنتي فر، محمد، تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، السنة الثانية، العدد السابع، أيلول ٢٠١٢.

- عمايرة، د. حنان إسماعيل، تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي (مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد التاسع، العدد الثالث، تموز ٢٠١٣.
- العنبر، عبد الله العنبر، القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤١، ملحق ٢، ٢٠١٤.
- العنبر، عبد الله، المناهج الأسلوبية والنظريات النصية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٤، ٢٠١٦.
- أحمد، علي زواري. وبلخضر، أحمد، منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الحادي عشر، مايو ٢٠١٧.
- حاج علي، عبد الرحمن، أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية، مجلة آداب ذي قار، العدد ٢٢، ٢٠١٧.
- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.
- مصلوح، الدكتور سعد، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية (آفاق جديدة)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٠.
- أنيس، الدكتور إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- نهر، الدكتور هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١.
- ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: علي شيري، ١٩٨٨.

لغة الخطاب التاريخي
من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري
(دراسة استقرائية تحليلية)

دكتور/ عبد الله شعف عماش الحربي
دكتوراة في اللغة العربية (اللغة والنحو)

المستخلص:

يتناول هذا البحث لغة الخطاب التاريخي عبر دراسة عينة منتقاة من أمهات المصنفات التاريخية من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري في ضوء عدد من المحاور هي: المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والأعلام والألقاب والكنى، والوصف الخرائطي. والهدف الرئيس من البحث في هذا الموضوع هو اكتشاف أهم ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها المميزة. وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: لغة الخطاب التاريخي، المباني النحوية، معجم الحرب، الأعلام الألقاب، الوصف الخرائطي، ألفاظ الرواية، خصائص..

This research deals with the language of historical discourse by studying a selected sample of the mothers of historical works from the third to the eighth centuries AH in light of a number of axes: the syntactic buildings, the expressions of the historical novel, the dictionary of the war machine, the flags, titles and nicknames, and the cartographic description. The main objective of research on this topic is to discover the most important features of the language of historical discourse and its distinctive characteristics. This study followed the descriptive and analytical approach.

أولا: المقدمة:

قصر كثير من الباحثين اللغويين في هذا العصر دراساتهم وأبحاثهم على الموروث اللغوي الذي خلفه لنا الأسلاف من علماء اللغة العربية، فإذا كانت الدراسات اللغوية التي تناولت المصنفات المتخصصة في علوم اللغة العربية قد حظيت بالنصيب الوافر من اهتمام اللغويين وعنايتهم، فإن مما يؤسف أن ذلك الاهتمام لم يتعد إلى غيرها من المصنفات الأخرى في موروثنا الثقافي، وقد ترتب على ذلك زهد كثير من الباحثين في دراسة كنوز لغوية عظيمة في تراثنا العربي؛ فقط لكونها وجدت خارج اهتمامات اللغويين.

وبمرور الزمن، ترسخ خطأً في الأدبيات العربية أن اللغة هي أقوال الرجال على الرجال، متناسين بذلك مجالات عدة يمكن للدراسات اللغوية خوض غمارها، وسبر أغوارها. وصار حالهم في هذا الشأن كحال قوم أدركهم العطش حتى كاد يفنيهم، فجدوا في طلب الماء حتى وقعوا على بئر نزيحة، فتهافتوا عليها، فمنهم من أدرك رشفة، ومنهم من ملأ كفه، ومنهم من أروى ظمأه، ومنهم من لم يبلغ الماء أطراف حلقه. لكن البعض لم يعجبه هذا الزحام، فجد واجتهد حتى وقع على نهر فياض لا يبعد عن تلك البئر شيئاً، فأقبل عليه يعب وينهل، ويدعو أصحابه إلى الورود عليه، وترك تلك البئر التي إن لم تكن قد نضبت، فإن الزحام حولها مؤذن بجفاف قريب لها.

وقد سعيت في هذه الدراسة إلى طرق باب آخر من أبواب الدراسات اللغوية، تمثل في دراسة المصنفات التاريخية التي دونها عدد من المؤرخين العرب في مدة امتدت نحوا من خمسة قرون، للتعرف إلى لغة الخطاب التاريخي التي سادت في تلك المصنفات، واكتشاف ملامحها وأهم خصائصها. وحرصت على أن تكون النصوص المتناولة تمثل خمسة قرون مختلفة، من القرن الثالث حتى الثامن الهجري، ليكون كشف خصائص لغة الخطاب التاريخي أيسر وأقرب، وليكون تعميم النتائج المتوقع التوصل إليها على الفترة الزمنية المحددة مقبولا.

ثانيا: أهداف الدراسة:

١- الإسهام بفتح آفاق جديدة في البحث اللغوي العربي.

٢- التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأبرز خصائصها.

٣- بحث المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي على المستويين الداخلي والخارجي.
٤- دراسة العلاقة بين لغة الخطاب التاريخي وألفاظ الرواية التاريخية.
٥- اكتشاف أهم الألفاظ التي استعملها المؤرخون العرب من معجم الآلة الحربية.
٦- معرفة صور استعمالات الأعلام والألقاب والكنى لدى المؤرخين.
٧- التعرف إلى أسلوب الوصف الخرائطي ودواعي استخدامه لدى المؤرخين العرب.

ثالثا: مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها في مصنفات المؤرخين العرب في الفترة من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري، عبر دراسة النصوص التي تطرقت إلى معركة (عمورية)، ورصد بعض الظواهر اللغوية، لاسيما المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والوصف الخرائطي.

رابعا: منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد سرت فيها وفق المنهجية الآتية:

١- تحديد حادثة تاريخية لتكون نواة لعينة الدراسة (معركة عمورية). والسبب في هذا التحديد هو الرغبة في تتبع لغة الخطاب التاريخي، إذ يتشكل جزء كبير من تلك اللغة على يد المؤرخين، ولن تظهر ملامح تلك اللغة بوضوح في القصص التي تنقل بروايات تاريخية متواترة؛ لأنها ستنقل بأسلوب صائغ الرواية، دون أن تكون هناك فرصة لظهور ملامح لغة الخطاب التاريخي.
٢- تتبع هذه الحادثة التاريخية المختارة (معركة عمورية) في كتب بعض المؤرخين. وقد تتبعت الدراسة ما جاء عن هذه الحادثة عند خمسه من المؤرخين وهم على الترتيب: (الطبري، والمسعودي، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن كثير).
٣- رصد أهم الظواهر اللغوية، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها، وذلك عبر دراسة النصوص عينة الدراسة بمعية المجالات الآتية:
- المباني النحوية.
- ألفاظ الرواية التاريخية.

– معجم الآلة الحربية (الحرب).
– الأعلام والألقاب والكنى.
– الوصف الخرائطي.

٤– تدوين النتائج التي توصلت إليها الدراسة، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها.

والمصنفات التي تناولتها الدراسة هي:

– تاريخ الرسل والملوك للطبري (القرن الثالث الهجري).
– مروج الذهب للمسعودي (القرن الرابع الهجري).
– المنتظم في تاريخ الملوك لابن الجوزي (القرن السادس الهجري).
– الكامل في التاريخ لابن الأثير (القرن السابع الهجري).
– البداية والنهاية لابن كثير (القرن الثامن الهجري).

خامسا: أسئلة الدراسة:

هنالك أسئلة رئيسية تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها، وهي:

١– ما هي ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها؟

٢– ما أهم الألفاظ الواردة في مصنفات المؤرخين العرب التي يمكن اعتبارها ضمن المعجم العسكري العربي؟

٣– ما المنهج الذي تعامل به المؤرخون العرب مع الروايات التاريخية وأسانيدها في مصنفاتهم؟

٤– ما أهم الألفاظ التي كانت سائدة في الوصف الخرائطي في المصنفات التاريخية العربية؟ وما هي الأدوات التي استخدمت للتعبير عن هذا الوصف؟

٥– ما الارتباط الموجود بين ألفاظ الوصف الخرائطي وبين لغة الخطاب التاريخي في المصنفات التاريخية العربية؟

٦– كيف تعامل المؤرخون العرب مع الأعلام والألقاب والكنى عند تناولهم للمادة التاريخية؟

سادسا: الدراسات السابقة:

من الصعوبات التي واجهتها عند التحضير لهذه الدراسة هو ندرة الدراسات التي تطرقت بصورة مباشرة إلى بحث لغة الخطاب التاريخي، وقد توصلت إلى عدد من

الدراسات العلمية التي ناقشت موضوعات تتصل بموضوع دراستي هذه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومنها:

١- دراسة أحمد يوسف (٢٠٠٥). النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية. أظهرت الدراسة أن الفرضيات التي بسطها النحاة الجدد في صرامتها العلمية وتطبيقاتها الحرفية لا تكتسي على جميع الألسن التي تشترك في محيط واحد، ولكن تكمن- أيضا- في الطابع الإجرائي الكامن وراء تلك الدعاوى التي ثارت على تقاليد البحث اللغوي السائد في مطلع القرن التاسع عشر؛ وليس أدل على ذلك أنهم أبعدوا تلك المعتقدات الخاصة بسلسلة من الصلات الصوتية المشتركة بين الكلمات للغتين أو أكثر دون أن تقع في محظور الاستثناءات التي كانت تعترض سبيل الفليلولوجيا. ومن ثم، كانوا يقتربون شيئا فشيئا من فكرة "النسق" système التي بلورتها فيما بعد لسانيات دو سوسير وكذلك فكرة "العمومية" généralité التي صارت صفة لموصوف اللسانيات. وتبين من الدراسة أن المسائل الكبرى التي تطرق لها النحاة الجدد لم تفقد كل راهنيتها في الدراسات اللسانية المعاصرة وإن اتسمت بغياب المتصورات النسقية التي يعود الفضل لدو سوسير في إرساء قواعدها؛ ولهذا ليس من الموضوعية في شيء أن يقلل المرء من إسهاماتهم في فتح آفاق جديدة للسانيات الوصفية المعاصرة التي لم تول ظهرها لبعض القضايا التي كانت مطروحة من قبل. ومن أهم نتائج الدراسة أن اللسانيات التاريخية سعت سعيا حثيثا إلى وصف تطور الأشكال اللغوية أملا في الوقوف على القواعد التي تحكمها من جهة، وكذا صوغ منطق تطور المعنى الذي صار قبلة الدلاليات والسيميائية.

٢- دراسة إبراهيم خليل (٢٠٠٧). في اللّسانيّات ونحو النّصّ. أظهرت الدراسة أن الكلام المنطوق يمثل طبيعة اللغة، وجوهرها، تمثيلا يفوق بدرجات تمثيل الكتابة. فالانفعال والتعاطف والتوكيد والتنغيم أمور لا يكشفها الكلام المكتوب، وتستعرض نموذج سوسير الذي يربط الدراسة اللسانية بعلوم عدة هي: علم الصوتيات، الصرف، علم الدلالة، النحو، علم النص. وتستعرض الدراسة تاريخ الصوت اللغوي وبعض العلماء العرب الذين اهتموا بهذا المجال. وتبين الدراسة أن الصرف متصل اتصالا وثيقا بالصوتيات، لا سيما بالجانب الفونولوجي، فأي إجراء صرفي يلحق بالجذر لا بد أن يصحبه تغيير في البنية الصوتية له. ومن أهم نتائج الدراسة أن ثمة تشابكا بين

المستويين الصرفي والصوتي، وتداخلا بين النحو والصرف، فاللغة تتألف من نظام متعدد: صوتي وصرفي ونحوي ومعجمي لا يمكن إنكار ما بين مستوياتها المتعددة من الترابط والوحدة.

٣- دراسة محمد جنتي فر (٢٠١٢). تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه. أظهرت الدراسة أن دراسة العلاقات التاريخية والثقافية للغة والآداب القومية في علاقاتها باللغة والآداب عند الشعوب الأخرى من القضايا المهمة والمنظورة منذ القدم، وأن مجالات هذا التأثير المتبادل يمكن أن تتناسب مع قضايا اجتماعية وثقافية ودينية وأدبيه ولغوية مختلفة. وتطرقت الدراسة إلى المجال اللغوي ولاسيما مجال التعامل بين اللغتين العربية والفارسية من خلال تناول التغييرات الصوتية والدلالية للمفردات العربية في تاريخ البيهقي بأسلوب وصفي تحليلي وتاريخي. وبينت أن اللغة العربية باعتبارها لغة المبدأ (الأصل) جعلت أساليب اللغة المقصودة أي اللغة الفارسية ولاسيما في مجال المفردات تواجه تحولات وأزمات عدة.

٤- دراسة حنان إسماعيل العمايرة (٢٠١٣). تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي – مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري. هدفت الدراسة إلى رصد ملامح من التطور اللغوي، الماثل في تغير الأنماط التعبيرية اليوم عما كان يمثل عرفا لغويا في الأمس، والتي هي مجموعة من التراكيب اللغوية التي تنظر المعيارية إليها على أنها (ثوابت) حفظت للغة بقاءها وسيلة تواصل بين متحدثيها في مختلف الأزمنة والأمكنة. وتوقفت الدراسة عند كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري والتقطت منه عددا من الأنماط التركيبية اللغوية التي قامت فرضية هذه الدراسة عليها، إضافة إلى التقاط أنماط أخرى من لغة القرآن الكريم، ورصد هذه الأنماط الصحيحة لغويا لتبيان ما آلت إليه في الاستعمال اللغوي الحديث. وتوصلت الدراسة إلى وصف النظرة الحديثة إلى هذه التراكيب من خلال تضمينها في استبانة أجاب عنها خمسون متخصصا في اللغة العربية من طلبة السنة الرابعة، وموضوع الاستبانة هو التراكيب ومدى صحتها في نظرهم. وأسفرت نتائج الاستبانة عن تقييم المستبينين لكثير من هذه الأنماط على أنها (خطأ) أو (ركيكة). وهي في واقع الحال تمثل جزءا من صميم الثابت الصحيح في التراث اللغوي الفصيح وفي هذا ما يشير إلى فجوة حاصلة بين كثير من التراكيب اللغوية المعيارية وما آل إليه الذوق الحديث في

استخدامها. كما يدعو ذلك إلى اتخاذ موقف من هذه الانزياحات اللغوية التي ترتب عليها جعل الصحيح الفصيح مستهجنا أو ركيكا أو خطأ.

٥- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٤). القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية. تؤسس هذه الدراسة لقراءة نقدية تستطلع قوى الهيمنة المؤلفة للنصوص الأدبية على وجه دون آخر، وترصد الطرق الأسلوبية التي تضاعف دلالات البنى وتكسب النصوص الأدبية لذتها وفتنتها وسلطتها وتكون مسؤولة عن أدبية الأدب، وتفسح المجال لتطوير الوعي الثقافي من جيل إلى آخر. وتبين الدراسة أنّ القراءة النقدية تضع الناقد أمام رسالته الحضارية لكي يتسنى له إعادة إنتاج الثقافة وتحويلها إلى أقصى درجات الوعي لمواكبة المناهج النقدية في عالم متغير. وتكشف أنّ النظرية الأسلوبية تحظى بموقع متفرد في النقد الحديث وتتمتع بطرق جمالية تسهم في قراءة النص الأدبي وبيان دلالاته وتجلياته. وتبيّن من خلال الدراسة أنّ النظرية الأسلوبية تعتمد على استراتيجيات بسطت نفوذها في مقاربة النص الأدبي وهي: الاختيار الأسلوبي، والتكرار الأسلوبي والبنية المهيمنة والاستبدال والمفعول الإيحائي والمبدع والرسالة والمتلقي.

٦- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٦). المناهج الأسلوبية والنظريات النصية. أظهرت الدراسة أن الأسلوبية صارت أسلوبيات، وترتب على ذلك اختلاف المناهج الأسلوبية في قراءة النص الأدبي، فقد تجاذبتها عناصر الثالوث النقدي (المبدع والنص والمتلقي)، وشكلت منطلقاتها في استطلاع فرادة النص الأدبي وبيان تجلياته المائزة. وبينت أن الجامع النصي بين المناهج الأسلوبية النظر للأسلوب على أنه عالم من الفرادة وتوظيف للغة على نحو خاص واختيار من البدائل اللغوية وبحث عن المعاني الإضافية (الفائض الدلالي). وكشفت أن الأسلوبية استراتيجية لاكتناه قوى إنتاج الدلالة التي تفجر طاقات اللغة وتموقع عناصرها في مواقع جمالية لم تعهد. وأظهرت أن النص الأدبي نسيج متماسك تتجاذبه (اللذة والمتعة والفراغ المعرفي ومجهول البيان وبؤر التوتر)، ويجتاح مواقع المؤتلف نحو بناء مختلف يقوده العدول المؤسس على الفرادة.

٧- دراسة علي زواري وأمجد بلخضر (٢٠١٧). منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق. تتطرق الدراسة إلى المنهج التحليلي الأسلوبي وإشكالية التطبيق، الذي تبرز إشكاليته في بيان الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء مقاربته النصوص

الأدبية بالمنهج الأسلوبي وما يعتمد عليه من آليات وإجراءات أثناء تطبيقها. وسعت الدراسة إلى إبراز أهم النقاط المتعلقة بفك هذا الإشكال، انطلاقا من تقرير المنهج الأسلوبي وأهميته، ثمّ التعريج على علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى، والاختلاف في بعض المصطلحات في علم الأسلوب، ما أدى إلى اختلاف المنطلقات أثناء التحليل. وأظهرت الدراسة أبرز الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء التطبيق، وأهم الأسباب الكامنة وراء ذلك.

٨- دراسة عبد الرحمن حاج علي (٢٠١٧). أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. واشتملت على محورين أساسيين: المحور الأول تناول " الأسلوب" مصطلحاً نقدياً، في حين تطرق المحور الثاني إلى مدى تأثير المصطلح في قراءة النصوص التراثية وفق النظريات النقدية المعاصرة. وأظهرت الدراسة أن الكثير من النقاد المحدثين لم يتطرقوا إلى معالجة وتحليل التراث الأدبي واللغوي لأسباب عدة، منها وجود صعوبة في إسقاط المصطلحات النقدية المعاصرة على الأعمال التراثية، وانتشار مصطلحات التّعمية على الدرس النقدي واللغوي بعد التوجه نحو الاستيراد والترجمة. وبينت أنه لما كان من الأهداف الرئيسية للنقد خدمة الأدب وتوجيه الكتابة الأدبية نحو الأفضل، كان لزاماً على الكتاب والمبدعين مسايرة التطورات الحاصلة في الساحة الإبداعية، لكنهم وجدوا أنفسهم يبتعدون عن المعايير التي نشأ عليها الأدب العربي، ما وسع الهوة بين التراث والمعاصرة وقطع حبل الوصال بينهما، ولم يبق للمهتمين بالتراث إلا بعض المحاولات لإيجاد مرادفات مناسبة نوعاً ما لقراءة بعض النصوص التراثية. كما أظهرت الدراسة أن الجهود المبذولة لا تزال تتصف بالشتات وعدم تحقيق الفعالية المرجوة في ظل افتقار الدرس النقدي واللغوي العربي لنظرية واضحة، وأنه من خلال قراءة النصوص التراثية وفق نظريات نقدية معاصرة تمّ تحوير وتطوير هذه النظريات لترتكز على أصول ثابتة وتنفتح على تطورات موضوعية مدروسة بعناية، لا تابعة لطوارئ مستوردة.

- **التعليق على الدراسات السابقة:**

استفاد الباحث من الدراسات السابقة من حيث المناهج المستخدمة فيها، والمراجع التي اعتمدت عليها، إضافة إلى البيانات والمعلومات التي وردت فيها. كما استفاد الباحث من النتائج والتوصيات والاقتراحات التي خرجت بها تلك الدراسات.

وركز الباحث في دراسته هذه على أمر لم تتطرق إليه معظم هذه الدراسات، وهو اكتشاف خصائص لغة الخطاب التاريخي عبر مدة طويلة امتدت نحوا من خمسة قرون، عبر دراسة نموذج تاريخي واحد ورد في مصنفات خمسة من المؤرخين العرب في عصور متفاوتة.

لغة الخطاب التاريخي من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري:

أولا: نص محمد بن جرير الطبري من كتابه تاريخ الأمم والملوك:

١- وصف النص:

أفرد الطبري في تاريخه فصلاً للحديث عن وقعه فتح عمورية وقد عنون له بـ"ذكر الخبر عن فتح عمورية"[١]، فأفاض الحديث وأطال في ذكر هذه الواقعة، وسرد أحداثها ومجرياتها، مسجلاً بذلك الكم الأكبر بين النصوص محل الدارسة في تناول هذه الحادثة، ولعل هذا الإطناب من الطبري في ذكر تفاصيل معركة عمورية نابع من كونه قريب عهد بها، فالروايات التاريخية تظهر أن فتح عمورية وقع في عام ٢٢٣ هـ، أي قبل ولادة الطبري بعام واحد فقط[٢]. ما جعله من معاصري هذا الحدث، أو على الأقل من معاصري آثاره وتبعاته.

وقد كان لهذه المعاصر أثر بالغ في تناول الطبري لمعركة فتح عمورية، فالحالة المعنوية التي كان يعشيها الناس في ذلك العصر –نظراً لقربهم من سنه الفتح– تجعل المؤرخ يتردد في تجاوز أدق التفاصيل المتعلقة بالحدث، ناهيك عن أجلها وأعظمها، لاسيما وأن الطبري لم يُسبق إلى توثيق هذه الحادثة إلا من قبل أبو الحسن البلاذري في ورقات موجزة[٣]، فكان يكتب وهو يعلم أنه الأصل الذي سيبني عليه من سيأتي بعده، وأنه الموثق الأول لهذه الواقعة، فتطلب ذلك منه هذا السرد والإطالة.

أضف إلى ذلك أن الطبري قد بنى تاريخه هذا على منهجية الاستفاضة والتقصي لأدق التفاصيل التاريخية، حتى وصف بأنه من أمهات كتب التاريخ المطولة، فلا عجب إذاً أن يفرد فصلاً بهذا القدر من التفصيل والسرد لوقعة عمورية مقارنة بالنصوص المدروسة الأخرى، حتى أنها كانت هي الحدث الأبرز عند حديثه عن أحداث سنة ٢٢٣ هـ.

٢- المباني النحوية:

تعد المباني النحوية (نحو المباني) تطورا إيجابيا لنحو القواعد الذي تقف حدوده عند النظر في أحكام أواخر الكلمات، فيما يفتح نحو المباني المجال واسعا أمام الباحثين للانتقال من طور القاعدة إلى طور الاستعمال[٤]، وكشف أحكام نظم الكلام، وأسرار

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : سير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٤.

[٣] : فتوح البلدان: ٢٠٣.

[٤] : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٢٣-٢٢٤، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، د. عبد النبي هماني: ٢٣.

تأليف العبارات، وفقه العربية[1]. وأنبه هنا إلى أن هذا المبحث من الدراسة يتناول وصف المباني النحوية فقط دون الخوض في جوانب أخرى تتعلق بدلالات وتداوليات تلك المباني، أو غيرهما من المواضيع التي يمكن بحثها في هذا الميدان، وذلك انسجاما مع المنهج الذي انتهجته وبينت ملامحه في مقدمة الدراسة.

ومن المهم هنا أن يتعرف القارئ على الأسباب التي دفعت الباحث إلى دراسة المباني النحوية في النصوص المتناولة، والتي تلخصها الأسئلة الآتية:

١- هل تميزت المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي عن غيرها من المباني النحوية الأخرى في لغات الخطاب المختلفة؟

٢- أي الجمل (الفعلية أم الاسمية) كان لها الحضور الأكبر في نصوص الخطاب التاريخي؟

٣- هل تنوع الحشو داخل المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي؟

٤- هل كان لأي فعل من الأفعال الثلاثة (ماضي - مضارع - أمر) مساحة حضور أكبر من البقية في لغة الخطاب التاريخي؟

وبنظرة فاحصة يكتشف الباحث في نص الطبري أن المباني النحوية قد تنوعت تنوعاً واضحاً وملحوظاً، فقد راوح المؤلف بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في هذا النص، حتى أنك لو قلبت طرفك يمنة ويسرة في النص لا تكاد تجد فقرة قد خلت من هذه المراوحة، مع تفاوت في نسبة حضور كل منهما في كل فترة من فقرات النص. بيد أن الجملة الفعلية سجلت حضوراً كبيراً وفاعلاً في هذا النص، فهي الحاضر الأكبر على فقرات النص، ولعل هذا الكم الكبير من الجمل الفعلية في النص مرده إلى طبيعة المادة المناقشة فيه، فالطبري هنا يناقش مادة تاريخية، أي: أحداث حصلت وانقضت في الزمان الغابر، وطالما أنه حدث فمن الطبيعي أن يكون الفعل أبلغ من الاسم في الدلالة على هذه الأحداث، وأعمق أثراً في نفس القارئ في التعبير عنها[2]. ولهذا السبب أيضاً كانت الغلبة في معركة الأفعال للفعل الماضي في النص بشكل واضح، حتى أنه لا يكاد يخلو سطر في النص من فعلين ماضيين على الأقل، يقابل هذا حضور على استحياء

[1] : إحياء النحو: ٣.

[2] : البحث النحوي عند الأصوليين، ١٤٧، دلالة الفعل على الزمن في ديوان النابغة الذبياني (حوليات آداب عين شمس)، ٤٥٣، دلالة الألفاظ: ٣٢، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٩١.

للفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر، إذ لم يرد في النص إلا نادرا نحو: "فخل"[١]، "انصرفوا"[٢]، و"ادخلوا"[٣]. وقد كان المؤلف كثيراً ما يستعيض عن التعبير بأفعال الأمر الحاصلة في زمان الحادثة بهذه الصيغة (فأمر ...)، ومثاله من النص "فأمر المعتصم فضرب مضربة في ذلك الموضع"[٤]. فعوضت هذه الصيغة إلى حد كبير غياب فعل الأمر في النص.

وقد صاحب تنوع المباني النحوية عند الطبري تنوع في الحشو النحوي داخل هذه المباني على مستوى الجملتين الفعلية والاسمية، وجاء هذا التنويع في الجملة الفعلية عبر (الفعل والفاعل والمفعول به أحياناً)، وفي الجملة الاسمية عبر ركينها (المبتدأ والخبر)، ومن أمثلة تنوع حشو الجملة الفعلية في النص ما يلي:

"أمضى المعتصم الأفشين"[٥].

(فعل + فاعل + مفعول به)

"أخذوا عدة ممن كان في عسكر الملك"[٦].

(فعل + فاعل "ضمير متصل" + مفعول به)

"كتب إلى أشناس"[٧].

(فعل + فاعل "ضمير مستتر")

"يوافيه كتاب أمير المؤمنين"[٨].

(فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل)

"وكان أشناس قد أسر عدة أسرى"[٩].

(فعل ناسخ + اسمة + خبره)

"باتوا فيه"[١٠].

---

[١] : تاريخ الطبري: ٩/٦٠.

[٢] : نفسه: ٩/ ٦٦.

[٣] : نفسه: ٩/٦٨.

[٤] : نفسه: ٩/٦٣.

[٥] : نفسه: ٩/٥٧.

[٦] : تاريخ الطبري: ٩/ ٥٩.

[٧] : نفسه: ٩/٦٠.

[٨] : نفسه: ٩/٥٩.

[٩] : نفسه: ٩/٦٠.

[١٠] : نفسه: ٩/٦١.

(فعل ناسخ + اسمة "ضمير متصل" + خبره " جار ومجرور)
"فسر المعتصم"[١].
(فعل مبنى للمفعول + نائب الفاعل)
ومن أمثلة تنوع الحشو النحوي في الجملة الاسمية:
"والأفشين في الميمنة "[٢]. (مبتدأ + خبر "شبة جملة")
"أنا أجمع بينك وبين الحارث"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر جملة فعلية)
"بينهما سبع مراحل"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)
"أنه وارد"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل " + خبره)

ويلاحظ من الأمثلة السابقة التنويع الواضح في الحشو النحوي على مستوى الجملتين الاسمية والفعلية عبر التقديم والتأخير تارة، واستعمال الضمائر تارة أخرى، وقد أعطت هذه النماذج صورة عامة عن المباني النحوية في نص الطبري، واستعمالات أداتي الحشو والتنويع في المباني النحوية.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

على الرغم من أن المادة المناقشة في هذا النص مادة تاريخية، ومعلوم أن المادة التاريخية العمدة في جمعها وتقصيها على الرواية التاريخية المتناقلة من راو إلى راو آخر، إلا أن الناظر في هذا النص يلاحظ ندرة استعمال ألفاظ الرواية التاريخية فيه. وأعني بألفاظ الرواية التاريخية تلك الألفاظ التي يصدّر بها المؤلفون رواياتهم ونقولاتهم التاريخية، سواء كانت هذه النقولات حرفية أو ضمينه، مثل (رَوى – رُوي – أخبرنا – ورد في – سمعنا من – جاء في الخبر – عن "العنعنة" – ذكر – قال – قيل) والتي لم ترد عند الطبري إلا في مواضع نادرة، ومن ذلك ما جاء عند حديثة عن تاريخ وقعة عمورية مستخدما لفظة (قيل): "وفي هذه السنة شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم، وقيل كان شخوصه إليها من سامرا في سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل في سنة

[١] : نفسه: ٦٢/٩.
[٢] : نفسه: ٦٣/٩.
[٣] : نفسه: ٩/ ٦٦.
[٤] : نفسه: ٩/ ٦٣.
[٥] : نفسه: ٦٢/٩.

اثنتين وعشرين ومائتين بعد قتله بابك"[1]. ومنه أيضا استعمال لفظة "قال" عند إسناده رواية لـ(مالك بن كيدر): "قال مالك بن كيدر: فدعوا الناس كلهم، خذوا ما أخذتم، ودعوا الباقي، فترك الناس السبي والمقاتلة وانصرفوا راجعين يريدون عسكر أشناس"[2]. وأنت تلاحظ أن المرة الأولى كانت على وجه التشكيك "قيل"، والثانية على وجه الجزم "قال".

ولعل السبب في ندرة ألفاظ الرواية التاريخية في نص الطبري يرجع إلى المنهج الذي اختاره المصنف، فقد اعتمد في رواية الأحداث على صياغته الشخصية للحدث والخبر المنقول، حرصاً منه على تبسيط مادة النص للتناول والقراءة، وطرد السآمة والملل عن المستمعين والقراء، لا سميا إذا عرفنا أنه كان يملى تاريخيه هذا على تلاميذه في ظل تذمرهم من طوله وكبر حجمه، وهو ما أكده الذهبي في سيره إذ يقول: "عن القاضي أبو عبد الله القضاعي: حدثنا علي بن نصر بن الصباح، حدثنا أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمسار، وأبو القاسم بن عقيل الوراق: أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة"[3]. فكان من البديهي أن يعمد الطبري إلى مادة سهلة ميسرة بعيدا عن العنعنة، وكثرة ألفاظ الرواية التاريخية، وقد شجعه على ذلك كون المادة المنقولة ليست نصاً من النصوص المقدسة التي لا تقبل إلا عبر إيرادها كما هي دون إعادة صياغة، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي الشريف –عند من يرى بتوقيفية ألفاظه–[4].

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

بما أن الحديث في هذا النص يتعلق بمعركة عمورية فليس من المستغرب أن ترد في النص بعض الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالمعارك والحروب، خاصة ونحن نعلم أن لكل بيئة (صنعة) ألفاظها ومصطلحاتها الخاصة بها، والمعبرة بدلالاتها عن مكونات

[1] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[2] : نفسه: ٦٢/٩.

[3] : سير أعلام النبلاء: ٢٧٥/١٤.

[4] : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: ١٤.

هذه البيئة ومحتوياتها[1]، وقد أردت بهذا المصطلح (معجم الآلة الحربية) التعبير عن الألفاظ المتعلقة بالمعارك والحروب[2].

فكما أن للمحدثين معجما، وللوراقين معجما، وللزراعين معجما، وللبحارة معجما، فكذلك للحروب والمعارك معجمها الخاص، ولقد حفل النص بكم زاخر من ألفاظ هذا المعجم، حتى إنك لا تكاد تفقدها ولو في ورقة واحدة من أوراقه، وقد كانت بعض ألفاظ هذا المعجم عربية، وبعضها الآخر معرّباً، وكانت تذكر أحياناً استرسالاً في موضع واحد، وأحياناً أخرى تنثر في مواضع عدة بحسب ما يقتضيه سياق الحديث، ومن هذه الألفاظ:

– "تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط، من السلاح، والعدد، والآلة، وحياض الأدم، والبغال، والروايا، والقرب، وآلة الحديد والنفط"[3]. وقد وردت ألفاظ الحرب هنا استرسالا في فقرة واحدة.

– ("المقدمة"، "القلب"، "الميمنه"، "الميسرة")[4]، "فكمن"[5]، "عساكر"[6]، "المنجنيق"[7]، "كردوس"[8]، "دبابة"[9]. وأنت تلحظ في الألفاظ السابقة أنها تنوعت بين الأسماء (المفرد والجمع) والأفعال، وأن بعضها احتفظ بدلالته اللغوية التي تتفق مع دلالته الاصطلاحية (الحربية)، وبعضها الآخر لم تتفق دلالته الاصطلاحية مع اللغوية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

من العلامات البارزة التي يمكن أن تستوقف الباحث في هذا النص، كثرة الأعلام والألقاب والكنى التي أوردها الطبري، حتى إنك لتشعر في الوهلة الأولى، أنك تطالع مصنفا من مصنفات التراجم وسير الرجال. ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: لماذا كل هذا الكم من الأعلام والكنى والألقاب في النص؟

---

[1] : معجم ألفاظ الحرف والمهن في نابلس، ٢٢.

[2] : ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي، ١٢. شعر الحرب في العصر الجاهلي: ٦١.

[3] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[4] : نفسه.

[5] : نفسه: ٥٨/٩.

[6] : نفسه: ٦٣/٩.

[7] : نفسه: ٦٥/٩.

[8] : نفسه: ٥٨/٩–٦٢.

[9] : نفسه: ٦٥/٩.

والإجابة على هذا التساؤل تحتم علينا الرجوع إلى طبيعة المادة المتناولة في النص (المادة التاريخية)، فالمصنف هنا يؤرخ لأحداث وأبطال، ورواية المؤلف لوقائع معركة عمورية دون ربط كل فعل بصحابة ونسبته إليه تعد في ذلك العصر قصوراً في الكتاب، لاسيما أن مشاهد المعركة لازالت حاضرة في أذهان كثير من أبناء ذلك الجيل نظراً لقرب عهدهم بها، أو لقرب عهدهم بمن عاصرها، ما سيجعل عزل الأحداث عن محدثيها قصوراً في نظرهم، إضافة إلى أن فيه نوع من الإجحاف المتمثل في عزل الإنجازات عن منجزيها، هذا فيما يتعلق بالأسماء والألقاب والكنى المرتبطة بالمسلمين، أما فيما يتعلق بالألقاب والأسماء والكنى المرتبطة بجيش الروم، وكثرة ورودها، وتكرار بعضها في مواضع متفرقة، فلعل مرده إلى مشاعر الفخر والاعتزاز لدى أبناء ذلك الجيل من المسلمين بعد هذا الانتصار في معركة عمورية، وكأنه يقول: قتلنا قادة الروم العظام، فلان وفلان وفلان، أصحاب تلك الأسماء الرنانة، وهؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا يقهرون قد قهرناهم، وأذقناهم أصناف الذل والهوان. فكان ذكر هذه الأسماء مهما عنده، لأنه يعبر عن مدى المجد والنصر الذي حققه المسلمون.

ومما يدعم هذا التأويل ما سبق وذكرنها عند حديثنا عن غياب أفعال الرواية في النص، فقد قررنا أن المؤلف عزف عن ذكر أسماء الرواة والمخبرين كراهة الإطالة والسآمة، وخوفاً من الإثقال على القراء والمستمعين الذين أملى عليهم كتابه، فما الذي سيجعله هنا يتخلى عن هذا التحفظ على ذكر الأسماء غير ما ذكرنها من ارتباط تخليه عن تحفظه بمشاعر الفخر والاعتزاز بانتصار المسلمين وتفوقهم على أعدائهم.

وقد كثرت الأسماء والألقاب والكنى الأعجمية في النص، لكون هذه المعركة بين الروم وهم أعاجم، والمسلمين وفيهم كثير من قواد المعتصم الأتراك والفرس، إضافة إلى الأسماء والألقاب والكنى العربية الواردة في النص. ومما يستلطف هنا أن الطبري استوقفه –على كثرة ما ذكر من الأسماء الأعجمية– اسم أعجمي، ففسره في استطراد لغوي لطيف، وذلك حين قال: "رجلاً من قواد الروم يقال له (وندوا) وتفسيره بالعربية (ثور)"[1]. فلماذا حرص على تفسير هذا الاسم دون غيره من الأسماء الأعجمية الأخرى التي جاء على ذكرها؟

لعل الأمر هنا عائد إلى أحد الافتراضات الآتية:

[1] : تاريخ الطبري: ٦٧/٩.

الأول: أن يكون هذا التفسير جاء بشكل اعتباطي شاذ عن المنهجية التي سار عليها المصنف فيما يتعلق بتفسير الأسماء التي يوردها. وهذا الافتراض مستبعد جملة وتفصيلاً؛ لأن ما أبداه الطبري من منهجية منضبطة -إلى حد كبير- في مصنفه هذا تبطل هذا المذهب.

الثاني: أن يكون تفسيره لهذا الاسم تحديداً نابع من جهله بمعنى سواه، وهذا الافتراض مردود ومرفوض أيضاً؛ لأن موسوعية الطبري، ولطائفة الفريدة والرائعة التي يوردها في مؤلفاتها ترد هذا التأويل.

الثالث: وهو أن يكون إفراده هذا الاسم بالشرح والتفسير نابع من استلطافه لمعناه (ثور)، فأراد أن يملي معنى هذا الاسم الأعجمي على طلابه ليشاركوه هذا اللطيفة، والتي قد تكون مشوبة بشيء من التهكم. وهذا الافتراض أكثرها مقبولية.

وفي نهاية هذا المبحث أورد بعض الأسماء والأعلام والألقاب والكنى التي جاء على ذكرها الطبري في نصه محل الدراسة: "المعتصم"[١]، "أشناس"[٢]، "الفرغاني"[٣]، "عمرو"[٤]، "إيتاخ"[٥]، "الأفشين"[٦]، "خيذر"[٧]، "كاوس"[٨]، "أمير المؤمنين"[٩]، "الأسقف"[١٠]، "مالك بن كيدر"[١١]، "ياطس"[١٢]، "أبا العباس"[١٣].

٦- الوصف الخرائطي:

وأعني به الحديث عن المواقع الجغرافية المتناولة في مادة النص المدروس، سواء عبر الوصف التفصيلي الدقيق لها، أو عن طريق الإشارة إليها دون تفصيل. ومثل هذا

---

[١] : نفسه: ٥٧/٩.
[٢] : نفسه.
[٣] : نفسه: ٥٨/٩.
[٤] : نفسه: ٥٩/٩.
[٥] : نفسه: ٦٩/٩.
[٦] : نفسه
[٧] : نفسه: ٥٧/٩.
[٨] : نفسه: ٧٠/٩.
[٩] : نفسه: ٦٣/٩.
[١٠] : نفسه: ٥٨/٩.
[١١] : نفسه: ٦٠/٩.
[١٢] : نفسه: ٦٤/٩.
[١٣] : نفسه: ٦٦/٩.

الوصف لا يستغرب أن يقع عليه الباحث في كتب الجغرافيا العربية مثلاً، أو كتب تاريخ البلدان والمدن، ولكن الذي قد يستغرب هو ظهور مثل هذا الوصف وبشكل واضح، عبر مساحات واسعة في كتب التاريخ والحوادث، غير أن هذا الحضور البارز للوصف الخرائطي في نص الطبري له ما يبرره، فكما هو معلوم أن النص يتناول وقعة عموريه، وهي وقعه حصلت في بقعة من بقاع الأرض، والمعتصم حين قصد فتحها والمسير إليها خرج من بقعة أخرى، وأثناء هذا المسير كان المرور على عدد من المدن والبلدان، والمؤلف في كل هذا بمنزلة الصحفي –وفق مفهوم هذا العصر– المرافق لوفد عسكري يرصد تحركاته، ويصف خطواته ومراتعه، فكان من المهم جداً عنده وصف هذه البقاع والمدن التي شملتها المعركة، ودارت أحداثها فيها.

وحُقَّ لسائل أن يسأل هنا لماذا أكثر الطبري من استخدام (الوصف الخرائطي) مقارنة بالنصوص الأخرى المتناولة في هذا البحث، على الرغم من أن المبرر الذي سقناه في الفقرة السابقة منطبق تماماً على كل المؤرخين الذين أرخوا لهذه المعركة، ودونوا أحداثها؟

والجواب على هذا التساؤل من وجهين:

الأول: ما قررناه في مبحث سابق فيما يتعلق بقرب عهد الطبري من هذه المعركة وعمق أثرها في نفسه، وأثرها في نفوس أبناء ذلك العصر بصورة عامة، والتي كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لهم، ما انعكس على اهتمامهم بأخبار هذه الواقعة، والحرص على أدق تفاصيلها، والخريطة المكانية لبقاع وساحه المعركة تعد ضمن هذه التفاصيل المشمولة بالعناية والمتابعة.

الثاني: وضع المنهج الذي اعتمده الطبري في الحسبان، والذي كان يعتمد الإطناب والحرص على التقصي ومتابعة أدق تفاصيل الأحداث التي يؤرخ لها، فكان من البديهي أن يلتفت إلى كثير من التفاصيل التي يزهد فيها غيره من بعض المؤرخين تبعاً لمناهجهم في الكتابة، ومن أبرز هذه التفاصيل (الوصف الخرائطي) لساحه وميادين المعركة، والتي أكد المصنف من خلالها دقته في الوصف والتجسيد، حتى إنك لتشعر أحياناً وأنت تقرأ بعض هذه الأوصاف بأنك جندي من جنود هذه المعركة، أو حتى قائد من قوادها؛ لأنه يصور لك المكان والموقع وكأنك تراه، وفيما يأتي طرف من نماذج الوصف الخرائطي الواردة في النص:

– "ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللمس، وهو على سلوقية قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وأمضي المعتصم الأفشين خيذر بين كاوس إلى سروج، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدث"[٢].

– "حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"[٣].

– "فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل، وبرز معه من نشط من الناس، ثم برز فضرب دابته بالسوط، فركض قريبا من ميلين ركضا شديدا، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه"[٤].

– " فأخبروهم أن الملك كان معسكرا على أربعة فراسخ من اللمس، حتى جاءه رسول، أن عسكرا ضخما قد دخل من ناحية الأرمنياق"[٥].

– "فوجه خلف الضياع فبنى وجه السور بالحجارة حجراً حجراً، وصير وراءه من جانب المدينة حشواً، ثم عقد فوقه الشرف كما كان"[٦].

والملاحظ من هذه الأمثلة مدى الدقة والبراعة التي تجلت عند الطبري عبر وصفه وتجسيده لمواقع المعركة وميادينها، حتى وكأنه لا يتكلم وإنما يرسم مجموعة فريدة من الخرائط والرسومات المعبرة عن مواقع القتال، وقد استعان بأدوات عدة في وصفه الخرائطي للمعركة، من أبرزها (ظروف المكان، أسماء المدن والبلدان، أسماء الأنهار والقرى والدروب، وأدوات القياس مثل: مرحلة – فرسخ – ميل).

ثانيا: نص أبي الحسن علي المسعودي من كتابه مروج الذهب:

٢– وصف النص:

لم يفرد المسعودي مساحة واسعة للحديث عن معركة عمورية، بل نراه اختزل الحديث عن هذه الحادثة في ورقة واحدة فقط، حتى أنه لم يجعل هذه الورقة خالصه تماماً للحديث عن وقعة عمورية، ولكنه استقطع ربعها الأول لإتمام حديث في موضوع

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : نفسه.

[٣] : نفسه: ٦٠/٩.

[٤] : نفسه:

[٥] : نفسه: ٦١/٩.

[٦] : نفسه.

سابق. ويعد هذا الاختزال اختزال مبرر ومقبول، إذ أن المسعودي يكتب بمنهجية تخالف منهجية الطبري في تاريخه، والذي كان يقصد الإطالة وتتبع التفاصيل عند تناوله الأحداث التاريخية، وجعل القارئ محيطاً بجميع جوانب الحادثة المتناولة، في حين أن المسعودي تجاوز هذا كله إلى مصنف يجد فيه الفاحص حضوراً لمعظم الأحداث التاريخية مع التضحية ببعض الجزئيات والتفاصيل العامة على حد تقدير المؤلف، فالحوادث المتناولة في الكتابين تكاد تكون واحدة، لكن الفرق في منهجية تعامل كل من المؤلفين مع هذه الوقائع والأحداث.

وهذه المنهجية هي التي دفعت المسعودي إلى عدم تخصيص عنوان مفرد ومستقل لوقعة عمورية، فتراه أوردها أثناء حديثه عن حوادث سنه ٢٢٣ هـ دون ذكر ميزة لها على حوادث ذلك العام، ولعل السبب في ذلك –إضافة إلى ما ذكرناه– التقدير الشخصي للمصنف، فالطبري قدر في أن معركة عمورية حدث بالغ الأهمية، وجدير بأن يكتب بحروف من ذهب تخليداً له في ذاكرة الأجيال، وشغلت هذه الفكرة حيزاً من تفكيره، وظهرت بالتالي عبر إطنابه في ذكر تفاصليها الموقعة، فيما قدر المسعودي أن هذا الحدث وإن كان بالغ الأهمية إلا أنه من الممكن الاختصار فيه واختزال بعض تفاصليه دون المساس بأهميته.

٢– المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند المسعودي متنوعة مبنى وحشواً، مبنى عبر المراوحة بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وحشواً عبر التغيير الداخلي في أركان كل جمة على حدة. ففي الجملة الفعلية جاء التغيير على مستوى ركنيها الفعل والفاعل وأحيانا المفعول به، وفي الجملة الاسمية على مستوى ركنيها المبتدأ والخبر، وكان التغيير في حشو كلا الجملتين يظهر من خلال عدة صور، من أبرزها: التقديم والتأخير، والظهور والاستتار في بعض أركانها، فيما سجلت الجملة الفعلية حضوراً أوسع من حضور الجملة الاسمية، وكان الفعل الماضي كان هو صاحب الحضور الأكبر، في ظل وجود منافسة ضعيفة من الفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر. وفيما يأتي بعض نماذج تنوع المباني النحوية على مستويي التركيب والحشو:

الجملة الفعلية:

– "خروج المعتصم". (فعل + فاعل)

- "فتح المعتصم حصوناً". (فعل + فاعل + مفعول به)
- "تعمم بعمامة". (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + جر ومجرور متعلق بالفعل)
- "جعل على مقدمته أشناس". (فعل + جر ومجرور + فاعل)
- "أراد المسير". (فعل + فاعل " ضمير مستتر" + مفعول به)
- "يتلوه محمد". (فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل مؤخر)
- "نُصبت الأعلام". (فعل مبني للمفعول + نائب فاعل)
- "نودي في الأمصار". (فعل مبني للمفعول + جر ومجرور)
- "كان الأفشين قصر عن أخذ الملك". (فعل ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "فلم يكن يحصي الناس العدد". (فعل ناسخ + خبر "جملة فعلية" + اسمه)

الجملة الاسمية:

- "هو ملك". (مبتدأ + خبر)
- "الملوك يبقي بعضها على بعض". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "فالمكثر يقول". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "أن ناساً قد بايعوه". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "وأنه كاتب". (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل" + خبره "جملة فعلية")

ونسجل أخيراً ملاحظة مهمة، وهي أن المباني النحوية رغم تنوعها في النص إلا أنها كانت بعيدة كل البعد عن التعقيد والتكلف، بل كانت بسيطة وميسرة، مجارية لمادة النص وطبيعته.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

إن من أبرز الملاحظات التي يمكن تدوينها في حق هذا النص هي غياب ألفاظ الرواية التاريخية بشكل تام عنه، ليس هذا وحسب، بل إن المؤلف لم يشر حتى ولو إشارة بسيطة إلى ما يعبر عن هذه الألفاظ، ومن الممكن هنا أن نرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور:

- المنهج الذي تعامل به المؤلف مع الروايات التاريخية وأسانيدها، إذ اعتمد حذف الأسانيد (العنعنة) من الروايات وإيرادها مجردة من أسماء رواتها ومحدثيها، ويكفي للوقوف على ذلك قراءة أي حادثة من الحوادث التي أرخ لها المسعودي في كتابه هذا.

– الصياغة الشخصية للأحداث والوقائع، والتي اعتمد عليها المسعودي كثيراً، فهو ينقل الرواية التاريخية معنى لا نصاً، في اعتماد ملحوظ على أسلوبه الذاتي، والذي هو بالتأكيد أقرب إلى أذهان أبناء جيله من أن يسوق لهم رواية تاريخية بشكل نصي.

– ميل المسعودي إلى الاختصار بشكل عام، فقد ألف مصنفه هذا معتمدا على الإيجاز في السرد، وقد يكون نزوع المؤلف إلى الاختصار مرده إلى رغبته بأن يكون كتابه مادة ميسرة لطلاب العلم، لا سيما الناشئة منهم، فنراه أقرب ما يكون إلى كونه كتابا تعليميا يسهل على العامة قراءته وتناول مادته العلمية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

لو أنَا قيمنا ألفاظ معجم الحرب الواردة في النص مقارنة بحجمه لوجدنا أن نستبها مرتفعة جداً، فقد ورد في النص خمس وعشرون لفظة من ألفاظ الحرب، أي بمعدل لفظة لكل سطر، وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، وكان لكل منها دلالته الخاصة ذات الصلة بالحروب مع احتفاظ بعضها بدلالتها اللغوية الأصلية، ومن ألفاظ الحرب الواردة في النص: (نافراً – دُرَّاعة – الغزاة – عسكر – الأعلام – النفير – المطوعة – مقدمته – ميمنة –ميسرته – ساقته – القلب – الثغور – فحاربه – هزمه – قتل – حماه – فتح – حصوناً – أسر – يهدم – يحرق – المسير).

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

لا نبحث عند حديثنا عن الأعلام والكنى عن عدد هذه الأسماء ومقدار حضورها في النص، بل نبحث في الدرجة الأولى عما إذا كان وجودها يعد ميزة من مزايا لغة الخطاب التاريخي أم لا. وقد ورد في نص المسعودي عدد من الأسماء العربية والأعجمية، وهي أسماء بعض المشاركين في معركة عمورية من قادة وجنود، كما وردت بعض الألقاب المرتبطة ببعض المشاركين في هذه المعركة، فيما غابت الكنى بشكل تام عن النص. ومن أمثلة الأعلام والألقاب ما يأتي:

الأعلام العربية:

(المعتصم – محمد بن إبراهيم – العباس).

الألقاب العربية:

(أمير المؤمنين – الخياط).

الأعلام الأعجمية:

(أشناس – إيتاخ التركي – لاوى – ياطس – البطريق – الأفشين).

٦- الوصف الخرائطي:

السبب في وضع مبحث (الوصف الخرائطي) ضمن مباحث الدراسة هو كونه يضم في طياته منظومة من الألفاظ ذات الدلالة الخاصة، ومجموعة من الأدوات والأساليب اللغوية المرتبطة به، هذا من جانب، ومن جانب آخر الرغبة في معرفة مدى الارتباط بين الوصف الخرائطي ولغة الخطاب التاريخي. وقد ورد في نص المسعودي عدة مواضع تدخل ضمن هذا المبحث، منها:

- "ونصبت الأعلام على الجسر".
- "فعسكر في غربي دجلة".
- "وسار المعتصم من الثغور الشامية، ودخل من درب السلامة، ودخل الأفشين من درب الحدث، ودخل الناس من سائر الدروب".
- "وأراد المسير إلى القسطنطينية والنزول على خليجها، والحيلة في فتحها براً وبحراً".

والملاحظة الأبرز التي يمكن رصدها عبر استعراض الأمثلة السابقة هي غياب (الوصف الخرائطي) العميق كما شاهدناه في نص الطبري، وكذلك ندرة ظروف المكان، والتي تعد من أهم أداوت (الوصف الخرائطي) التي يمكن للمؤلف الاعتماد عليها، كذلك كثرة استعمال الجار والمجرور في جمل الوصف، واستعانته بأسماء المدن والدروب وبعض الأنهار، وأسماء الجهات.

ثالثا: نص ابن الجوزي من كتابه المنتظم تاريخ الملوك والأمم:

١- وصف النص:

يعد كتاب المنتظم من أمهات كتب التاريخ في الحضارة الإسلامية، ومن الكتب المميزة في الموروث التاريخي للعرب. والحق أن هذا التميز لم يكن وليد الصدفة؛ بل هو وليد منهجية منضبطة سار عليها ابن الجوزي في تصنيفه لهذا الكتاب، والتي اعتمد فيها على البسط والإطناب في تتبع الحوادث التاريخية وتوثيقها، إضافة إلى ما عرف عن ابن الجوزي من العناية الشديدة بمصنفاته، والحرص على ظهورها بأحسن صورة. ومن هنا كان حديث المصنف عن معركة عمورية فيه شيء من البسط والإطالة، دون إفراد فصل مستقل لها، فقد ساق الحديث عنها سرداً ضمن حوادث ذلك العام. ومن

الامور التي يمكن ملاحظتها عند ابن الجوزي دون غيره من عينة الدراسة الاستطراد في بعض المواضع، كذكره لقصة يعقوب بن جعفر[١]، وحبس المعتصم للعباس بن المأمون[٢]. كما أن نص ابن الجوزي، تميز بإيراد بعض الأبيات الشعرية التي نظمت بمناسبة بعض أحداث هذه المعركة، ومن ذلك إيراده لأبيات محمد بن عبد الملك الزيات التي قالها في فتح عمورية[٣]، ولبيت ردده المعتصم[٤]، ولا شك أن هذه الإيرادات الشعرية كان لها دور فاعل في النص على مستوى التوثيق وتعزيز مصداقية النقل من جانب، ومن جانب آخر على مستوى تخفيف ثقل المادة التاريخية التي قد يكون الاسترسال فيها مورثا للسآمة والملل، ما يجعل إضافة مثل هذه التعليقات الأدبية مناسبا في هذا المقام.

٢- المباني النحوية:

سجلت الجملة الفعلية حضوراً لافتا (كماً ونوعاً) في النص، فيما تراجعت الجملة الاسمية في المقابل، مع احتفاظها بالتنوع على مستوى الحشو النحوي، وقد كان الفعل الماضي هو الحاضر الأكبر في النص، في حين أن ندرة حضور فعل الامر ظلت مستمرة، مع ملاحظة الحضور المحتشم للفعل المضارع، وفيما يأتي أمثلة على المباني النحوية في النص:

الجملة الفعلية:

- "بعث الأفشين"[٥]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "أمر المعتصم أشناس"[٦]. (فعل + فاعل + مفعول به)
- "أحضر القضاة"[٧]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "فأمره"[٨]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به "ضمير متصل")
- "فإن أردت الخروج"[١]. (فعل مضارع سبق بناصب + فاعل مستتر + مفعول به)

---

[١] : المنتظم: ٨٢/١١.
[٢] : نفسه: ٨٣/١١.
[٣] : نفسه: ٨٤/١١.
[٤] : نفسه: ٧٨/١١.
[٥] : نفسه: ٧٩/١١.
[٦] : نفسه.
[٧] : نفسه.
[٨] : المنتظم: ٧٩/١١.

– "كان السبب في ذلك تضييق الأفشين"[٢]. (فعل ناسخ + جار ومجرور + اسمه + خبره)

– "كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين"[٣]. (فعل ناسخ + اسمه + خبره "شبه جملة")

– " فطرحت الجلود"[٤]. (فعل "مبني للمفعول" + نائب فاعل)

الجملة الاسمية:

– "هي وقف"[٥]. (مبتدأ "ضمير" + خبر)

– "وهم يتقدمون"[٦]. (مبتدأ "ضمير" + خبر "جملة فعلية")

– "الرجل ممكن"[٧]. (مبتدأ "اسم ظاهر" + خبر "اسم ظاهر")

– "في دار لي"[٨]. (مبتدأ "ضمير مستتر" + خبر "شبه جملة")

– "أن العباس دسّ رجلاً"[٩]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")

– "لكن أشهد الله أني جعلت"[١٠]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير مستتر" + خبره "جملة فعلية")

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

بدى واضحاً أن ابن الجوزي تجنب الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالأحداث التاريخية، وتجلى ذلك عبر عزوفه عن ذكر أي من (ألفاظ الرواية التاريخية) رغم ما قررناه في مبحث سابق من أن المادة التاريخية العمدة فيها على الرواية، إذ لم يرد في النص ذكر لها إلا في موضعين، مرة عند الحديث عن تاريخ خروج الجيش الإسلامي حين قال: "وقيل: كان ذلك في سنة اثنين وعشرين. وقيل: سنة أربع وعشرين"[١١]، ومرة

---

[١] : نفسه: ٧٨/١١.

[٢] : نفسه: ١١/ ٧٨–٨٣.

[٣] : نفسه: ١١/ ٨١.

[٤] : نفسه: ٨١/١١.

[٥] : نفسه: ٨٣/١١.

[٦] : نفسه: ٨٢/١١.

[٧] : نفسه: ٨٣/١١.

[٨] : نفسه.

[٩] : نفسه.

[١٠] : نفسه.

[١١] : المنتظم: ٧٩/١١.

أخرى عند روايته لحكاية يعقوب بن جعفر بالسند حين قال: "وروى أبو بكر الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني يعقوب بن جعفر بن سليمان ..."[1].

ولسائل هنا أن يسأل لماذا سلك المؤلف هذا المسلك في تعامله مع ألفاظ الرواية التاريخية رغم أنه اعتمد منهجية الإطناب والإطالة في تأليفه لهذا المصنف؟

ولعل السبب في ذلك هو أن المصنف قد اعتمد منهجية الإطالة الموجهة، فجاء تهميشه لألفاظ الرواية التاريخية انطلاقاً من كونها –في تقديره– لن تقدم أو تأخر في المادة التاريخية المطروحة، فكان التخلي عنها هو الأولى.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

يعد نص ابن الجوزي أكثر نصوص عينة الدراسة إيرادا لألفاظ معجم الحرب، إذ كان حضورها في النص لافتا، وكما قلنا عند حديثنا عن النصوص السابقة أن هذا الحضور غير مستغرب البتة، لكون الحديث هنا عن معركة عمورية، فكان من المتوقع شغل هذه الألفاظ لمساحة واسعة في النص. ومن أمثلة هذه الألفاظ:

– ("السلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والحمير والبغال والروايا والقرب وآلة الحرب، والحرير والنفط"، "الدم")[2].

– ("ضربت عنقه"، " فأسرهم وخرب بلدهم "، " فأغار"، " حصون "، "مقاتلة")[3].

وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة) والمصادر أحياناً، فيما كان بعض تلك الألفاظ يحمل دلالة لغوية واصطلاحية واحدة، وبعضها الآخر اختلفت دلالتها اللغوية عن دلالتها الاصطلاحية ذات الصلة بمعجم الآلة الحربية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

ورد في النص العديد من الأعلام والألقاب والكنى، وقد كان بعض هذه الأعلام والألقاب عربيا، وبعضها الآخر أعجميا، أما الكنى فقد كانت عربية خالصة، ولم يرد في النص أي كنية أعجمية، وقد عبرت الأعلام والألقاب والكنى العربية عن جيش المسلمين، أما الأعلام الأعجمية فقد عبر جزء منها عن جيش المسلمين (قواد المعتصم

[1] : نفسه: ٨٢/١١.

[2] : نفسه: ٧٧/١١.

[3] : نفسه: ٧٨/١١.

من الفرس والأتراك)، وعبر جزؤها الآخر عن جيش الروم الذي لاقاه المعتصم في هذه الواقعة. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

- ("توفيل"، "ميخائيل"، "الأفشين"، "بابك"، "جعفر"، "دينار"، "إيتاخ"، "ملك الروم"، "عجيف"، "عنبسة"، "المعتصم")[1].
- ("أشناس"، "محمد"، "إبراهيم"، "الصولي"، "البطريق")[2].
- ("أبوبكر"، "السمرقندي"، "الحارث"، "العباس")[3].

ولعل التساؤل المهم طرحه هنا هو: لماذا تم إضافة هذا المبحث (الأعلام والألقاب والكنى) ضمن مباحث الدراسة؟

ويكفي للإجابة على هذا التساؤل أن نشير إلى الثمرة المرجوة من تناول هذا المبحث، وهي: الكشف عن مدى ارتباط (الأعلام والألقاب والكنى) بلغة الخطاب التاريخي، والبحث عما إذا كان من الممكن عدها من العلامات البارزة التي تميز بها الخطاب التاريخي؟

٦- الوصف الخرائطي:

يمكن الربط بين منهجية الكاتب التي اعتمدها في التأليف وبين حجم مواضع (الوصف الخرائطي) في النص، فكلما كانت منهجية المؤلف قوامها البسط والإطالة كانت رقعة الوصف الخرائطي أوسع في النص، أما إذا كانت منهجيته مرتكزة على الاختصار والإيجاز كانت رقعة الوصف الخرائطي -على الأغلب- أضيق.

وهذا تماماً ما يؤكده تتبع مواضع الوصف الخرائطي في نص ابن الجوزي، والتي حظيت بشيء من البسط والتوسع على امتداد النص تبعاً للمنهجية التي اعتمدها المصنف. وفيما يأتي بعض الأمثلة:

- ("عسكر في غربي دجلة"، "ووجه عجيف بن عنبسة في جماعة من القواد إلى زبطرة")[4].
- ("فدخل بلاد البروم، فأقام على سلوقية قريباً من البحر"، "ودبر النزول على أنقرة"، "وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طرطوس")[1].

---

[1] : المنتظم: ٧٨/١١.
[2] : نفسه: ٧٩/١١.
[3] : نفسه: ٨٣/١١.
[4] : نفسه: ٧٨/١١.

– ("حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"، "وبين كل عسكر وعسكر فرسخان"، "فصار لكل قائد ما بين البرجين إلى عشرين برجاً")[٢].

ويمكنك هنا ملاحظة أن المؤلف قد استعان في وصفه الخرائطي بمجموعة من الأدوات أبرزها: (الظروف المكانية، أسماء المدن والقرى والبلدان، أسماء الجهات، أسماء الأنهار).

رابعا: نص ابن الأثير من كتابه الكامل في التاريخ:

١– وصف النص:

من المهم هنا أن أشير إلى أن ما قلناه عند وصفنا لنص الطبري صالح –إلى حد كبير– لتعميمه على نص ابن الأثير، فالقواسم المشتركة بين النصيين كثيرة، وهذا ما أكده ابن الأثير في مقدمته حين شرع في شرح منهجيته ومصادره في تصنيف هذا الكتاب إذ يقول: " فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا.

ولا أقول إني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ، فإن من هو بالموصل لا بد أن يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب، ولكن أقول إنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك. فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة ... وإنما اعتمدت عليه –الطبري– من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا"[٣].

إذا علم هذا فلتعلم أن ابن الأثير قد أطال وفصل في سياق حديثه عن وقعة عمورية، لأنه أراد كتابه هذا كاملا كما أسماه، فأراده كاملاً في استعراضه لحوادث العصور والأزمان، وكاملاً في تقصيه لتفاصيل هذه الحوادث، وما فتح عمورية إلا حادثة من هذه الحوادث، تخضع للمنهجية ذاتها التي حددها ابن الاثير. وقد أفرد عنواناً مستقلاً

---

[١] : المنتظم: ٧٩/١١.

[٢] : نفسه: ٨٠/١١.

[٣] : الكامل: ٦/١–٧.

للحديث عن عمورية، جمع تحته شتات أحداث هذه الموقعة، وهو منهج اختاره ابن الأثير وسار عليه، وقد أثبته في مقدمته حين قال: "على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصبا واللآلي. ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض"[١].

٢- المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند ابن الأثير في نصه هذا متنوعة على المستويين (الداخلي والخارجي)، وأعني بالمستوى الداخلي: تنوع الحشو النحوي داخل الجملة الواحدة، وبالمستوى الخارجي: المراوحة بين الجملتين الاسمية والفعلية. غير أن الجملة الفعلية استمرت في فرض سيطرتها على النص كما كانت مسيطرة في النصوص السابقة، وكذلك على مستوى الأفعال كان الفعل الماضي هو الحاضر الاكبر في النص، وقد استخدم المؤلف لتحقيق التغيير في المستوى الداخلي للجملة التقديم والتأخير أحيانا، والظهور والاستتار أحيانا أخرى. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

الجملة الفعلية:

- "وأمضى المعتصم الأفشين"[٢]. (فعل متعدي + فاعل ظاهر + مفعول به ظاهر)
- "رحل المعتصم"[٣]. (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "جمع العساكر"[٤]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به ظاهر)
- "فأشهدهم"[٥]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به "ضمير متصل")
- "لم يعرض لها أحد"[٦]. (فعل مسبوق بجازم + جار ومجرور + فاعل مؤخر)

---

[١] : الكامل: ٦/٧.
[٢] : نفسه: ٦/٣٩.
[٣] : نفسه.
[٤] : نفسه: ٦/٣٨.
[٥] : نفسه.
[٦] : نفسه: ٦/٣٩.

– "يكون اجتماعهم فيه"[١]. (فعل مضارع ناسخ + اسمه "ظاهر" + خبره "ظاهر")

الجملة الاسمية:

– "وهو جالس"[٢]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر)

– "وهي عين النصرانية"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر "مضاف ومضاف إليه")

– "ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)

– "أن الملك مقيم"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره)

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

لم يستعمل ابن الأثير في نصه هذا أيا من (ألفاظ الرواية التاريخية)، إلا في موضع واحد عند حديثه عن تاريخ خروج المعتصم من (سر من رأى) حين قال: "فسار المعتصم من سر من رأى، وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين، وقيل سنة أربع وعشرين"[٦]. والسبب في هذا دون شك يعود إلى الأسلوب الذي اعتمده المؤلف في مصنفه هذا، والذي يتضمن استبعاد الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالمادة التاريخية المطروحة، لاسيما بعد ما قررناه في مبحث (وصف النص) من تأثر ابن الأثير بالطبري في أسلوبه ومنهجيته، إذ لم يكن لكليهما عناية بألفاظ الرواية التاريخية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

كثر إيراد ألفاظ (الآلة الحربية) في النص، وهذا أمر لا يستغرب نظراً لما قررناه في مباحث سابقة بأن الحديث هنا عن معركة، فلا غرابة في أن تكون الألفاظ المعبرة عن بيئة المعركة حاضرة في النص، ولكن اللافت في نص ابن الأثير هو تكراره لبعض هذه الألفاظ تكرارا محظا أحيانا، وتكرارا جزئيا أحيانا أخرى، نحو: "سير – مسير – عسكر – عساكر – معسكر – يتجهز – جهازاً – جهزه"[٧]. وقد يكون هذا التكرار سببه سياق الكلام الذي اضطر المصنف أحياناً إلى التكرار، وقد يكون سببه

---

[١] الكامل: ٣٩/٦.

[٢] : نفسه: ٣٨/٦.

[٣] : نفسه: ٣٩/٦.

[٤] : نفسه: ٣٨/٦.

[٥] : نفسه: ٣٩/٦.

[٦] : نفسه: ٣٩/٦.

[٧] : نفسه.

أسلوب المؤلف وطريقة اختياره للألفاظ، لا سيما ونحن نعلم أن تاريخ الطبري –وهو النموذج الذي سار عليه ابن الأثير في كامله– لم يضطر إلى التكرار بالشكل الذي نجده عند ابن الأثير. وقد تنوعت ألفاظ (المعجم الحربي) في النص، إذ تضمنت الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، فيما جاء بعضها عربياً وبعضها الآخر أعجميا. ومن أمثلتها في النص:

– ("أسيرة"، "النفير"، "وسمط خلفه شكالاً"، "سكة حديد"، " القواد "، "أمنع وأحصن")[1].

– ("فارس"، "سرية")[2].

– ("الأرمنياق"، "حياض الأدم"، "ظفر")[3].

ويلاحظ هنا أن معظم الألفاظ السابقة اتحدت دلالتها اللغوية والاصطلاحية في الدلالة على مدلولات ذات صلة بالحروب والمعارك.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

سجلت أسماء الأعلام والألقاب حضوراً واسعا في النص، فيما غابت الكنى عن النص، وقد تنوعت هذه الأعلام بين العربي والأعجمي، والألقاب كذلك. ومن أمثلتها:

– ("محمد بن إبراهيم"، "خليفة"، "إيتاخ"، " ملك الروم"، "المعتصم")[4].

– ("الحارث"، "البطريق"، "أشناس"، "الأفشين"، "السمرقندي")[5].

وقد ظهر هنا اعتماد ابن الأثير لتاريخ الطبري مصدرا رئيسا في نقل وقائع معركة عمورية، وذلك عبر التشابه الكبير في الأعلام والألقاب المتناولة عند كل منهما، بل إن ابن الأثير لم يفسر أي علم أعجمي إلا ذلك العلم الذي فسره الطبري بـ(ثور) في العربية، إذ قال: "وكان البطريق الموكل بهذه الناحية (وندوا)، وتفسيره ثور"[6].

٦– الوصف الخرائطي:

استرسل ابن الأثير في وصف البقاع والبلدان التي قصدها الجيش الإسلامي، وكذلك ميادين وساحات المعركة، وقد تميز هذا الوصف بالدقة، حتى إن القارئ ليقف عند

---

[1] : الكامل: ٣٨/٦.

[2] : نفسه: ٣٩/٦

[3] : نفسه: ٤٠/٦.

[4] : نفسه: ٣٧/٦–٣٩.

[5] : نفسه: ٤٣/٦.

[6] : نفسه.

بعض مواضع (الوصف الخرائطي) في النص وكأنه يشاهد صورة (فوتوغرافية) لا كأنه يقرأ وصفاً لبقعة أو مكان، هذا وقد اعتمد المؤلف في صياغة (الوصف الخرائطي) على عدة أدوات، منها: (ظروف المكان، أسماء البلدان، أسماء الأنهار، أسماء الدروب، أسماء الجهات). ومن أمثلة الوصف الخرائطي في النص:

– " فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن، وهو على سلوقية، قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وساروا حتى خرجوا من الغيضة، وسار بهم الشيخ حتى أتى جبلا، فنزله ليلا، فلما أصبحوا قال الشيخ: وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل، فينظرا ما فوق"[٢].

– "ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر: عسكر فيه أشناس في الميسرة، والمعتصم في القلب، وعسكر الأفشين في الميمنة، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمر كل عسكر أن يكون له ميمنة وميسرة"[٣].

ثالثا: نص ابن كثير من كتابه البداية والنهاية:

١ – وصف النص:

على الرغم من أن ابن كثير قد اعتمد –عند تصنيفه للبداية والنهاية– منهجية البسط والإطالة في تتبع الحوادث على مر العصور، إلا أن حديثه عن معركة عمورية جاء غاية في الاختصار مقارنة بما ورد عند أصحاب كتب التاريخ المطولة الأخرى، فقد جاء الحديث عن معركة عمورية في البداية والنهاية في ورقتين وزيادة، مع إفراد فصل للحديث عنها، وقد عنون لهذا الفصل بـ "فتح عمورية على يد المعتصم". ولعل السبب في ذلك هي الوسطية التي اختارها ابن كثير لتحكم منهجية تأليفه، فقد كان حريصاً على أن يؤرخ لأكبر عدد ممكن من الحوادث التاريخية مع الاحتفاظ بأداة الاختصار في تفاصيل هذه الحوادث، فيقع اختياره أحياناً على بعض الحوادث ليطبق الاختصار عليها لحساب حوادث أخرى أطال فيها، فتتحقق في النهاية هذه الموازنة، فما كان من إطالة في خبر معين قابله اختصار في موضع آخر، وقد كانت معركة عمورية –على ما يبدو– من الحوادث التي كان نصيبها عند ابن كثير الاختصار.

---

[١] : الكامل: ٣٩/٦

[٢] : نفسه: ٤٠/٦.

[٣] : نفسه: ٤١/٦.

والذي قد يميز نص ابن كثير عن غيره من النصوص محل الدراسة هو التركيز في المعلومة المطروحة، فقد جاءت الألفاظ عنده مركزة، فلا تستطيع إسقاط أي عبارة أو كلمة من النص دون أن يسقط معها فائدة رئيسة ترتبط بأحداث عمورية. إضافة إلى ذلك كانت لغته سهلة وقريبة من أذهان أبناء هذا العصر؛ ولعله السبب في ذلك يرجع إلى كونه من أواخر كتب التاريخ المطولة التي وصلتنا، فكانت الأمور أمامه ناضجة وتامة في ضوء ملكة لغوية سخرها في ذلك.

٢- المباني النحوية:

إن عالما بجلالة قدر ابن كثير ليعرف تمام المعرفة كيف يوظف المباني النحوية في النص التوظيف النافع، فقد أراد لها أن تكون بسيطة وميسرة وقريبة من الأذهان، بعيدة عن التكلف والتعقيد، فكانت كذلك، إذ جاءت هذه المباني منوعة على المستويين الخارجي والداخلي، مع ملاحظة تفوق الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، وغلبت استخدام الفعل الماضي على غيره من الأفعال. وفيما يأتي بعض الامثلة[١]:

الجملة الفعلية:

- "فوافاه الافشين". (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "فسره ذلك". (فعل + مفعول "ضمير متصل" + فاعل "اسم إشارة")
- "فتقاربا". (فعل + فاعل "ضمير متصل")
- "وسار إلى عمورية". (فعل + جار ومجرور "متعلق به")
- "لم يجهزه أحد كان قبله". (فعل سبق بجازم + فاعل)
- "أن يجعل لجيشه ميمنة". (فعل سبق بناصب + فاعل "مستتر")
- "وكان بينها وبين مدينة انقرة سبع مراحل". (فعل ناسخ + خبره مقدم + اسمه مؤخر)

الجملة الاسمية:

"وهو قريب". (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبره)

"وذاك في رجب". (مبتدأ "اسم إشارة" + خبره "شبه جملة")

" فالميمنة عليها الأفشين". (مبتدأ + خبره "جملة اسمية")

"أن بقية الجيش قد شردوا". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "فعليه")

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤.

"فأول من وصل إليها من الجيش اثنان". (خبر متقدم + إضافات + مبتدأ مؤخر)

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

الأسلوب الذي اعتمده ابن كثير لرواية الأحداث والوقائع التاريخية التي أرخ لها قلل من مساحة وجود (ألفاظ الرواية التاريخية) عند حديثه عن معركة عمورية، وهذا ما يؤكده خلو النص من أي من تلك الألفاظ. وقد كان لخلو النص من (ألفاظ الرواية التاريخية) أثره الواضح على لغة النص، فلو أن المؤلف اعتمد سرد الروايات التاريخية المتعلقة بالمعركة بنصها كما رواها الرواة لكان في ذلك شيء من الإطالة والتعسير؛ لكون هذه الرواية صيغت في أزمان غابرة، فكان من المؤكد أن لغتها لا توافق لغة عصر ابن كثير والتي كانت أكثر نمواً وتطوراً من لغة عصر الرواة السابقين، أضف إلى ذلك أنها ستحد من لمسة الكاتب في النص؛ لأنه سيضطر لسردها بأسلوب ناظمها وفي ذلك تحجيم وحد من أسلوبه الشخصي، ولكن ابن كثير تجاوز كل هذا حينما اعتمد رواية هذه الاحداث بأسلوبه وصياغته الخاصة دون عزوها بأسانيد ثقيلة إلى رواتها.

٤- معجم الآلة الحربية:

لسنا بحاجة هنا إلى سرد أسباب ورود ألفاظ (المعجم الحربي) في النص؛ لأن ما ذكرناه في المباحث السابقة يغنينا عن ذلك، لكنني أورد لكم بعض ما جاء في النص من ألفاظ هذا المعجم: ("الجين"، "العسكر"، "الميمنة"، "دبابات"، "السلالم"، "الخندق"، "قتل"، "حرقوه"، "المجانيق"، "الحصون"، "الأبراج"، "السور"، "المسير")[١].

٥- الأعلام والألقاب والكنى:

بدت آثار رغبة المؤلف في الاختصار واضحة عبر التقنين الشديد في ذكر الأعلام والألقاب والكنى، فقد كان ورودها في النص بشكل مركز دون تكرار، وإذا اضطر إلى تكرار اسم أو لقب كرره بقدر حاجة السياق. أما الكنى فقد خلت ساحة النص تماماً منها. وفيما يأتي بعض الأمثلة من النص:

("المعتصم"، "الأفشين"، "الخليفة"، "ملك الروم"، "أمير المؤمنين"، "مناطس")[٢].

---

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

[٢] : نفسه.

ويلاحظ هنا أن العلم الاخير "مناطس" قد ضبطه المؤرخون السابقون بـــ"يـــاطس"، ولا أدري إن كان ما جاء عند ابن كثير يعد من أخطاء الطباعة أم أنه تـــصحيف فـــي التحقيق، لا سيما وأن الاسم تكرر مرتين في النص بهذا الشكل.

٦- الوصف الخرائطي:

تميز الوصف الخرائطي عند ابن كثير بالتركيز والتقنين، فلم يطلق لنفسه العنان فـــي وصف كل بقعة من بقاع المعركة أو المسير إليها، بل وصف ما اعتقد أن القراء بحاجة إلى معرفته. ومن أمثلته في النص:

("فتقاربا حتى كان بين الجيشين أربعة فراسخ"، "ودخل الأفشين بلاد الروم مـــن ناحيـــة أخرى")[١]، ويلاحظ هنا أن ابن كثير قال "من ناحية أخرى" دون اللجوء إلـــى تحديـــدها؛ لتقديره عدم أهمية معرفة القارئ لهذه الناحية وعـــدم ترتـــب أي شـــيء علـــى فقـــدان معرفتها. وقد استعان في (وصفه الخرائطي) بظروف الزمان، وأدوات القياس، وغيرها مما أشرنا إليه من الأدوات في المباحث السابقة. كما ورد عنده ضبط اسم نهـــر خلافـــا لما ضبطه عليه المؤرخون قبله فجاء عنده باسم نهر "اللسى"، فيما سماه من سبقه نهـــر "اللمس".

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

نتائج الدراسة:

مما سبق عرضه ومناقشته من مباحث يمكننا أن نستخلص عدد من النتائج نختم بها هذه الدراسة:

١- تميزت لغة الخطاب التاريخي بالسهولة والبساطة والبعد عن الزخرفة القولية والتعقيد، كما تميزت بأنها لغة مباشرة يحكمها الأسلوب السردي والروائي.

٢- على مستوى المباني النحوية تميزت لغة الخطاب التاريخي بعلاقتها الوطيدة مع الجملة الفعلية على حساب الجملة الاسمية، كما سجل الفعل الماضي حضوراً لافتاً على حساب بقية الأفعال الأخرى.

٣- يتوقف التعامل مع ألفاظ الرواية –ذكرا أو تجاهلا– في لغة الخطاب التاريخي على المنهجية التي يعتمدها المؤلف في مصنفه.

٤- معجم الآلة الحربية شكل حيزاً في كثير من نصوص لغة الخطاب التاريخي، لا سيما تلك التي تؤرخ للمعارك والحروب.

٥- يكثر في لغة الخطاب التاريخي إيراد الأعلام والألقاب والكنى لارتباطها بالأحداث التي يتناولها المؤرخون.

٦- تشترك لغة الخطاب التاريخي في كثير من مواضعها مع اللغة الجغرافية فيما يتعلق بالوصف الخرائطي، وذلك عبر استخدام عدد من الأدوات أهمها ظروف المكان، وأدوات القياس، وأسماء الجهات.

المراجع:

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨.
- همامي، د. عبد النبي، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة، السنة ٥، العدد ١٣، أبريل ٢٠٠٧.
- جمال الدين، د. السيد مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥.
- حويت، وفاء عباس حسن، دلالة الفعل على الزمن (دراسة نحوية تحليلية) من خلال ديوان النابغة الذبياني، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٧، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٩.
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.
- الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١.
- الجندي، الدكتور علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الجامعة العربية، بيروت.
- اللوقة، ناظم خليل، ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية)، جامعة الأزهر (غزة)، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- عبوة، زينة عبد الرحيم، معجم ألفاظ الحرف والمهن التقليدية في نابلس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.
- يوسف، أحمد، النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥.
- خليل، الدكتور إبراهيم محمود، في اللّسانيّات ونحو النّصّ، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩.
- جنتي فر، محمد، تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، السنة الثانية، العدد السابع، أيلول ٢٠١٢.

- عمايرة، د. حنان إسماعيل، تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي (مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد التاسع، العدد الثالث، تموز ٢٠١٣.
- العنبر، عبد الله العنبر، القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤١، ملحق ٢، ٢٠١٤.
- العنبر، عبد الله، المناهج الأسلوبية والنظريات النصية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٤، ٢٠١٦.
- أحمد، علي زواري. وبلخضر، أحمد، منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الحادي عشر، مايو ٢٠١٧.
- حاج علي، عبد الرحمن، أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية، مجلة آداب ذي قار، العدد ٢٢، ٢٠١٧.
- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.
- مصلوح، الدكتور سعد، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية (آفاق جديدة)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٠.
- أنيس، الدكتور إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- نهر، الدكتور هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١.
- ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: علي شيري، ١٩٨٨.

لغة الخطاب التاريخي
من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري
(دراسة استقرائية تحليلية)

دكتور/ عبد الله شعف عماش الحربي
دكتوراة في اللغة العربية (اللغة والنحو)

المستخلص:

يتناول هذا البحث لغة الخطاب التاريخي عبر دراسة عينة منتقاة من أمهات المصنفات التاريخية من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري في ضوء عدد من المحاور هي: المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والأعلام والألقاب والكنى، والوصف الخرائطي. والهدف الرئيس من البحث في هذا الموضوع هو اكتشاف أهم ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها المميزة. وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: لغة الخطاب التاريخي، المباني النحوية، معجم الحرب، الأعلام الألقاب، الوصف الخرائطي، ألفاظ الرواية، خصائص..

This research deals with the language of historical discourse by studying a selected sample of the mothers of historical works from the third to the eighth centuries AH in light of a number of axes: the syntactic buildings, the expressions of the historical novel, the dictionary of the war machine, the flags, titles and nicknames, and the cartographic description. The main objective of research on this topic is to discover the most important features of the language of historical discourse and its distinctive characteristics. This study followed the descriptive and analytical approach.

أولا: المقدمة:

قصر كثير من الباحثين اللغويين في هذا العصر دراساتهم وأبحاثهم على الموروث اللغوي الذي خلفه لنا الأسلاف من علماء اللغة العربية، فإذا كانت الدراسات اللغوية التي تناولت المصنفات المتخصصة في علوم اللغة العربية قد حظيت بالنصيب الوافر من اهتمام اللغويين وعنايتهم، فإن مما يؤسف أن ذلك الاهتمام لم يتعد إلى غيرها من المصنفات الأخرى في موروثنا الثقافي، وقد ترتب على ذلك زهد كثير من الباحثين في دراسة كنوز لغوية عظيمة في تراثنا العربي؛ فقط لكونها وجدت خارج اهتمامات اللغويين.

وبمرور الزمن، ترسخ خطأً في الأدبيات العربية أن اللغة هي أقوال الرجال على الرجال، متناسين بذلك مجالات عدة يمكن للدراسات اللغوية خوض غمارها، وسبر أغوارها. وصار حالهم في هذا الشأن كحال قوم أدركهم العطش حتى كاد يفنيهم، فجدوا في طلب الماء حتى وقعوا على بئر نزيحة، فتهافتوا عليها، فمنهم من أدرك رشفة، ومنهم من ملأ كفه، ومنهم من أروى ظمأه، ومنهم من لم يبلغ الماء أطراف حلقه. لكن البعض لم يعجبه هذا الزحام، فجد واجتهد حتى وقع على نهر فياض لا يبعد عن تلك البئر شيئاً، فأقبل عليه يعب وينهل، ويدعو أصحابه إلى الورود عليه، وترك تلك البئر التي إن لم تكن قد نضبت، فإن الزحام حولها مؤذن بجفاف قريب لها.

وقد سعيت في هذه الدراسة إلى طرق باب آخر من أبواب الدراسات اللغوية، تمثل في دراسة المصنفات التاريخية التي دونها عدد من المؤرخين العرب في مدة امتدت نحوا من خمسة قرون، للتعرف إلى لغة الخطاب التاريخي التي سادت في تلك المصنفات، واكتشاف ملامحها وأهم خصائصها. وحرصت على أن تكون النصوص المتناولة تمثل خمسة قرون مختلفة، من القرن الثالث حتى الثامن الهجري، ليكون كشف خصائص لغة الخطاب التاريخي أيسر وأقرب، وليكون تعميم النتائج المتوقع التوصل إليها على الفترة الزمنية المحددة مقبولا.

ثانيا: أهداف الدراسة:

١- الإسهام بفتح آفاق جديدة في البحث اللغوي العربي.

٢- التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأبرز خصائصها.

٣- بحث المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي على المستويين الداخلي والخارجي.
٤- دراسة العلاقة بين لغة الخطاب التاريخي وألفاظ الرواية التاريخية.
٥- اكتشاف أهم الألفاظ التي استعملها المؤرخون العرب من معجم الآلة الحربية.
٦- معرفة صور استعمالات الأعلام والألقاب والكنى لدى المؤرخين.
٧- التعرف إلى أسلوب الوصف الخرائطي ودواعي استخدامه لدى المؤرخين العرب.

ثالثا: مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها في مصنفات المؤرخين العرب في الفترة من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري، عبر دراسة النصوص التي تطرقت إلى معركة (عمورية)، ورصد بعض الظواهر اللغوية، لاسيما المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والوصف الخرائطي.

رابعا: منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد سرت فيها وفق المنهجية الآتية:

١- تحديد حادثة تاريخية لتكون نواة لعينة الدراسة (معركة عمورية). والسبب في هذا التحديد هو الرغبة في تتبع لغة الخطاب التاريخي، إذ يتشكل جزء كبير من تلك اللغة على يد المؤرخين، ولن تظهر ملامح تلك اللغة بوضوح في القصص التي تنقل بروايات تاريخية متواترة؛ لأنها ستنقل بأسلوب صائغ الرواية، دون أن تكون هناك فرصة لظهور ملامح لغة الخطاب التاريخي.
٢- تتبع هذه الحادثة التاريخية المختارة (معركة عمورية) في كتب بعض المؤرخين. وقد تتبعت الدراسة ما جاء عن هذه الحادثة عند خمسه من المؤرخين وهم على الترتيب: (الطبري، والمسعودي، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن كثير).
٣- رصد أهم الظواهر اللغوية، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها، وذلك عبر دراسة النصوص عينة الدراسة بمعية المجالات الآتية:
- المباني النحوية.
- ألفاظ الرواية التاريخية.

– معجم الآلة الحربية (الحرب).
– الأعلام والألقاب والكنى.
– الوصف الخرائطي.

٤– تدوين النتائج التي توصلت إليها الدراسة، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها.

والمصنفات التي تناولتها الدراسة هي:

– تاريخ الرسل والملوك للطبري (القرن الثالث الهجري).
– مروج الذهب للمسعودي (القرن الرابع الهجري).
– المنتظم في تاريخ الملوك لابن الجوزي (القرن السادس الهجري).
– الكامل في التاريخ لابن الأثير (القرن السابع الهجري).
– البداية والنهاية لابن كثير (القرن الثامن الهجري).

خامسا: أسئلة الدراسة:

هنالك أسئلة رئيسية تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها، وهي:

١– ما هي ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها؟

٢– ما أهم الألفاظ الواردة في مصنفات المؤرخين العرب التي يمكن اعتبارها ضمن المعجم العسكري العربي؟

٣– ما المنهج الذي تعامل به المؤرخون العرب مع الروايات التاريخية وأسانيدها في مصنفاتهم؟

٤– ما أهم الألفاظ التي كانت سائدة في الوصف الخرائطي في المصنفات التاريخية العربية؟ وما هي الأدوات التي استخدمت للتعبير عن هذا الوصف؟

٥– ما الارتباط الموجود بين ألفاظ الوصف الخرائطي وبين لغة الخطاب التاريخي في المصنفات التاريخية العربية؟

٦– كيف تعامل المؤرخون العرب مع الأعلام والألقاب والكنى عند تناولهم للمادة التاريخية؟

سادسا: الدراسات السابقة:

من الصعوبات التي واجهتها عند التحضير لهذه الدراسة هو ندرة الدراسات التي تطرقت بصورة مباشرة إلى بحث لغة الخطاب التاريخي، وقد توصلت إلى عدد من

الدراسات العلمية التي ناقشت موضوعات تتصل بموضوع دراستي هذه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومنها:

١- دراسة أحمد يوسف (٢٠٠٥). النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية. أظهرت الدراسة أن الفرضيات التي بسطها النحاة الجدد في صرامتها العلمية وتطبيقاتها الحرفية لا تكتسي على جميع الألسن التي تشترك في محيط واحد، ولكن تكمن- أيضا- في الطابع الإجرائي الكامن وراء تلك الدعاوى التي ثارت على تقاليد البحث اللغوي السائد في مطلع القرن التاسع عشر؛ وليس أدل على ذلك أنهم أبعدوا تلك المعتقدات الخاصة بسلسلة من الصلات الصوتية المشتركة بين الكلمات للغتين أو أكثر دون أن تقع في محظور الاستثناءات التي كانت تعترض سبيل الفليلولوجيا. ومن ثم، كانوا يقتربون شيئا فشيئا من فكرة "النسق" système التي بلورتها فيما بعد لسانيات دو سوسير وكذلك فكرة "العمومية" généralité التي صارت صفة لموصوف اللسانيات. وتبين من الدراسة أن المسائل الكبرى التي تطرق لها النحاة الجدد لم تفقد كل راهنيتها في الدراسات اللسانية المعاصرة وإن اتسمت بغياب المتصورات النسقية التي يعود الفضل لدو سوسير في إرساء قواعدها؛ ولهذا ليس من الموضوعية في شيء أن يقلل المرء من إسهاماتهم في فتح آفاق جديدة للسانيات الوصفية المعاصرة التي لم تول ظهرها لبعض القضايا التي كانت مطروحة من قبل. ومن أهم نتائج الدراسة أن اللسانيات التاريخية سعت سعيا حثيثا إلى وصف تطور الأشكال اللغوية أملا في الوقوف على القواعد التي تحكمها من جهة، وكذا صوغ منطق تطور المعنى الذي صار قبلة الدلاليات والسيميائية.

٢- دراسة إبراهيم خليل (٢٠٠٧). في اللّسانيّات ونحو النّصّ. أظهرت الدراسة أن الكلام المنطوق يمثل طبيعة اللغة، وجوهرها، تمثيلا يفوق بدرجات تمثيل الكتابة. فالانفعال والتعاطف والتوكيد والتنغيم أمور لا يكشفها الكلام المكتوب، وتستعرض نموذج سوسير الذي يربط الدراسة اللسانية بعلوم عدة هي: علم الصوتيات، الصرف، علم الدلالة، النحو، علم النص. وتستعرض الدراسة تاريخ الصوت اللغوي وبعض العلماء العرب الذين اهتموا بهذا المجال. وتبين الدراسة أن الصرف متصل اتصالا وثيقا بالصوتيات، لا سيما بالجانب الفونولوجي، فأي إجراء صرفي يلحق بالجذر لا بد أن يصحبه تغيير في البنية الصوتية له. ومن أهم نتائج الدراسة أن ثمة تشابكا بين

المستويين الصرفي والصوتي، وتداخلا بين النحو والصرف، فاللغة تتألف من نظام متعدد: صوتي وصرفي ونحوي ومعجمي لا يمكن إنكار ما بين مستوياتها المتعددة من الترابط والوحدة.

٣- دراسة محمد جنتي فر (٢٠١٢). تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه. أظهرت الدراسة أن دراسة العلاقات التاريخية والثقافية للغة والآداب القومية في علاقاتها باللغة والآداب عند الشعوب الأخرى من القضايا المهمة والمنظورة منذ القدم، وأن مجالات هذا التأثير المتبادل يمكن أن تتناسب مع قضايا اجتماعية وثقافية ودينية وأدبيه ولغوية مختلفة. وتطرقت الدراسة إلى المجال اللغوي ولاسيما مجال التعامل بين اللغتين العربية والفارسية من خلال تناول التغييرات الصوتية والدلالية للمفردات العربية في تاريخ البيهقي بأسلوب وصفي تحليلي وتاريخي. وبينت أن اللغة العربية باعتبارها لغة المبدأ (الأصل) جعلت أساليب اللغة المقصودة أي اللغة الفارسية ولاسيما في مجال المفردات تواجه تحولات وأزمات عدة.

٤- دراسة حنان إسماعيل العمايرة (٢٠١٣). تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي – مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري. هدفت الدراسة إلى رصد ملامح من التطور اللغوي، الماثل في تغير الأنماط التعبيرية اليوم عما كان يمثل عرفا لغويا في الأمس، والتي هي مجموعة من التراكيب اللغوية التي تنظر المعيارية إليها على أنها (ثوابت) حفظت للغة بقاءها وسيلة تواصل بين متحدثيها في مختلف الأزمنة والأمكنة. وتوقفت الدراسة عند كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري والتقطت منه عددا من الأنماط التركيبية اللغوية التي قامت فرضية هذه الدراسة عليها، إضافة إلى التقاط أنماط أخرى من لغة القرآن الكريم، ورصد هذه الأنماط الصحيحة لغويا لتبيان ما آلت إليه في الاستعمال اللغوي الحديث. وتوصلت الدراسة إلى وصف النظرة الحديثة إلى هذه التراكيب من خلال تضمينها في استبانة أجاب عنها خمسون متخصصا في اللغة العربية من طلبة السنة الرابعة، وموضوع الاستبانة هو التراكيب ومدى صحتها في نظرهم. وأسفرت نتائج الاستبانة عن تقييم المستبينين لكثير من هذه الأنماط على أنها (خطأ) أو (ركيكة). وهي في واقع الحال تمثل جزءا من صميم الثابت الصحيح في التراث اللغوي الفصيح وفي هذا ما يشير إلى فجوة حاصلة بين كثير من التراكيب اللغوية المعيارية وما آل إليه الذوق الحديث في

استخدامها. كما يدعو ذلك إلى اتخاذ موقف من هذه الانزياحات اللغوية التي ترتب عليها جعل الصحيح الفصيح مستهجنا أو ركيكا أو خطأ.

٥- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٤). القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية. تؤسس هذه الدراسة لقراءة نقدية تستطلع قوى الهيمنة المؤلفة للنصوص الأدبية على وجه دون آخر، وترصد الطرق الأسلوبية التي تضاعف دلالات البنى وتكسب النصوص الأدبية لذتها وفتنتها وسلطتها وتكون مسؤولة عن أدبية الأدب، وتفسح المجال لتطوير الوعي الثقافي من جيل إلى آخر. وتبين الدراسة أنّ القراءة النقدية تضع الناقد أمام رسالته الحضارية لكي يتسنى له إعادة إنتاج الثقافة وتحويلها إلى أقصى درجات الوعي لمواكبة المناهج النقدية في عالم متغير. وتكشف أنّ النظرية الأسلوبية تحظى بموقع متفرد في النقد الحديث وتتمتع بطرق جمالية تسهم في قراءة النص الأدبي وبيان دلالاته وتجلياته. وتبيّن من خلال الدراسة أنّ النظرية الأسلوبية تعتمد على استراتيجيات بسطت نفوذها في مقاربة النص الأدبي وهي: الاختيار الأسلوبي، والتكرار الأسلوبي والبنية المهيمنة والاستبدال والمفعول الإيحائي والمبدع والرسالة والمتلقي.

٦- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٦). المناهج الأسلوبية والنظريات النصية. أظهرت الدراسة أن الأسلوبية صارت أسلوبيات، وترتب على ذلك اختلاف المناهج الأسلوبية في قراءة النص الأدبي، فقد تجاذبتها عناصر الثالوث النقدي (المبدع والنص والمتلقي)، وشكلت منطلقاتها في استطلاع فرادة النص الأدبي وبيان تجلياته المائزة. وبينت أن الجامع النصي بين المناهج الأسلوبية النظر للأسلوب على أنه عالم من الفرادة وتوظيف للغة على نحو خاص واختيار من البدائل اللغوية وبحث عن المعاني الإضافية (الفائض الدلالي). وكشفت أن الأسلوبية استراتيجية لاكتناه قوى إنتاج الدلالة التي تفجر طاقات اللغة وتموقع عناصرها في مواقع جمالية لم تعهد. وأظهرت أن النص الأدبي نسيج متماسك تتجاذبه (اللذة والمتعة والفراغ المعرفي ومجهول البيان وبؤر التوتر)، ويجتاح مواقع المؤتلف نحو بناء مختلف يقوده العدول المؤسس على الفرادة.

٧- دراسة علي زواري وأمجد بلخضر (٢٠١٧). منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق. تتطرق الدراسة إلى المنهج التحليلي الأسلوبي وإشكالية التطبيق، الذي تبرز إشكاليته في بيان الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء مقاربته النصوص

الأدبية بالمنهج الأسلوبي وما يعتمد عليه من آليات وإجراءات أثناء تطبيقها. وسعت الدراسة إلى إبراز أهم النقاط المتعلقة بفك هذا الإشكال، انطلاقا من تقرير المنهج الأسلوبي وأهميته، ثمّ التعريج على علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى، والاختلاف في بعض المصطلحات في علم الأسلوب، ما أدى إلى اختلاف المنطلقات أثناء التحليل. وأظهرت الدراسة أبرز الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء التطبيق، وأهم الأسباب الكامنة وراء ذلك.

٨- دراسة عبد الرحمن حاج علي (٢٠١٧). أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. واشتملت على محورين أساسيين: المحور الأول تناول " الأسلوب" مصطلحاً نقدياً، في حين تطرق المحور الثاني إلى مدى تأثير المصطلح في قراءة النصوص التراثية وفق النظريات النقدية المعاصرة. وأظهرت الدراسة أن الكثير من النقاد المحدثين لم يتطرقوا إلى معالجة وتحليل التراث الأدبي واللغوي لأسباب عدة، منها وجود صعوبة في إسقاط المصطلحات النقدية المعاصرة على الأعمال التراثية، وانتشار مصطلحات التّعمية على الدرس النقدي واللغوي بعد التوجه نحو الاستيراد والترجمة. وبينت أنه لما كان من الأهداف الرئيسية للنقد خدمة الأدب وتوجيه الكتابة الأدبية نحو الأفضل، كان لزاماً على الكتاب والمبدعين مسايرة التطورات الحاصلة في الساحة الإبداعية، لكنهم وجدوا أنفسهم يبتعدون عن المعايير التي نشأ عليها الأدب العربي، ما وسع الهوة بين التراث والمعاصرة وقطع حبل الوصال بينهما، ولم يبق للمهتمين بالتراث إلا بعض المحاولات لإيجاد مرادفات مناسبة نوعاً ما لقراءة بعض النصوص التراثية. كما أظهرت الدراسة أن الجهود المبذولة لا تزال تتصف بالشتات وعدم تحقيق الفعالية المرجوة في ظل افتقار الدرس النقدي واللغوي العربي لنظرية واضحة، وأنه من خلال قراءة النصوص التراثية وفق نظريات نقدية معاصرة تمّ تحوير وتطوير هذه النظريات لترتكز على أصول ثابتة وتنفتح على تطورات موضوعية مدروسة بعناية، لا تابعة لطوارئ مستوردة.

- **التعليق على الدراسات السابقة:**

استفاد الباحث من الدراسات السابقة من حيث المناهج المستخدمة فيها، والمراجع التي اعتمدت عليها، إضافة إلى البيانات والمعلومات التي وردت فيها. كما استفاد الباحث من النتائج والتوصيات والاقتراحات التي خرجت بها تلك الدراسات.

وركز الباحث في دراسته هذه على أمر لم تتطرق إليه معظم هذه الدراسات، وهو اكتشاف خصائص لغة الخطاب التاريخي عبر مدة طويلة امتدت نحوا من خمسة قرون، عبر دراسة نموذج تاريخي واحد ورد في مصنفات خمسة من المؤرخين العرب في عصور متفاوتة.

لغة الخطاب التاريخي من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري:

أولا: نص محمد بن جرير الطبري من كتابه تاريخ الأمم والملوك:

١- وصف النص:

أفرد الطبري في تاريخه فصلاً للحديث عن وقعه فتح عمورية وقد عنون له بـ"ذكر الخبر عن فتح عمورية"[١]، فأفاض الحديث وأطال في ذكر هذه الواقعة، وسرد أحداثها ومجرياتها، مسجلاً بذلك الكم الأكبر بين النصوص محل الدارسة في تناول هذه الحادثة، ولعل هذا الإطناب من الطبري في ذكر تفاصيل معركة عمورية نابع من كونه قريب عهد بها، فالروايات التاريخية تظهر أن فتح عمورية وقع في عام ٢٢٣ هـ، أي قبل ولادة الطبري بعام واحد فقط[٢]. ما جعله من معاصري هذا الحدث، أو على الأقل من معاصري آثاره وتبعاته.

وقد كان لهذه المعاصر أثر بالغ في تناول الطبري لمعركة فتح عمورية، فالحالة المعنوية التي كان يعشيها الناس في ذلك العصر –نظراً لقربهم من سنه الفتح– تجعل المؤرخ يتردد في تجاوز أدق التفاصيل المتعلقة بالحدث، ناهيك عن أجلها وأعظمها، لاسيما وأن الطبري لم يُسبق إلى توثيق هذه الحادثة إلا من قبل أبو الحسن البلاذري في ورقات موجزة[٣]، فكان يكتب وهو يعلم أنه الأصل الذي سيبني عليه من سيأتي بعده، وأنه الموثق الأول لهذه الواقعة، فتطلب ذلك منه هذا السرد والإطالة.

أضف إلى ذلك أن الطبري قد بنى تاريخه هذا على منهجية الاستفاضة والتقصي لأدق التفاصيل التاريخية، حتى وصف بأنه من أمهات كتب التاريخ المطولة، فلا عجب إذاً أن يفرد فصلاً بهذا القدر من التفصيل والسرد لوقعة عمورية مقارنة بالنصوص المدروسة الأخرى، حتى أنها كانت هي الحدث الأبرز عند حديثه عن أحداث سنة ٢٢٣ هـ.

٢- المباني النحوية:

تعد المباني النحوية (نحو المباني) تطورا إيجابيا لنحو القواعد الذي تقف حدوده عند النظر في أحكام أواخر الكلمات، فيما يفتح نحو المباني المجال واسعا أمام الباحثين للانتقال من طور القاعدة إلى طور الاستعمال[٤]، وكشف أحكام نظم الكلام، وأسرار

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : سير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٤.

[٣] : فتوح البلدان: ٢٠٣.

[٤] : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٢٣-٢٢٤، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، د. عبد النبي هماني: ٢٣.

تأليف العبارات، وفقه العربية[1]. وأنبه هنا إلى أن هذا المبحث من الدراسة يتناول وصف المباني النحوية فقط دون الخوض في جوانب أخرى تتعلق بدلالات وتداوليات تلك المباني، أو غيرهما من المواضيع التي يمكن بحثها في هذا الميدان، وذلك انسجاما مع المنهج الذي انتهجته وبينت ملامحه في مقدمة الدراسة.

ومن المهم هنا أن يتعرف القارئ على الأسباب التي دفعت الباحث إلى دراسة المباني النحوية في النصوص المتناولة، والتي تلخصها الأسئلة الآتية:

١- هل تميزت المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي عن غيرها من المباني النحوية الأخرى في لغات الخطاب المختلفة؟

٢- أي الجمل (الفعلية أم الاسمية) كان لها الحضور الأكبر في نصوص الخطاب التاريخي؟

٣- هل تنوع الحشو داخل المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي؟

٤- هل كان لأي فعل من الأفعال الثلاثة (ماضي - مضارع - أمر) مساحة حضور أكبر من البقية في لغة الخطاب التاريخي؟

وبنظرة فاحصة يكتشف الباحث في نص الطبري أن المباني النحوية قد تنوعت تنوعاً واضحاً وملحوظاً، فقد راوح المؤلف بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في هذا النص، حتى أنك لو قلبت طرفك يمنة ويسرة في النص لا تكاد تجد فقرة قد خلت من هذه المراوحة، مع تفاوت في نسبة حضور كل منهما في كل فترة من فقرات النص. بيد أن الجملة الفعلية سجلت حضوراً كبيراً وفاعلاً في هذا النص، فهي الحاضر الأكبر على فقرات النص، ولعل هذا الكم الكبير من الجمل الفعلية في النص مرده إلى طبيعة المادة المناقشة فيه، فالطبري هنا يناقش مادة تاريخية، أي: أحداث حصلت وانقضت في الزمان الغابر، وطالما أنه حدث فمن الطبيعي أن يكون الفعل أبلغ من الاسم في الدلالة على هذه الأحداث، وأعمق أثراً في نفس القارئ في التعبير عنها[2]. ولهذا السبب أيضاً كانت الغلبة في معركة الأفعال للفعل الماضي في النص بشكل واضح، حتى أنه لا يكاد يخلو سطر في النص من فعلين ماضيين على الأقل، يقابل هذا حضور على استحياء

[1] : إحياء النحو: ٣.

[2] : البحث النحوي عند الأصوليين، ١٤٧، دلالة الفعل على الزمن في ديوان النابغة الذبياني (حوليات آداب عين شمس)، ٤٥٣، دلالة الألفاظ: ٣٢، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٩١.

للفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر، إذ لم يرد في النص إلا نادرا نحو: "فخل"[١]، "انصرفوا"[٢]، و"ادخلوا"[٣]. وقد كان المؤلف كثيراً ما يستعيض عن التعبير بأفعال الأمر الحاصلة في زمان الحادثة بهذه الصيغة (فأمر ...)، ومثاله من النص "فأمر المعتصم فضرب مضربة في ذلك الموضع"[٤]. فعوضت هذه الصيغة إلى حد كبير غياب فعل الأمر في النص.

وقد صاحب تنوع المباني النحوية عند الطبري تنوع في الحشو النحوي داخل هذه المباني على مستوى الجملتين الفعلية والاسمية، وجاء هذا التنويع في الجملة الفعلية عبر (الفعل والفاعل والمفعول به أحياناً)، وفي الجملة الاسمية عبر ركينها (المبتدأ والخبر)، ومن أمثلة تنوع حشو الجملة الفعلية في النص ما يلي:

"أمضى المعتصم الأفشين"[٥].

(فعل + فاعل + مفعول به)

"أخذوا عدة ممن كان في عسكر الملك"[٦].

(فعل + فاعل "ضمير متصل" + مفعول به)

"كتب إلى أشناس"[٧].

(فعل + فاعل "ضمير مستتر")

"يوافيه كتاب أمير المؤمنين"[٨].

(فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل)

"وكان أشناس قد أسر عدة أسرى"[٩].

(فعل ناسخ + اسمة + خبره)

"باتوا فيه"[١٠].

---

[١] : تاريخ الطبري: ٩/٦٠.

[٢] : نفسه: ٩/ ٦٦.

[٣] : نفسه: ٩/٦٨.

[٤] : نفسه: ٩/٦٣.

[٥] : نفسه: ٩/٥٧.

[٦] : تاريخ الطبري: ٩/ ٥٩.

[٧] : نفسه: ٩/٦٠.

[٨] : نفسه: ٩/٥٩.

[٩] : نفسه: ٩/٦٠.

[١٠] : نفسه: ٩/٦١.

(فعل ناسخ + اسمة "ضمير متصل" + خبره " جار ومجرور)
"فسر المعتصم"[١].
(فعل مبنى للمفعول + نائب الفاعل)
ومن أمثلة تنوع الحشو النحوي في الجملة الاسمية:
"والأفشين في الميمنة "[٢]. (مبتدأ + خبر "شبة جملة")
"أنا أجمع بينك وبين الحارث"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر جملة فعلية)
"بينهما سبع مراحل"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)
"أنه وارد"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل " + خبره)

ويلاحظ من الأمثلة السابقة التنويع الواضح في الحشو النحوي على مستوى الجملتين الاسمية والفعلية عبر التقديم والتأخير تارة، واستعمال الضمائر تارة أخرى، وقد أعطت هذه النماذج صورة عامة عن المباني النحوية في نص الطبري، واستعمالات أداتي الحشو والتنويع في المباني النحوية.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

على الرغم من أن المادة المناقشة في هذا النص مادة تاريخية، ومعلوم أن المادة التاريخية العمدة في جمعها وتقصيها على الرواية التاريخية المتناقلة من راو إلى راو آخر، إلا أن الناظر في هذا النص يلاحظ ندرة استعمال ألفاظ الرواية التاريخية فيه. وأعني بألفاظ الرواية التاريخية تلك الألفاظ التي يصدّر بها المؤلفون رواياتهم ونقولاتهم التاريخية، سواء كانت هذه النقولات حرفية أو ضمينه، مثل (رَوى – رُوي – أخبرنا – ورد في – سمعنا من – جاء في الخبر – عن "العنعنة" – ذكر – قال – قيل) والتي لم ترد عند الطبري إلا في مواضع نادرة، ومن ذلك ما جاء عند حديثة عن تاريخ وقعة عمورية مستخدما لفظة (قيل): "وفي هذه السنة شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم، وقيل كان شخوصه إليها من سامرا في سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل في سنة

[١] : نفسه: ٦٢/٩.
[٢] : نفسه: ٦٣/٩.
[٣] : نفسه: ٩/ ٦٦.
[٤] : نفسه: ٩/ ٦٣.
[٥] : نفسه: ٦٢/٩.

اثنتين وعشرين ومائتين بعد قتله بابك"[1]. ومنه أيضا استعمال لفظة "قال" عند إسناده رواية لـ(مالك بن كيدر): "قال مالك بن كيدر: فدعوا الناس كلهم، خذوا ما أخذتم، ودعوا الباقي، فترك الناس السبي والمقاتلة وانصرفوا راجعين يريدون عسكر أشناس"[2]. وأنت تلاحظ أن المرة الأولى كانت على وجه التشكيك "قيل"، والثانية على وجه الجزم "قال".

ولعل السبب في ندرة ألفاظ الرواية التاريخية في نص الطبري يرجع إلى المنهج الذي اختاره المصنف، فقد اعتمد في رواية الأحداث على صياغته الشخصية للحدث والخبر المنقول، حرصاً منه على تبسيط مادة النص للتناول والقراءة، وطرد السآمة والملل عن المستمعين والقراء، لا سميا إذا عرفنا أنه كان يملى تاريخيه هذا على تلاميذه في ظل تذمرهم من طوله وكبر حجمه، وهو ما أكده الذهبي في سيره إذ يقول: "عن القاضي أبو عبد الله القضاعي: حدثنا علي بن نصر بن الصباح، حدثنا أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمسار، وأبو القاسم بن عقيل الوراق: أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة"[3]. فكان من البديهي أن يعمد الطبري إلى مادة سهلة ميسرة بعيدا عن العنعنة، وكثرة ألفاظ الرواية التاريخية، وقد شجعه على ذلك كون المادة المنقولة ليست نصاً من النصوص المقدسة التي لا تقبل إلا عبر إيرادها كما هي دون إعادة صياغة، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي الشريف –عند من يرى بتوقيفية ألفاظه–[4].

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

بما أن الحديث في هذا النص يتعلق بمعركة عمورية فليس من المستغرب أن ترد في النص بعض الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالمعارك والحروب، خاصة ونحن نعلم أن لكل بيئة (صنعة) ألفاظها ومصطلحاتها الخاصة بها، والمعبرة بدلالاتها عن مكونات

[1] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[2] : نفسه: ٦٢/٩.

[3] : سير أعلام النبلاء: ٢٧٥/١٤.

[4] : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: ١٤.

هذه البيئة ومحتوياتها[1]، وقد أردت بهذا المصطلح (معجم الآلة الحربية) التعبير عن الألفاظ المتعلقة بالمعارك والحروب[2].

فكما أن للمحدثين معجما، وللوراقين معجما، وللزراعين معجما، وللبحارة معجما، فكذلك للحروب والمعارك معجمها الخاص، ولقد حفل النص بكم زاخر من ألفاظ هذا المعجم، حتى إنك لا تكاد تفقدها ولو في ورقة واحدة من أوراقه، وقد كانت بعض ألفاظ هذا المعجم عربية، وبعضها الآخر معرّباً، وكانت تذكر أحياناً استرسالاً في موضع واحد، وأحياناً أخرى تنثر في مواضع عدة بحسب ما يقتضيه سياق الحديث، ومن هذه الألفاظ:

– "تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط، من السلاح، والعدد، والآلة، وحياض الأدم، والبغال، والروايا، والقرب، وآلة الحديد والنفط"[3]. وقد وردت ألفاظ الحرب هنا استرسالا في فقرة واحدة.

– ("المقدمة"، "القلب"، "الميمنه"، "الميسرة")[4]، "فكمن"[5]، "عساكر"[6]، "المنجنيق"[7]، "كردوس"[8]، "دبابة"[9]. وأنت تلحظ في الألفاظ السابقة أنها تنوعت بين الأسماء (المفرد والجمع) والأفعال، وأن بعضها احتفظ بدلالته اللغوية التي تتفق مع دلالته الاصطلاحية (الحربية)، وبعضها الآخر لم تتفق دلالته الاصطلاحية مع اللغوية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

من العلامات البارزة التي يمكن أن تستوقف الباحث في هذا النص، كثرة الأعلام والألقاب والكنى التي أوردها الطبري، حتى إنك لتشعر في الوهلة الأولى، أنك تطالع مصنفا من مصنفات التراجم وسير الرجال. ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: لماذا كل هذا الكم من الأعلام والكنى والألقاب في النص؟

---

[1] : معجم ألفاظ الحرف والمهن في نابلس، ٢٢.

[2] : ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي، ١٢. شعر الحرب في العصر الجاهلي: ٦١.

[3] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[4] : نفسه.

[5] : نفسه: ٥٨/٩.

[6] : نفسه: ٦٣/٩.

[7] : نفسه: ٦٥/٩.

[8] : نفسه: ٥٨/٩–٦٢.

[9] : نفسه: ٦٥/٩.

والإجابة على هذا التساؤل تحتم علينا الرجوع إلى طبيعة المادة المتناولة في النص (المادة التاريخية)، فالمصنف هنا يؤرخ لأحداث وأبطال، ورواية المؤلف لوقائع معركة عمورية دون ربط كل فعل بصحابة ونسبته إليه تعد في ذلك العصر قصوراً في الكتاب، لاسيما أن مشاهد المعركة لازالت حاضرة في أذهان كثير من أبناء ذلك الجيل نظراً لقرب عهدهم بها، أو لقرب عهدهم بمن عاصرها، ما سيجعل عزل الأحداث عن محدثيها قصوراً في نظرهم، إضافة إلى أن فيه نوع من الإجحاف المتمثل في عزل الإنجازات عن منجزيها، هذا فيما يتعلق بالأسماء والألقاب والكنى المرتبطة بالمسلمين، أما فيما يتعلق بالألقاب والأسماء والكنى المرتبطة بجيش الروم، وكثرة ورودها، وتكرار بعضها في مواضع متفرقة، فلعل مرده إلى مشاعر الفخر والاعتزاز لدى أبناء ذلك الجيل من المسلمين بعد هذا الانتصار في معركة عمورية، وكأنه يقول: قتلنا قادة الروم العظام، فلان وفلان وفلان، أصحاب تلك الأسماء الرنانة، وهؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا يقهرون قد قهرناهم، وأذقناهم أصناف الذل والهوان. فكان ذكر هذه الأسماء مهما عنده، لأنه يعبر عن مدى المجد والنصر الذي حققه المسلمون.

ومما يدعم هذا التأويل ما سبق وذكرنها عند حديثنا عن غياب أفعال الرواية في النص، فقد قررنا أن المؤلف عزف عن ذكر أسماء الرواة والمخبرين كراهة الإطالة والسآمة، وخوفاً من الإثقال على القراء والمستمعين الذين أملى عليهم كتابه، فما الذي سيجعله هنا يتخلى عن هذا التحفظ على ذكر الأسماء غير ما ذكرنها من ارتباط تخليه عن تحفظه بمشاعر الفخر والاعتزاز بانتصار المسلمين وتفوقهم على أعدائهم.

وقد كثرت الأسماء والألقاب والكنى الأعجمية في النص، لكون هذه المعركة بين الروم وهم أعاجم، والمسلمين وفيهم كثير من قواد المعتصم الأتراك والفرس، إضافة إلى الأسماء والألقاب والكنى العربية الواردة في النص. ومما يستلطف هنا أن الطبري استوقفه –على كثرة ما ذكر من الأسماء الأعجمية– اسم أعجمي، ففسره في استطراد لغوي لطيف، وذلك حين قال: "رجلاً من قواد الروم يقال له (وندوا) وتفسيره بالعربية (ثور)"[1]. فلماذا حرص على تفسير هذا الاسم دون غيره من الأسماء الأعجمية الأخرى التي جاء على ذكرها؟

لعل الأمر هنا عائد إلى أحد الافتراضات الآتية:

[1] : تاريخ الطبري: ٦٧/٩.

الأول: أن يكون هذا التفسير جاء بشكل اعتباطي شاذ عن المنهجية التي سار عليها المصنف فيما يتعلق بتفسير الأسماء التي يوردها. وهذا الافتراض مستبعد جملة وتفصيلاً؛ لأن ما أبداه الطبري من منهجية منضبطة -إلى حد كبير- في مصنفه هذا تبطل هذا المذهب.

الثاني: أن يكون تفسيره لهذا الاسم تحديداً نابع من جهله بمعنى سواه، وهذا الافتراض مردود ومرفوض أيضاً؛ لأن موسوعية الطبري، ولطائفة الفريدة والرائعة التي يوردها في مؤلفاتها ترد هذا التأويل.

الثالث: وهو أن يكون إفراده هذا الاسم بالشرح والتفسير نابع من استلطافه لمعناه (ثور)، فأراد أن يملي معنى هذا الاسم الأعجمي على طلابه ليشاركوه هذا اللطيفة، والتي قد تكون مشوبة بشيء من التهكم. وهذا الافتراض أكثرها مقبولية.

وفي نهاية هذا المبحث أورد بعض الأسماء والأعلام والألقاب والكنى التي جاء على ذكرها الطبري في نصه محل الدراسة: "المعتصم"[١]، "أشناس"[٢]، "الفرغاني"[٣]، "عمرو"[٤]، "إيتاخ"[٥]، "الأفشين"[٦]، "خيذر"[٧]، "كاوس"[٨]، "أمير المؤمنين"[٩]، "الأسقف"[١٠]، "مالك بن كيدر"[١١]، "ياطس"[١٢]، "أبا العباس"[١٣].

٦- الوصف الخرائطي:

وأعني به الحديث عن المواقع الجغرافية المتناولة في مادة النص المدروس، سواء عبر الوصف التفصيلي الدقيق لها، أو عن طريق الإشارة إليها دون تفصيل. ومثل هذا

---

[١] : نفسه: ٥٧/٩.
[٢] : نفسه.
[٣] : نفسه: ٥٨/٩.
[٤] : نفسه: ٥٩/٩.
[٥] : نفسه: ٦٩/٩.
[٦] : نفسه
[٧] : نفسه: ٥٧/٩.
[٨] : نفسه: ٧٠/٩.
[٩] : نفسه: ٦٣/٩.
[١٠] : نفسه: ٥٨/٩.
[١١] : نفسه: ٦٠/٩.
[١٢] : نفسه: ٦٤/٩.
[١٣] : نفسه: ٦٦/٩.

الوصف لا يستغرب أن يقع عليه الباحث في كتب الجغرافيا العربية مثلاً، أو كتب تاريخ البلدان والمدن، ولكن الذي قد يستغرب هو ظهور مثل هذا الوصف وبشكل واضح، عبر مساحات واسعة في كتب التاريخ والحوادث، غير أن هذا الحضور البارز للوصف الخرائطي في نص الطبري له ما يبرره، فكما هو معلوم أن النص يتناول وقعة عموريه، وهي وقعه حصلت في بقعة من بقاع الأرض، والمعتصم حين قصد فتحها والمسير إليها خرج من بقعة أخرى، وأثناء هذا المسير كان المرور على عدد من المدن والبلدان، والمؤلف في كل هذا بمنزلة الصحفي –وفق مفهوم هذا العصر– المرافق لوفد عسكري يرصد تحركاته، ويصف خطواته ومراتعه، فكان من المهم جداً عنده وصف هذه البقاع والمدن التي شملتها المعركة، ودارت أحداثها فيها.

وحُقَّ لسائل أن يسأل هنا لماذا أكثر الطبري من استخدام (الوصف الخرائطي) مقارنة بالنصوص الأخرى المتناولة في هذا البحث، على الرغم من أن المبرر الذي سقناه في الفقرة السابقة منطبق تماماً على كل المؤرخين الذين أرخوا لهذه المعركة، ودونوا أحداثها؟

والجواب على هذا التساؤل من وجهين:

الأول: ما قررناه في مبحث سابق فيما يتعلق بقرب عهد الطبري من هذه المعركة وعمق أثرها في نفسه، وأثرها في نفوس أبناء ذلك العصر بصورة عامة، والتي كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لهم، ما انعكس على اهتمامهم بأخبار هذه الواقعة، والحرص على أدق تفاصيلها، والخريطة المكانية لبقاع وساحه المعركة تعد ضمن هذه التفاصيل المشمولة بالعناية والمتابعة.

الثاني: وضع المنهج الذي اعتمده الطبري في الحسبان، والذي كان يعتمد الإطناب والحرص على التقصي ومتابعة أدق تفاصيل الأحداث التي يؤرخ لها، فكان من البديهي أن يلتفت إلى كثير من التفاصيل التي يزهد فيها غيره من بعض المؤرخين تبعاً لمناهجهم في الكتابة، ومن أبرز هذه التفاصيل (الوصف الخرائطي) لساحه وميادين المعركة، والتي أكد المصنف من خلالها دقته في الوصف والتجسيد، حتى إنك لتشعر أحياناً وأنت تقرأ بعض هذه الأوصاف بأنك جندي من جنود هذه المعركة، أو حتى قائد من قوادها؛ لأنه يصور لك المكان والموقع وكأنك تراه، وفيما يأتي طرف من نماذج الوصف الخرائطي الواردة في النص:

– "ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللمس، وهو على سلوقية قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وأمضي المعتصم الأفشين خيذر بين كاوس إلى سروج، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدث"[٢].

– "حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"[٣].

– "فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل، وبرز معه من نشط من الناس، ثم برز فضرب دابته بالسوط، فركض قريبا من ميلين ركضا شديدا، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه"[٤].

– " فأخبروهم أن الملك كان معسكرا على أربعة فراسخ من اللمس، حتى جاءه رسول، أن عسكرا ضخما قد دخل من ناحية الأرمنياق"[٥].

– "فوجه خلف الضياع فبنى وجه السور بالحجارة حجراً حجراً، وصير وراءه من جانب المدينة حشواً، ثم عقد فوقه الشرف كما كان"[٦].

والملاحظ من هذه الأمثلة مدى الدقة والبراعة التي تجلت عند الطبري عبر وصفه وتجسيده لمواقع المعركة وميادينها، حتى وكأنه لا يتكلم وإنما يرسم مجموعة فريدة من الخرائط والرسومات المعبرة عن مواقع القتال، وقد استعان بأدوات عدة في وصفه الخرائطي للمعركة، من أبرزها (ظروف المكان، أسماء المدن والبلدان، أسماء الأنهار والقرى والدروب، وأدوات القياس مثل: مرحلة – فرسخ – ميل).

ثانيا: نص أبي الحسن علي المسعودي من كتابه مروج الذهب:

٢– وصف النص:

لم يفرد المسعودي مساحة واسعة للحديث عن معركة عمورية، بل نراه اختزل الحديث عن هذه الحادثة في ورقة واحدة فقط، حتى أنه لم يجعل هذه الورقة خالصه تماماً للحديث عن وقعة عمورية، ولكنه استقطع ربعها الأول لإتمام حديث في موضوع

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : نفسه.

[٣] : نفسه: ٦٠/٩.

[٤] : نفسه:

[٥] : نفسه: ٦١/٩.

[٦] : نفسه.

سابق. ويعد هذا الاختزال اختزال مبرر ومقبول، إذ أن المسعودي يكتب بمنهجية تخالف منهجية الطبري في تاريخه، والذي كان يقصد الإطالة وتتبع التفاصيل عند تناوله الأحداث التاريخية، وجعل القارئ محيطاً بجميع جوانب الحادثة المتناولة، في حين أن المسعودي تجاوز هذا كله إلى مصنف يجد فيه الفاحص حضوراً لمعظم الأحداث التاريخية مع التضحية ببعض الجزئيات والتفاصيل العامة على حد تقدير المؤلف، فالحوادث المتناولة في الكتابين تكاد تكون واحدة، لكن الفرق في منهجية تعامل كل من المؤلفين مع هذه الوقائع والأحداث.

وهذه المنهجية هي التي دفعت المسعودي إلى عدم تخصيص عنوان مفرد ومستقل لوقعة عمورية، فتراه أوردها أثناء حديثه عن حوادث سنه ٢٢٣ هـ دون ذكر ميزة لها على حوادث ذلك العام، ولعل السبب في ذلك –إضافة إلى ما ذكرناه– التقدير الشخصي للمصنف، فالطبري قدر في أن معركة عمورية حدث بالغ الأهمية، وجدير بأن يكتب بحروف من ذهب تخليداً له في ذاكرة الأجيال، وشغلت هذه الفكرة حيزاً من تفكيره، وظهرت بالتالي عبر إطنابه في ذكر تفاصليها الموقعة، فيما قدر المسعودي أن هذا الحدث وإن كان بالغ الأهمية إلا أنه من الممكن الاختصار فيه واختزال بعض تفاصليه دون المساس بأهميته.

٢– المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند المسعودي متنوعة مبنى وحشواً، مبنى عبر المراوحة بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وحشواً عبر التغيير الداخلي في أركان كل جمة على حدة. ففي الجملة الفعلية جاء التغيير على مستوى ركنيها الفعل والفاعل وأحيانا المفعول به، وفي الجملة الاسمية على مستوى ركنيها المبتدأ والخبر، وكان التغيير في حشو كلا الجملتين يظهر من خلال عدة صور، من أبرزها: التقديم والتأخير، والظهور والاستتار في بعض أركانها، فيما سجلت الجملة الفعلية حضوراً أوسع من حضور الجملة الاسمية، وكان الفعل الماضي كان هو صاحب الحضور الأكبر، في ظل وجود منافسة ضعيفة من الفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر. وفيما يأتي بعض نماذج تنوع المباني النحوية على مستويي التركيب والحشو:

الجملة الفعلية:

– "خروج المعتصم". (فعل + فاعل)

- "فتح المعتصم حصوناً". (فعل + فاعل + مفعول به)
- "تعمم بعمامة". (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + جر ومجرور متعلق بالفعل)
- "جعل على مقدمته أشناس". (فعل + جر ومجرور + فاعل)
- "أراد المسير". (فعل + فاعل " ضمير مستتر" + مفعول به)
- "يتلوه محمد". (فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل مؤخر)
- "نُصبت الأعلام". (فعل مبني للمفعول + نائب فاعل)
- "نودي في الأمصار". (فعل مبني للمفعول + جر ومجرور)
- "كان الأفشين قصر عن أخذ الملك". (فعل ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "فلم يكن يحصي الناس العدد". (فعل ناسخ + خبر "جملة فعلية" + اسمه)

الجملة الاسمية:

- "هو ملك". (مبتدأ + خبر)
- "الملوك يبقي بعضها على بعض". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "فالمكثر يقول". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "أن ناساً قد بايعوه". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "وأنه كاتب". (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل" + خبره "جملة فعلية")

ونسجل أخيراً ملاحظة مهمة، وهي أن المباني النحوية رغم تنوعها في النص إلا أنها كانت بعيدة كل البعد عن التعقيد والتكلف، بل كانت بسيطة وميسرة، مجارية لمادة النص وطبيعته.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

إن من أبرز الملاحظات التي يمكن تدوينها في حق هذا النص هي غياب ألفاظ الرواية التاريخية بشكل تام عنه، ليس هذا وحسب، بل إن المؤلف لم يشر حتى ولو إشارة بسيطة إلى ما يعبر عن هذه الألفاظ، ومن الممكن هنا أن نرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور:

- المنهج الذي تعامل به المؤلف مع الروايات التاريخية وأسانيدها، إذ اعتمد حذف الأسانيد (العنعنة) من الروايات وإيرادها مجردة من أسماء رواتها ومحدثيها، ويكفي للوقوف على ذلك قراءة أي حادثة من الحوادث التي أرخ لها المسعودي في كتابه هذا.

– الصياغة الشخصية للأحداث والوقائع، والتي اعتمد عليها المسعودي كثيراً، فهو ينقل الرواية التاريخية معنى لا نصاً، في اعتماد ملحوظ على أسلوبه الذاتي، والذي هو بالتأكيد أقرب إلى أذهان أبناء جيله من أن يسوق لهم رواية تاريخية بشكل نصي.

– ميل المسعودي إلى الاختصار بشكل عام، فقد ألف مصنفه هذا معتمدا على الإيجاز في السرد، وقد يكون نزوع المؤلف إلى الاختصار مرده إلى رغبته بأن يكون كتابه مادة ميسرة لطلاب العلم، لا سيما الناشئة منهم، فنراه أقرب ما يكون إلى كونه كتابا تعليميا يسهل على العامة قراءته وتناول مادته العلمية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

لو أنَا قيمنا ألفاظ معجم الحرب الواردة في النص مقارنة بحجمه لوجدنا أن نستبها مرتفعة جداً، فقد ورد في النص خمس وعشرون لفظة من ألفاظ الحرب، أي بمعدل لفظة لكل سطر، وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، وكان لكل منها دلالته الخاصة ذات الصلة بالحروب مع احتفاظ بعضها بدلالتها اللغوية الأصلية، ومن ألفاظ الحرب الواردة في النص: (نافراً – دُرَّاعة – الغزاة – عسكر – الأعلام – النفير – المطوعة – مقدمته – ميمنة –ميسرته – ساقته – القلب – الثغور – فحاربه – هزمه – قتل – حماه – فتح – حصوناً – أسر – يهدم – يحرق – المسير).

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

لا نبحث عند حديثنا عن الأعلام والكنى عن عدد هذه الأسماء ومقدار حضورها في النص، بل نبحث في الدرجة الأولى عما إذا كان وجودها يعد ميزة من مزايا لغة الخطاب التاريخي أم لا. وقد ورد في نص المسعودي عدد من الأسماء العربية والأعجمية، وهي أسماء بعض المشاركين في معركة عمورية من قادة وجنود، كما وردت بعض الألقاب المرتبطة ببعض المشاركين في هذه المعركة، فيما غابت الكنى بشكل تام عن النص. ومن أمثلة الأعلام والألقاب ما يأتي:

الأعلام العربية:

(المعتصم – محمد بن إبراهيم – العباس).

الألقاب العربية:

(أمير المؤمنين – الخياط).

الأعلام الأعجمية:

(أشناس – إيتاخ التركي – لاوى – ياطس – البطريق – الأفشين).

٦- الوصف الخرائطي:

السبب في وضع مبحث (الوصف الخرائطي) ضمن مباحث الدراسة هو كونه يضم في طياته منظومة من الألفاظ ذات الدلالة الخاصة، ومجموعة من الأدوات والأساليب اللغوية المرتبطة به، هذا من جانب، ومن جانب آخر الرغبة في معرفة مدى الارتباط بين الوصف الخرائطي ولغة الخطاب التاريخي. وقد ورد في نص المسعودي عدة مواضع تدخل ضمن هذا المبحث، منها:

- "ونصبت الأعلام على الجسر".
- "فعسكر في غربي دجلة".
- "وسار المعتصم من الثغور الشامية، ودخل من درب السلامة، ودخل الأفشين من درب الحدث، ودخل الناس من سائر الدروب".
- "وأراد المسير إلى القسطنطينية والنزول على خليجها، والحيلة في فتحها براً وبحراً".

والملاحظة الأبرز التي يمكن رصدها عبر استعراض الأمثلة السابقة هي غياب (الوصف الخرائطي) العميق كما شاهدناه في نص الطبري، وكذلك ندرة ظروف المكان، والتي تعد من أهم أداوت (الوصف الخرائطي) التي يمكن للمؤلف الاعتماد عليها، كذلك كثرة استعمال الجار والمجرور في جمل الوصف، واستعانته بأسماء المدن والدروب وبعض الأنهار، وأسماء الجهات.

ثالثا: نص ابن الجوزي من كتابه المنتظم تاريخ الملوك والأمم:

١- وصف النص:

يعد كتاب المنتظم من أمهات كتب التاريخ في الحضارة الإسلامية، ومن الكتب المميزة في الموروث التاريخي للعرب. والحق أن هذا التميز لم يكن وليد الصدفة؛ بل هو وليد منهجية منضبطة سار عليها ابن الجوزي في تصنيفه لهذا الكتاب، والتي اعتمد فيها على البسط والإطناب في تتبع الحوادث التاريخية وتوثيقها، إضافة إلى ما عرف عن ابن الجوزي من العناية الشديدة بمصنفاته، والحرص على ظهورها بأحسن صورة. ومن هنا كان حديث المصنف عن معركة عمورية فيه شيء من البسط والإطالة، دون إفراد فصل مستقل لها، فقد ساق الحديث عنها سرداً ضمن حوادث ذلك العام. ومن

الامور التي يمكن ملاحظتها عند ابن الجوزي دون غيره من عينة الدراسة الاستطراد في بعض المواضع، كذكره لقصة يعقوب بن جعفر[١]، وحبس المعتصم للعباس بن المأمون[٢]. كما أن نص ابن الجوزي، تميز بإيراد بعض الأبيات الشعرية التي نظمت بمناسبة بعض أحداث هذه المعركة، ومن ذلك إيراده لأبيات محمد بن عبد الملك الزيات التي قالها في فتح عمورية[٣]، ولبيت ردده المعتصم[٤]، ولا شك أن هذه الإيرادات الشعرية كان لها دور فاعل في النص على مستوى التوثيق وتعزيز مصداقية النقل من جانب، ومن جانب آخر على مستوى تخفيف ثقل المادة التاريخية التي قد يكون الاسترسال فيها مورثا للسآمة والملل، ما يجعل إضافة مثل هذه التعليقات الأدبية مناسبا في هذا المقام.

٢- المباني النحوية:

سجلت الجملة الفعلية حضوراً لافتا (كماً ونوعاً) في النص، فيما تراجعت الجملة الاسمية في المقابل، مع احتفاظها بالتنوع على مستوى الحشو النحوي، وقد كان الفعل الماضي هو الحاضر الأكبر في النص، في حين أن ندرة حضور فعل الامر ظلت مستمرة، مع ملاحظة الحضور المحتشم للفعل المضارع، وفيما يأتي أمثلة على المباني النحوية في النص:

الجملة الفعلية:

- "بعث الأفشين"[٥]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "أمر المعتصم أشناس"[٦]. (فعل + فاعل + مفعول به)
- "أحضر القضاة"[٧]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "فأمره"[٨]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به "ضمير متصل")
- "فإن أردت الخروج"[١]. (فعل مضارع سبق بناصب + فاعل مستتر + مفعول به)

---

[١] : المنتظم: ٨٢/١١.
[٢] : نفسه: ٨٣/١١.
[٣] : نفسه: ٨٤/١١.
[٤] : نفسه: ٧٨/١١.
[٥] : نفسه: ٧٩/١١.
[٦] : نفسه.
[٧] : نفسه.
[٨] : المنتظم: ٧٩/١١.

– "كان السبب في ذلك تضييق الأفشين"[٢]. (فعل ناسخ + جار ومجرور + اسمه + خبره)

– "كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين"[٣]. (فعل ناسخ + اسمه + خبره "شبه جملة")

– " فطرحت الجلود"[٤]. (فعل "مبني للمفعول" + نائب فاعل)

الجملة الاسمية:

– "هي وقف"[٥]. (مبتدأ "ضمير" + خبر)

– "وهم يتقدمون"[٦]. (مبتدأ "ضمير" + خبر "جملة فعلية")

– "الرجل ممكن"[٧]. (مبتدأ "اسم ظاهر" + خبر "اسم ظاهر")

– "في دار لي"[٨]. (مبتدأ "ضمير مستتر" + خبر "شبه جملة")

– "أن العباس دسّ رجلاً"[٩]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")

– "لكن أشهد الله أني جعلت"[١٠]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير مستتر" + خبره "جملة فعلية")

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

بدى واضحاً أن ابن الجوزي تجنب الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالأحداث التاريخية، وتجلى ذلك عبر عزوفه عن ذكر أي من (ألفاظ الرواية التاريخية) رغم ما قررناه في مبحث سابق من أن المادة التاريخية العمدة فيها على الرواية، إذ لم يرد في النص ذكر لها إلا في موضعين، مرة عند الحديث عن تاريخ خروج الجيش الإسلامي حين قال: "وقيل: كان ذلك في سنة اثنين وعشرين. وقيل: سنة أربع وعشرين"[١١]، ومرة

---

[١] : نفسه: ٧٨/١١.

[٢] : نفسه: ١١/ ٧٨–٨٣.

[٣] : نفسه: ١١/ ٨١.

[٤] : نفسه: ٨١/١١.

[٥] : نفسه: ٨٣/١١.

[٦] : نفسه: ٨٢/١١.

[٧] : نفسه: ٨٣/١١.

[٨] : نفسه.

[٩] : نفسه.

[١٠] : نفسه.

[١١] : المنتظم: ٧٩/١١.

أخرى عند روايته لحكاية يعقوب بن جعفر بالسند حين قال: "وروى أبو بكر الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني يعقوب بن جعفر بن سليمان ..."[1].

ولسائل هنا أن يسأل لماذا سلك المؤلف هذا المسلك في تعامله مع ألفاظ الرواية التاريخية رغم أنه اعتمد منهجية الإطناب والإطالة في تأليفه لهذا المصنف؟

ولعل السبب في ذلك هو أن المصنف قد اعتمد منهجية الإطالة الموجهة، فجاء تهميشه لألفاظ الرواية التاريخية انطلاقاً من كونها –في تقديره– لن تقدم أو تأخر في المادة التاريخية المطروحة، فكان التخلي عنها هو الأولى.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

يعد نص ابن الجوزي أكثر نصوص عينة الدراسة إيرادا لألفاظ معجم الحرب، إذ كان حضورها في النص لافتا، وكما قلنا عند حديثنا عن النصوص السابقة أن هذا الحضور غير مستغرب البتة، لكون الحديث هنا عن معركة عمورية، فكان من المتوقع شغل هذه الألفاظ لمساحة واسعة في النص. ومن أمثلة هذه الألفاظ:

– ("السلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والحمير والبغال والروايا والقرب وآلة الحرب، والحرير والنفط"، "الدم")[2].

– ("ضربت عنقه"، " فأسرهم وخرب بلدهم "، " فأغار"، " حصون "، "مقاتلة")[3].

وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة) والمصادر أحياناً، فيما كان بعض تلك الألفاظ يحمل دلالة لغوية واصطلاحية واحدة، وبعضها الآخر اختلفت دلالتها اللغوية عن دلالتها الاصطلاحية ذات الصلة بمعجم الآلة الحربية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

ورد في النص العديد من الأعلام والألقاب والكنى، وقد كان بعض هذه الأعلام والألقاب عربيا، وبعضها الآخر أعجميا، أما الكنى فقد كانت عربية خالصة، ولم يرد في النص أي كنية أعجمية، وقد عبرت الأعلام والألقاب والكنى العربية عن جيش المسلمين، أما الأعلام الأعجمية فقد عبر جزء منها عن جيش المسلمين (قواد المعتصم

[1] : نفسه: ٨٢/١١.

[2] : نفسه: ٧٧/١١.

[3] : نفسه: ٧٨/١١.

من الفرس والأتراك)، وعبر جزؤها الآخر عن جيش الروم الذي لاقاه المعتصم في هذه الواقعة. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

- ("توفيل"، "ميخائيل"، "الأفشين"، "بابك"، "جعفر"، "دينار"، "إيتاخ"، "ملك الروم"، "عجيف"، "عنبسة"، "المعتصم")[1].
- ("أشناس"، "محمد"، "إبراهيم"، "الصولي"، "البطريق")[2].
- ("أبوبكر"، "السمرقندي"، "الحارث"، "العباس")[3].

ولعل التساؤل المهم طرحه هنا هو: لماذا تم إضافة هذا المبحث (الأعلام والألقاب والكنى) ضمن مباحث الدراسة؟

ويكفي للإجابة على هذا التساؤل أن نشير إلى الثمرة المرجوة من تناول هذا المبحث، وهي: الكشف عن مدى ارتباط (الأعلام والألقاب والكنى) بلغة الخطاب التاريخي، والبحث عما إذا كان من الممكن عدها من العلامات البارزة التي تميز بها الخطاب التاريخي؟

٦- الوصف الخرائطي:

يمكن الربط بين منهجية الكاتب التي اعتمدها في التأليف وبين حجم مواضع (الوصف الخرائطي) في النص، فكلما كانت منهجية المؤلف قوامها البسط والإطالة كانت رقعة الوصف الخرائطي أوسع في النص، أما إذا كانت منهجيته مرتكزة على الاختصار والإيجاز كانت رقعة الوصف الخرائطي -على الأغلب- أضيق.

وهذا تماماً ما يؤكده تتبع مواضع الوصف الخرائطي في نص ابن الجوزي، والتي حظيت بشيء من البسط والتوسع على امتداد النص تبعاً للمنهجية التي اعتمدها المصنف. وفيما يأتي بعض الأمثلة:

- ("عسكر في غربي دجلة"، "ووجه عجيف بن عنبسة في جماعة من القواد إلى زبطرة")[4].
- ("فدخل بلاد البروم، فأقام على سلوقية قريباً من البحر"، "ودبر النزول على أنقرة"، "وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طرطوس")[1].

---

[1] : المنتظم: ٧٨/١١.
[2] : نفسه: ٧٩/١١.
[3] : نفسه: ٨٣/١١.
[4] : نفسه: ٧٨/١١.

– ("حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"، "وبين كل عسكر وعسكر فرسخان"، "فصار لكل قائد ما بين البرجين إلى عشرين برجاً")[٢].

ويمكنك هنا ملاحظة أن المؤلف قد استعان في وصفه الخرائطي بمجموعة من الأدوات أبرزها: (الظروف المكانية، أسماء المدن والقرى والبلدان، أسماء الجهات، أسماء الأنهار).

رابعا: نص ابن الأثير من كتابه الكامل في التاريخ:

١– وصف النص:

من المهم هنا أن أشير إلى أن ما قلناه عند وصفنا لنص الطبري صالح –إلى حد كبير– لتعميمه على نص ابن الأثير، فالقواسم المشتركة بين النصيين كثيرة، وهذا ما أكده ابن الأثير في مقدمته حين شرع في شرح منهجيته ومصادره في تصنيف هذا الكتاب إذ يقول: " فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا.

ولا أقول إني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ، فإن من هو بالموصل لا بد أن يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب، ولكن أقول إنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك. فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة ... وإنما اعتمدت عليه –الطبري– من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا"[٣].

إذا علم هذا فلتعلم أن ابن الأثير قد أطال وفصل في سياق حديثه عن وقعة عمورية، لأنه أراد كتابه هذا كاملا كما أسماه، فأراده كاملاً في استعراضه لحوادث العصور والأزمان، وكاملاً في تقصيه لتفاصيل هذه الحوادث، وما فتح عمورية إلا حادثة من هذه الحوادث، تخضع للمنهجية ذاتها التي حددها ابن الاثير. وقد أفرد عنواناً مستقلاً

---

[١] : المنتظم: ٧٩/١١.

[٢] : نفسه: ٨٠/١١.

[٣] : الكامل: ٦/١–٧.

للحديث عن عمورية، جمع تحته شتات أحداث هذه الموقعة، وهو منهج اختاره ابن الأثير وسار عليه، وقد أثبته في مقدمته حين قال: "على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصبا واللآلي. ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض"[١].

٢- المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند ابن الأثير في نصه هذا متنوعة على المستويين (الداخلي والخارجي)، وأعني بالمستوى الداخلي: تنوع الحشو النحوي داخل الجملة الواحدة، وبالمستوى الخارجي: المراوحة بين الجملتين الاسمية والفعلية. غير أن الجملة الفعلية استمرت في فرض سيطرتها على النص كما كانت مسيطرة في النصوص السابقة، وكذلك على مستوى الأفعال كان الفعل الماضي هو الحاضر الاكبر في النص، وقد استخدم المؤلف لتحقيق التغيير في المستوى الداخلي للجملة التقديم والتأخير أحيانا، والظهور والاستتار أحيانا أخرى. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

الجملة الفعلية:

- "وأمضى المعتصم الأفشين"[٢]. (فعل متعدي + فاعل ظاهر + مفعول به ظاهر)
- "رحل المعتصم"[٣]. (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "جمع العساكر"[٤]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به ظاهر)
- "فأشهدهم"[٥]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به "ضمير متصل")
- "لم يعرض لها أحد"[٦]. (فعل مسبوق بجازم + جار ومجرور + فاعل مؤخر)

---

[١] : الكامل: ٦/٧.
[٢] : نفسه: ٦/٣٩.
[٣] : نفسه.
[٤] : نفسه: ٦/٣٨.
[٥] : نفسه.
[٦] : نفسه: ٦/٣٩.

– "يكون اجتماعهم فيه"[١]. (فعل مضارع ناسخ + اسمه "ظاهر" + خبره "ظاهر")

الجملة الاسمية:

– "وهو جالس"[٢]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر)

– "وهي عين النصرانية"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر "مضاف ومضاف إليه")

– "ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)

– "أن الملك مقيم"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره)

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

لم يستعمل ابن الأثير في نصه هذا أيا من (ألفاظ الرواية التاريخية)، إلا في موضع واحد عند حديثه عن تاريخ خروج المعتصم من (سر من رأى) حين قال: "فسار المعتصم من سر من رأى، وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين، وقيل سنة أربع وعشرين"[٦]. والسبب في هذا دون شك يعود إلى الأسلوب الذي اعتمده المؤلف في مصنفه هذا، والذي يتضمن استبعاد الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالمادة التاريخية المطروحة، لاسيما بعد ما قررناه في مبحث (وصف النص) من تأثر ابن الأثير بالطبري في أسلوبه ومنهجيته، إذ لم يكن لكليهما عناية بألفاظ الرواية التاريخية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

كثر إيراد ألفاظ (الآلة الحربية) في النص، وهذا أمر لا يستغرب نظراً لما قررناه في مباحث سابقة بأن الحديث هنا عن معركة، فلا غرابة في أن تكون الألفاظ المعبرة عن بيئة المعركة حاضرة في النص، ولكن اللافت في نص ابن الأثير هو تكراره لبعض هذه الألفاظ تكرارا محظا أحيانا، وتكرارا جزئيا أحيانا أخرى، نحو: "سير – مسير – عسكر – عساكر – معسكر – يتجهز – جهازاً – جهزه"[٧]. وقد يكون هذا التكرار سببه سياق الكلام الذي اضطر المصنف أحياناً إلى التكرار، وقد يكون سببه

---

[١] الكامل: ٣٩/٦.

[٢] : نفسه: ٣٨/٦.

[٣] : نفسه: ٣٩/٦.

[٤] : نفسه: ٣٨/٦.

[٥] : نفسه: ٣٩/٦.

[٦] : نفسه: ٣٩/٦.

[٧] : نفسه.

أسلوب المؤلف وطريقة اختياره للألفاظ، لا سيما ونحن نعلم أن تاريخ الطبري –وهو النموذج الذي سار عليه ابن الأثير في كامله– لم يضطر إلى التكرار بالشكل الذي نجده عند ابن الأثير. وقد تنوعت ألفاظ (المعجم الحربي) في النص، إذ تضمنت الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، فيما جاء بعضها عربياً وبعضها الآخر أعجميا. ومن أمثلتها في النص:

– ("أسيرة"، "النفير"، "وسمط خلفه شكالاً"، "سكة حديد"، " القواد "، "أمنع وأحصن")[1].

– ("فارس"، "سرية")[2].

– ("الأرمنياق"، "حياض الأدم"، "ظفر")[3].

ويلاحظ هنا أن معظم الألفاظ السابقة اتحدت دلالتها اللغوية والاصطلاحية في الدلالة على مدلولات ذات صلة بالحروب والمعارك.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

سجلت أسماء الأعلام والألقاب حضوراً واسعا في النص، فيما غابت الكنى عن النص، وقد تنوعت هذه الأعلام بين العربي والأعجمي، والألقاب كذلك. ومن أمثلتها:

– ("محمد بن إبراهيم"، "خليفة"، "إيتاخ"، " ملك الروم"، "المعتصم")[4].

– ("الحارث"، "البطريق"، "أشناس"، "الأفشين"، "السمرقندي")[5].

وقد ظهر هنا اعتماد ابن الأثير لتاريخ الطبري مصدرا رئيسا في نقل وقائع معركة عمورية، وذلك عبر التشابه الكبير في الأعلام والألقاب المتناولة عند كل منهما، بل إن ابن الأثير لم يفسر أي علم أعجمي إلا ذلك العلم الذي فسره الطبري بـ(ثور) في العربية، إذ قال: "وكان البطريق الموكل بهذه الناحية (وندوا)، وتفسيره ثور"[6].

٦– الوصف الخرائطي:

استرسل ابن الأثير في وصف البقاع والبلدان التي قصدها الجيش الإسلامي، وكذلك ميادين وساحات المعركة، وقد تميز هذا الوصف بالدقة، حتى إن القارئ ليقف عند

---

[1] : الكامل: ٣٨/٦.

[2] : نفسه: ٣٩/٦

[3] : نفسه: ٤٠/٦.

[4] : نفسه: ٣٧/٦–٣٩.

[5] : نفسه: ٤٣/٦.

[6] : نفسه.

بعض مواضع (الوصف الخرائطي) في النص وكأنه يشاهد صورة (فوتوغرافية) لا كأنه يقرأ وصفاً لبقعة أو مكان، هذا وقد اعتمد المؤلف في صياغة (الوصف الخرائطي) على عدة أدوات، منها: (ظروف المكان، أسماء البلدان، أسماء الأنهار، أسماء الدروب، أسماء الجهات). ومن أمثلة الوصف الخرائطي في النص:

– " فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن، وهو على سلوقية، قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وساروا حتى خرجوا من الغيضة، وسار بهم الشيخ حتى أتى جبلا، فنزله ليلا، فلما أصبحوا قال الشيخ: وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل، فينظرا ما فوق"[٢].

– "ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر: عسكر فيه أشناس في الميسرة، والمعتصم في القلب، وعسكر الأفشين في الميمنة، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمر كل عسكر أن يكون له ميمنة وميسرة"[٣].

ثالثا: نص ابن كثير من كتابه البداية والنهاية:

١ – وصف النص:

على الرغم من أن ابن كثير قد اعتمد –عند تصنيفه للبداية والنهاية– منهجية البسط والإطالة في تتبع الحوادث على مر العصور، إلا أن حديثه عن معركة عمورية جاء غاية في الاختصار مقارنة بما ورد عند أصحاب كتب التاريخ المطولة الأخرى، فقد جاء الحديث عن معركة عمورية في البداية والنهاية في ورقتين وزيادة، مع إفراد فصل للحديث عنها، وقد عنون لهذا الفصل بـ "فتح عمورية على يد المعتصم". ولعل السبب في ذلك هي الوسطية التي اختارها ابن كثير لتحكم منهجية تأليفه، فقد كان حريصاً على أن يؤرخ لأكبر عدد ممكن من الحوادث التاريخية مع الاحتفاظ بأداة الاختصار في تفاصيل هذه الحوادث، فيقع اختياره أحياناً على بعض الحوادث ليطبق الاختصار عليها لحساب حوادث أخرى أطال فيها، فتتحقق في النهاية هذه الموازنة، فما كان من إطالة في خبر معين قابله اختصار في موضع آخر، وقد كانت معركة عمورية –على ما يبدو– من الحوادث التي كان نصيبها عند ابن كثير الاختصار.

---

[١] : الكامل: ٣٩/٦

[٢] : نفسه: ٤٠/٦.

[٣] : نفسه: ٤١/٦.

والذي قد يميز نص ابن كثير عن غيره من النصوص محل الدراسة هو التركيز في المعلومة المطروحة، فقد جاءت الألفاظ عنده مركزة، فلا تستطيع إسقاط أي عبارة أو كلمة من النص دون أن يسقط معها فائدة رئيسة ترتبط بأحداث عمورية. إضافة إلى ذلك كانت لغته سهلة وقريبة من أذهان أبناء هذا العصر؛ ولعله السبب في ذلك يرجع إلى كونه من أواخر كتب التاريخ المطولة التي وصلتنا، فكانت الأمور أمامه ناضجة وتامة في ضوء ملكة لغوية سخرها في ذلك.

٢- المباني النحوية:

إن عالما بجلالة قدر ابن كثير ليعرف تمام المعرفة كيف يوظف المباني النحوية في النص التوظيف النافع، فقد أراد لها أن تكون بسيطة وميسرة وقريبة من الأذهان، بعيدة عن التكلف والتعقيد، فكانت كذلك، إذ جاءت هذه المباني منوعة على المستويين الخارجي والداخلي، مع ملاحظة تفوق الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، وغلبت استخدام الفعل الماضي على غيره من الأفعال. وفيما يأتي بعض الامثلة[١]:

الجملة الفعلية:

- "فوافاه الافشين". (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "فسره ذلك". (فعل + مفعول "ضمير متصل" + فاعل "اسم إشارة")
- "فتقاربا". (فعل + فاعل "ضمير متصل")
- "وسار إلى عمورية". (فعل + جار ومجرور "متعلق به")
- "لم يجهزه أحد كان قبله". (فعل سبق بجازم + فاعل)
- "أن يجعل لجيشه ميمنة". (فعل سبق بناصب + فاعل "مستتر")
- "وكان بينها وبين مدينة انقرة سبع مراحل". (فعل ناسخ + خبره مقدم + اسمه مؤخر)

الجملة الاسمية:

"وهو قريب". (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبره)

"وذاك في رجب". (مبتدأ "اسم إشارة" + خبره "شبه جملة")

" فالميمنة عليها الأفشين". (مبتدأ + خبره "جملة اسمية")

"أن بقية الجيش قد شردوا". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "فعليه")

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤.

"فأول من وصل إليها من الجيش اثنان". (خبر متقدم + إضافات + مبتدأ مؤخر)

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

الأسلوب الذي اعتمده ابن كثير لرواية الأحداث والوقائع التاريخية التي أرخ لها قلل من مساحة وجود (ألفاظ الرواية التاريخية) عند حديثه عن معركة عمورية، وهذا ما يؤكده خلو النص من أي من تلك الألفاظ. وقد كان لخلو النص من (ألفاظ الرواية التاريخية) أثره الواضح على لغة النص، فلو أن المؤلف اعتمد سرد الروايات التاريخية المتعلقة بالمعركة بنصها كما رواها الرواة لكان في ذلك شيء من الإطالة والتعسير؛ لكون هذه الرواية صيغت في أزمان غابرة، فكان من المؤكد أن لغتها لا توافق لغة عصر ابن كثير والتي كانت أكثر نمواً وتطوراً من لغة عصر الرواة السابقين، أضف إلى ذلك أنها ستحد من لمسة الكاتب في النص؛ لأنه سيضطر لسردها بأسلوب ناظمها وفي ذلك تحجيم وحد من أسلوبه الشخصي، ولكن ابن كثير تجاوز كل هذا حينما اعتمد رواية هذه الاحداث بأسلوبه وصياغته الخاصة دون عزوها بأسانيد ثقيلة إلى رواتها.

٤- معجم الآلة الحربية:

لسنا بحاجة هنا إلى سرد أسباب ورود ألفاظ (المعجم الحربي) في النص؛ لأن ما ذكرناه في المباحث السابقة يغنينا عن ذلك، لكنني أورد لكم بعض ما جاء في النص من ألفاظ هذا المعجم: ("الجين"، "العسكر"، "الميمنة"، "دبابات"، "السلالم"، "الخندق"، "قتل"، "حرقوه"، "المجانيق"، "الحصون"، "الأبراج"، "السور"، "المسير")[١].

٥- الأعلام والألقاب والكنى:

بدت آثار رغبة المؤلف في الاختصار واضحة عبر التقنين الشديد في ذكر الأعلام والألقاب والكنى، فقد كان ورودها في النص بشكل مركز دون تكرار، وإذا اضطر إلى تكرار اسم أو لقب كرره بقدر حاجة السياق. أما الكنى فقد خلت ساحة النص تماماً منها. وفيما يأتي بعض الأمثلة من النص:

("المعتصم"، "الأفشين"، "الخليفة"، "ملك الروم"، "أمير المؤمنين"، "مناطس")[٢].

---

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

[٢] : نفسه.

ويلاحظ هنا أن العلم الاخير "مناطس" قد ضبطه المؤرخون السابقون بـــ"يـــاطس"، ولا أدري إن كان ما جاء عند ابن كثير يعد من أخطاء الطباعة أم أنه تـــصحيف فـــي التحقيق، لا سيما وأن الاسم تكرر مرتين في النص بهذا الشكل.

٦- الوصف الخرائطي:

تميز الوصف الخرائطي عند ابن كثير بالتركيز والتقنين، فلم يطلق لنفسه العنان فـــي وصف كل بقعة من بقاع المعركة أو المسير إليها، بل وصف ما اعتقد أن القراء بحاجة إلى معرفته. ومن أمثلته في النص:

("فتقاربا حتى كان بين الجيشين أربعة فراسخ"، "ودخل الأفشين بلاد الروم مـــن ناحيـــة أخرى")[١]، ويلاحظ هنا أن ابن كثير قال "من ناحية أخرى" دون اللجوء إلـــى تحديـــدها؛ لتقديره عدم أهمية معرفة القارئ لهذه الناحية وعـــدم ترتـــب أي شـــيء علـــى فقـــدان معرفتها. وقد استعان في (وصفه الخرائطي) بظروف الزمان، وأدوات القياس، وغيرها مما أشرنا إليه من الأدوات في المباحث السابقة. كما ورد عنده ضبط اسم نهـــر خلافـــا لما ضبطه عليه المؤرخون قبله فجاء عنده باسم نهر "اللسى"، فيما سماه من سبقه نهـــر "اللمس".

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

نتائج الدراسة:

مما سبق عرضه ومناقشته من مباحث يمكننا أن نستخلص عدد من النتائج نختم بها هذه الدراسة:

١- تميزت لغة الخطاب التاريخي بالسهولة والبساطة والبعد عن الزخرفة القولية والتعقيد، كما تميزت بأنها لغة مباشرة يحكمها الأسلوب السردي والروائي.

٢- على مستوى المباني النحوية تميزت لغة الخطاب التاريخي بعلاقتها الوطيدة مع الجملة الفعلية على حساب الجملة الاسمية، كما سجل الفعل الماضي حضوراً لافتاً على حساب بقية الأفعال الأخرى.

٣- يتوقف التعامل مع ألفاظ الرواية –ذكرا أو تجاهلا– في لغة الخطاب التاريخي على المنهجية التي يعتمدها المؤلف في مصنفه.

٤- معجم الآلة الحربية شكل حيزاً في كثير من نصوص لغة الخطاب التاريخي، لا سيما تلك التي تؤرخ للمعارك والحروب.

٥- يكثر في لغة الخطاب التاريخي إيراد الأعلام والألقاب والكنى لارتباطها بالأحداث التي يتناولها المؤرخون.

٦- تشترك لغة الخطاب التاريخي في كثير من مواضعها مع اللغة الجغرافية فيما يتعلق بالوصف الخرائطي، وذلك عبر استخدام عدد من الأدوات أهمها ظروف المكان، وأدوات القياس، وأسماء الجهات.

المراجع:

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨.
- همامي، د. عبد النبي، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة، السنة ٥، العدد ١٣، أبريل ٢٠٠٧.
- جمال الدين، د. السيد مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥.
- حويت، وفاء عباس حسن، دلالة الفعل على الزمن (دراسة نحوية تحليلية) من خلال ديوان النابغة الذبياني، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٧، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٩.
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.
- الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١.
- الجندي، الدكتور علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الجامعة العربية، بيروت.
- اللوقة، ناظم خليل، ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية)، جامعة الأزهر (غزة)، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- عبوة، زينة عبد الرحيم، معجم ألفاظ الحرف والمهن التقليدية في نابلس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.
- يوسف، أحمد، النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥.
- خليل، الدكتور إبراهيم محمود، في اللّسانيّات ونحو النّصّ، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩.
- جنتي فر، محمد، تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، السنة الثانية، العدد السابع، أيلول ٢٠١٢.

- عمايرة، د. حنان إسماعيل، تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي (مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد التاسع، العدد الثالث، تموز ٢٠١٣.
- العنبر، عبد الله العنبر، القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤١، ملحق ٢، ٢٠١٤.
- العنبر، عبد الله، المناهج الأسلوبية والنظريات النصية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٤، ٢٠١٦.
- أحمد، علي زواري. وبلخضر، أحمد، منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الحادي عشر، مايو ٢٠١٧.
- حاج علي، عبد الرحمن، أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية، مجلة آداب ذي قار، العدد ٢٢، ٢٠١٧.
- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.
- مصلوح، الدكتور سعد، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية (آفاق جديدة)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٠.
- أنيس، الدكتور إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- نهر، الدكتور هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١.
- ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: علي شيري، ١٩٨٨.

لغة الخطاب التاريخي
من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري
(دراسة استقرائية تحليلية)

دكتور/ عبد الله شعف عماش الحربي
دكتوراة في اللغة العربية (اللغة والنحو)

المستخلص:

يتناول هذا البحث لغة الخطاب التاريخي عبر دراسة عينة منتقاة من أمهات المصنفات التاريخية من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري في ضوء عدد من المحاور هي: المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والأعلام والألقاب والكنى، والوصف الخرائطي. والهدف الرئيس من البحث في هذا الموضوع هو اكتشاف أهم ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها المميزة. وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: لغة الخطاب التاريخي، المباني النحوية، معجم الحرب، الأعلام الألقاب، الوصف الخرائطي، ألفاظ الرواية، خصائص..

This research deals with the language of historical discourse by studying a selected sample of the mothers of historical works from the third to the eighth centuries AH in light of a number of axes: the syntactic buildings, the expressions of the historical novel, the dictionary of the war machine, the flags, titles and nicknames, and the cartographic description. The main objective of research on this topic is to discover the most important features of the language of historical discourse and its distinctive characteristics. This study followed the descriptive and analytical approach.

أولا: المقدمة:

قصر كثير من الباحثين اللغويين في هذا العصر دراساتهم وأبحاثهم على الموروث اللغوي الذي خلفه لنا الأسلاف من علماء اللغة العربية، فإذا كانت الدراسات اللغوية التي تناولت المصنفات المتخصصة في علوم اللغة العربية قد حظيت بالنصيب الوافر من اهتمام اللغويين وعنايتهم، فإن مما يؤسف أن ذلك الاهتمام لم يتعد إلى غيرها من المصنفات الأخرى في موروثنا الثقافي، وقد ترتب على ذلك زهد كثير من الباحثين في دراسة كنوز لغوية عظيمة في تراثنا العربي؛ فقط لكونها وجدت خارج اهتمامات اللغويين.

وبمرور الزمن، ترسخ خطأً في الأدبيات العربية أن اللغة هي أقوال الرجال على الرجال، متناسين بذلك مجالات عدة يمكن للدراسات اللغوية خوض غمارها، وسبر أغوارها. وصار حالهم في هذا الشأن كحال قوم أدركهم العطش حتى كاد يفنيهم، فجدوا في طلب الماء حتى وقعوا على بئر نزيحة، فتهافتوا عليها، فمنهم من أدرك رشفة، ومنهم من ملأ كفه، ومنهم من أروى ظمأه، ومنهم من لم يبلغ الماء أطراف حلقه. لكن البعض لم يعجبه هذا الزحام، فجد واجتهد حتى وقع على نهر فياض لا يبعد عن تلك البئر شيئاً، فأقبل عليه يعب وينهل، ويدعو أصحابه إلى الورود عليه، وترك تلك البئر التي إن لم تكن قد نضبت، فإن الزحام حولها مؤذن بجفاف قريب لها.

وقد سعيت في هذه الدراسة إلى طرق باب آخر من أبواب الدراسات اللغوية، تمثل في دراسة المصنفات التاريخية التي دونها عدد من المؤرخين العرب في مدة امتدت نحوا من خمسة قرون، للتعرف إلى لغة الخطاب التاريخي التي سادت في تلك المصنفات، واكتشاف ملامحها وأهم خصائصها. وحرصت على أن تكون النصوص المتناولة تمثل خمسة قرون مختلفة، من القرن الثالث حتى الثامن الهجري، ليكون كشف خصائص لغة الخطاب التاريخي أيسر وأقرب، وليكون تعميم النتائج المتوقع التوصل إليها على الفترة الزمنية المحددة مقبولا.

ثانيا: أهداف الدراسة:

١- الإسهام بفتح آفاق جديدة في البحث اللغوي العربي.

٢- التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأبرز خصائصها.

٣- بحث المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي على المستويين الداخلي والخارجي.
٤- دراسة العلاقة بين لغة الخطاب التاريخي وألفاظ الرواية التاريخية.
٥- اكتشاف أهم الألفاظ التي استعملها المؤرخون العرب من معجم الآلة الحربية.
٦- معرفة صور استعمالات الأعلام والألقاب والكنى لدى المؤرخين.
٧- التعرف إلى أسلوب الوصف الخرائطي ودواعي استخدامه لدى المؤرخين العرب.

ثالثا: مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها في مصنفات المؤرخين العرب في الفترة من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري، عبر دراسة النصوص التي تطرقت إلى معركة (عمورية)، ورصد بعض الظواهر اللغوية، لاسيما المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والوصف الخرائطي.

رابعا: منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد سرت فيها وفق المنهجية الآتية:

١- تحديد حادثة تاريخية لتكون نواة لعينة الدراسة (معركة عمورية). والسبب في هذا التحديد هو الرغبة في تتبع لغة الخطاب التاريخي، إذ يتشكل جزء كبير من تلك اللغة على يد المؤرخين، ولن تظهر ملامح تلك اللغة بوضوح في القصص التي تنقل بروايات تاريخية متواترة؛ لأنها ستنقل بأسلوب صائغ الرواية، دون أن تكون هناك فرصة لظهور ملامح لغة الخطاب التاريخي.
٢- تتبع هذه الحادثة التاريخية المختارة (معركة عمورية) في كتب بعض المؤرخين. وقد تتبعت الدراسة ما جاء عن هذه الحادثة عند خمسه من المؤرخين وهم على الترتيب: (الطبري، والمسعودي، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن كثير).
٣- رصد أهم الظواهر اللغوية، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها، وذلك عبر دراسة النصوص عينة الدراسة بمعية المجالات الآتية:
- المباني النحوية.
- ألفاظ الرواية التاريخية.

– معجم الآلة الحربية (الحرب).
– الأعلام والألقاب والكنى.
– الوصف الخرائطي.

٤– تدوين النتائج التي توصلت إليها الدراسة، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها.

والمصنفات التي تناولتها الدراسة هي:

– تاريخ الرسل والملوك للطبري (القرن الثالث الهجري).
– مروج الذهب للمسعودي (القرن الرابع الهجري).
– المنتظم في تاريخ الملوك لابن الجوزي (القرن السادس الهجري).
– الكامل في التاريخ لابن الأثير (القرن السابع الهجري).
– البداية والنهاية لابن كثير (القرن الثامن الهجري).

خامسا: أسئلة الدراسة:

هنالك أسئلة رئيسية تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها، وهي:

١– ما هي ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها؟

٢– ما أهم الألفاظ الواردة في مصنفات المؤرخين العرب التي يمكن اعتبارها ضمن المعجم العسكري العربي؟

٣– ما المنهج الذي تعامل به المؤرخون العرب مع الروايات التاريخية وأسانيدها في مصنفاتهم؟

٤– ما أهم الألفاظ التي كانت سائدة في الوصف الخرائطي في المصنفات التاريخية العربية؟ وما هي الأدوات التي استخدمت للتعبير عن هذا الوصف؟

٥– ما الارتباط الموجود بين ألفاظ الوصف الخرائطي وبين لغة الخطاب التاريخي في المصنفات التاريخية العربية؟

٦– كيف تعامل المؤرخون العرب مع الأعلام والألقاب والكنى عند تناولهم للمادة التاريخية؟

سادسا: الدراسات السابقة:

من الصعوبات التي واجهتها عند التحضير لهذه الدراسة هو ندرة الدراسات التي تطرقت بصورة مباشرة إلى بحث لغة الخطاب التاريخي، وقد توصلت إلى عدد من

الدراسات العلمية التي ناقشت موضوعات تتصل بموضوع دراستي هذه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومنها:

١- دراسة أحمد يوسف (٢٠٠٥). النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية. أظهرت الدراسة أن الفرضيات التي بسطها النحاة الجدد في صرامتها العلمية وتطبيقاتها الحرفية لا تكتسي على جميع الألسن التي تشترك في محيط واحد، ولكن تكمن- أيضا- في الطابع الإجرائي الكامن وراء تلك الدعاوى التي ثارت على تقاليد البحث اللغوي السائد في مطلع القرن التاسع عشر؛ وليس أدل على ذلك أنهم أبعدوا تلك المعتقدات الخاصة بسلسلة من الصلات الصوتية المشتركة بين الكلمات للغتين أو أكثر دون أن تقع في محظور الاستثناءات التي كانت تعترض سبيل الفليلولوجيا. ومن ثم، كانوا يقتربون شيئا فشيئا من فكرة "النسق" système التي بلورتها فيما بعد لسانيات دو سوسير وكذلك فكرة "العمومية" généralité التي صارت صفة لموصوف اللسانيات. وتبين من الدراسة أن المسائل الكبرى التي تطرق لها النحاة الجدد لم تفقد كل راهنيتها في الدراسات اللسانية المعاصرة وإن اتسمت بغياب المتصورات النسقية التي يعود الفضل لدو سوسير في إرساء قواعدها؛ ولهذا ليس من الموضوعية في شيء أن يقلل المرء من إسهاماتهم في فتح آفاق جديدة للسانيات الوصفية المعاصرة التي لم تول ظهرها لبعض القضايا التي كانت مطروحة من قبل. ومن أهم نتائج الدراسة أن اللسانيات التاريخية سعت سعيا حثيثا إلى وصف تطور الأشكال اللغوية أملا في الوقوف على القواعد التي تحكمها من جهة، وكذا صوغ منطق تطور المعنى الذي صار قبلة الدلاليات والسيميائية.

٢- دراسة إبراهيم خليل (٢٠٠٧). في اللّسانيّات ونحو النّصّ. أظهرت الدراسة أن الكلام المنطوق يمثل طبيعة اللغة، وجوهرها، تمثيلا يفوق بدرجات تمثيل الكتابة. فالانفعال والتعاطف والتوكيد والتنغيم أمور لا يكشفها الكلام المكتوب، وتستعرض نموذج سوسير الذي يربط الدراسة اللسانية بعلوم عدة هي: علم الصوتيات، الصرف، علم الدلالة، النحو، علم النص. وتستعرض الدراسة تاريخ الصوت اللغوي وبعض العلماء العرب الذين اهتموا بهذا المجال. وتبين الدراسة أن الصرف متصل اتصالا وثيقا بالصوتيات، لا سيما بالجانب الفونولوجي، فأي إجراء صرفي يلحق بالجذر لا بد أن يصحبه تغيير في البنية الصوتية له. ومن أهم نتائج الدراسة أن ثمة تشابكا بين

المستويين الصرفي والصوتي، وتداخلا بين النحو والصرف، فاللغة تتألف من نظام متعدد: صوتي وصرفي ونحوي ومعجمي لا يمكن إنكار ما بين مستوياتها المتعددة من الترابط والوحدة.

٣- دراسة محمد جنتي فر (٢٠١٢). تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه. أظهرت الدراسة أن دراسة العلاقات التاريخية والثقافية للغة والآداب القومية في علاقاتها باللغة والآداب عند الشعوب الأخرى من القضايا المهمة والمنظورة منذ القدم، وأن مجالات هذا التأثير المتبادل يمكن أن تتناسب مع قضايا اجتماعية وثقافية ودينية وأدبيه ولغوية مختلفة. وتطرقت الدراسة إلى المجال اللغوي ولاسيما مجال التعامل بين اللغتين العربية والفارسية من خلال تناول التغييرات الصوتية والدلالية للمفردات العربية في تاريخ البيهقي بأسلوب وصفي تحليلي وتاريخي. وبينت أن اللغة العربية باعتبارها لغة المبدأ (الأصل) جعلت أساليب اللغة المقصودة أي اللغة الفارسية ولاسيما في مجال المفردات تواجه تحولات وأزمات عدة.

٤- دراسة حنان إسماعيل العمايرة (٢٠١٣). تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي – مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري. هدفت الدراسة إلى رصد ملامح من التطور اللغوي، الماثل في تغير الأنماط التعبيرية اليوم عما كان يمثل عرفا لغويا في الأمس، والتي هي مجموعة من التراكيب اللغوية التي تنظر المعيارية إليها على أنها (ثوابت) حفظت للغة بقاءها وسيلة تواصل بين متحدثيها في مختلف الأزمنة والأمكنة. وتوقفت الدراسة عند كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري والتقطت منه عددا من الأنماط التركيبية اللغوية التي قامت فرضية هذه الدراسة عليها، إضافة إلى التقاط أنماط أخرى من لغة القرآن الكريم، ورصد هذه الأنماط الصحيحة لغويا لتبيان ما آلت إليه في الاستعمال اللغوي الحديث. وتوصلت الدراسة إلى وصف النظرة الحديثة إلى هذه التراكيب من خلال تضمينها في استبانة أجاب عنها خمسون متخصصا في اللغة العربية من طلبة السنة الرابعة، وموضوع الاستبانة هو التراكيب ومدى صحتها في نظرهم. وأسفرت نتائج الاستبانة عن تقييم المستبينين لكثير من هذه الأنماط على أنها (خطأ) أو (ركيكة). وهي في واقع الحال تمثل جزءا من صميم الثابت الصحيح في التراث اللغوي الفصيح وفي هذا ما يشير إلى فجوة حاصلة بين كثير من التراكيب اللغوية المعيارية وما آل إليه الذوق الحديث في

استخدامها. كما يدعو ذلك إلى اتخاذ موقف من هذه الانزياحات اللغوية التي ترتب عليها جعل الصحيح الفصيح مستهجنا أو ركيكا أو خطأ.

٥- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٤). القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية. تؤسس هذه الدراسة لقراءة نقدية تستطلع قوى الهيمنة المؤلفة للنصوص الأدبية على وجه دون آخر، وترصد الطرق الأسلوبية التي تضاعف دلالات البنى وتكسب النصوص الأدبية لذتها وفتنتها وسلطتها وتكون مسؤولة عن أدبية الأدب، وتفسح المجال لتطوير الوعي الثقافي من جيل إلى آخر. وتبين الدراسة أنّ القراءة النقدية تضع الناقد أمام رسالته الحضارية لكي يتسنى له إعادة إنتاج الثقافة وتحويلها إلى أقصى درجات الوعي لمواكبة المناهج النقدية في عالم متغير. وتكشف أنّ النظرية الأسلوبية تحظى بموقع متفرد في النقد الحديث وتتمتع بطرق جمالية تسهم في قراءة النص الأدبي وبيان دلالاته وتجلياته. وتبيّن من خلال الدراسة أنّ النظرية الأسلوبية تعتمد على استراتيجيات بسطت نفوذها في مقاربة النص الأدبي وهي: الاختيار الأسلوبي، والتكرار الأسلوبي والبنية المهيمنة والاستبدال والمفعول الإيحائي والمبدع والرسالة والمتلقي.

٦- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٦). المناهج الأسلوبية والنظريات النصية. أظهرت الدراسة أن الأسلوبية صارت أسلوبيات، وترتب على ذلك اختلاف المناهج الأسلوبية في قراءة النص الأدبي، فقد تجاذبتها عناصر الثالوث النقدي (المبدع والنص والمتلقي)، وشكلت منطلقاتها في استطلاع فرادة النص الأدبي وبيان تجلياته المائزة. وبينت أن الجامع النصي بين المناهج الأسلوبية النظر للأسلوب على أنه عالم من الفرادة وتوظيف للغة على نحو خاص واختيار من البدائل اللغوية وبحث عن المعاني الإضافية (الفائض الدلالي). وكشفت أن الأسلوبية استراتيجية لاكتناه قوى إنتاج الدلالة التي تفجر طاقات اللغة وتموقع عناصرها في مواقع جمالية لم تعهد. وأظهرت أن النص الأدبي نسيج متماسك تتجاذبه (اللذة والمتعة والفراغ المعرفي ومجهول البيان وبؤر التوتر)، ويجتاح مواقع المؤتلف نحو بناء مختلف يقوده العدول المؤسس على الفرادة.

٧- دراسة علي زواري وأمجد بلخضر (٢٠١٧). منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق. تتطرق الدراسة إلى المنهج التحليلي الأسلوبي وإشكالية التطبيق، الذي تبرز إشكاليته في بيان الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء مقاربته النصوص

الأدبية بالمنهج الأسلوبي وما يعتمد عليه من آليات وإجراءات أثناء تطبيقها. وسعت الدراسة إلى إبراز أهم النقاط المتعلقة بفك هذا الإشكال، انطلاقا من تقرير المنهج الأسلوبي وأهميته، ثمّ التعريج على علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى، والاختلاف في بعض المصطلحات في علم الأسلوب، ما أدى إلى اختلاف المنطلقات أثناء التحليل. وأظهرت الدراسة أبرز الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء التطبيق، وأهم الأسباب الكامنة وراء ذلك.

٨- دراسة عبد الرحمن حاج علي (٢٠١٧). أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. واشتملت على محورين أساسيين: المحور الأول تناول " الأسلوب" مصطلحاً نقدياً، في حين تطرق المحور الثاني إلى مدى تأثير المصطلح في قراءة النصوص التراثية وفق النظريات النقدية المعاصرة. وأظهرت الدراسة أن الكثير من النقاد المحدثين لم يتطرقوا إلى معالجة وتحليل التراث الأدبي واللغوي لأسباب عدة، منها وجود صعوبة في إسقاط المصطلحات النقدية المعاصرة على الأعمال التراثية، وانتشار مصطلحات التّعمية على الدرس النقدي واللغوي بعد التوجه نحو الاستيراد والترجمة. وبينت أنه لما كان من الأهداف الرئيسية للنقد خدمة الأدب وتوجيه الكتابة الأدبية نحو الأفضل، كان لزاماً على الكتاب والمبدعين مسايرة التطورات الحاصلة في الساحة الإبداعية، لكنهم وجدوا أنفسهم يبتعدون عن المعايير التي نشأ عليها الأدب العربي، ما وسع الهوة بين التراث والمعاصرة وقطع حبل الوصال بينهما، ولم يبق للمهتمين بالتراث إلا بعض المحاولات لإيجاد مرادفات مناسبة نوعاً ما لقراءة بعض النصوص التراثية. كما أظهرت الدراسة أن الجهود المبذولة لا تزال تتصف بالشتات وعدم تحقيق الفعالية المرجوة في ظل افتقار الدرس النقدي واللغوي العربي لنظرية واضحة، وأنه من خلال قراءة النصوص التراثية وفق نظريات نقدية معاصرة تمّ تحوير وتطوير هذه النظريات لترتكز على أصول ثابتة وتنفتح على تطورات موضوعية مدروسة بعناية، لا تابعة لطوارئ مستوردة.

- **التعليق على الدراسات السابقة:**

استفاد الباحث من الدراسات السابقة من حيث المناهج المستخدمة فيها، والمراجع التي اعتمدت عليها، إضافة إلى البيانات والمعلومات التي وردت فيها. كما استفاد الباحث من النتائج والتوصيات والاقتراحات التي خرجت بها تلك الدراسات.

وركز الباحث في دراسته هذه على أمر لم تتطرق إليه معظم هذه الدراسات، وهو اكتشاف خصائص لغة الخطاب التاريخي عبر مدة طويلة امتدت نحوا من خمسة قرون، عبر دراسة نموذج تاريخي واحد ورد في مصنفات خمسة من المؤرخين العرب في عصور متفاوتة.

لغة الخطاب التاريخي من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري:

أولا: نص محمد بن جرير الطبري من كتابه تاريخ الأمم والملوك:

١- وصف النص:

أفرد الطبري في تاريخه فصلاً للحديث عن وقعه فتح عمورية وقد عنون له بـ"ذكر الخبر عن فتح عمورية"[١]، فأفاض الحديث وأطال في ذكر هذه الواقعة، وسرد أحداثها ومجرياتها، مسجلاً بذلك الكم الأكبر بين النصوص محل الدارسة في تناول هذه الحادثة، ولعل هذا الإطناب من الطبري في ذكر تفاصيل معركة عمورية نابع من كونه قريب عهد بها، فالروايات التاريخية تظهر أن فتح عمورية وقع في عام ٢٢٣ هـ، أي قبل ولادة الطبري بعام واحد فقط[٢]. ما جعله من معاصري هذا الحدث، أو على الأقل من معاصري آثاره وتبعاته.

وقد كان لهذه المعاصر أثر بالغ في تناول الطبري لمعركة فتح عمورية، فالحالة المعنوية التي كان يعشيها الناس في ذلك العصر –نظراً لقربهم من سنه الفتح– تجعل المؤرخ يتردد في تجاوز أدق التفاصيل المتعلقة بالحدث، ناهيك عن أجلها وأعظمها، لاسيما وأن الطبري لم يُسبق إلى توثيق هذه الحادثة إلا من قبل أبو الحسن البلاذري في ورقات موجزة[٣]، فكان يكتب وهو يعلم أنه الأصل الذي سيبني عليه من سيأتي بعده، وأنه الموثق الأول لهذه الواقعة، فتطلب ذلك منه هذا السرد والإطالة.

أضف إلى ذلك أن الطبري قد بنى تاريخه هذا على منهجية الاستفاضة والتقصي لأدق التفاصيل التاريخية، حتى وصف بأنه من أمهات كتب التاريخ المطولة، فلا عجب إذاً أن يفرد فصلاً بهذا القدر من التفصيل والسرد لوقعة عمورية مقارنة بالنصوص المدروسة الأخرى، حتى أنها كانت هي الحدث الأبرز عند حديثه عن أحداث سنة ٢٢٣ هـ.

٢- المباني النحوية:

تعد المباني النحوية (نحو المباني) تطورا إيجابيا لنحو القواعد الذي تقف حدوده عند النظر في أحكام أواخر الكلمات، فيما يفتح نحو المباني المجال واسعا أمام الباحثين للانتقال من طور القاعدة إلى طور الاستعمال[٤]، وكشف أحكام نظم الكلام، وأسرار

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : سير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٤.

[٣] : فتوح البلدان: ٢٠٣.

[٤] : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٢٣-٢٢٤، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، د. عبد النبي هماني: ٢٣.

تأليف العبارات، وفقه العربية[1]. وأنبه هنا إلى أن هذا المبحث من الدراسة يتناول وصف المباني النحوية فقط دون الخوض في جوانب أخرى تتعلق بدلالات وتداوليات تلك المباني، أو غيرهما من المواضيع التي يمكن بحثها في هذا الميدان، وذلك انسجاما مع المنهج الذي انتهجته وبينت ملامحه في مقدمة الدراسة.

ومن المهم هنا أن يتعرف القارئ على الأسباب التي دفعت الباحث إلى دراسة المباني النحوية في النصوص المتناولة، والتي تلخصها الأسئلة الآتية:

١- هل تميزت المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي عن غيرها من المباني النحوية الأخرى في لغات الخطاب المختلفة؟

٢- أي الجمل (الفعلية أم الاسمية) كان لها الحضور الأكبر في نصوص الخطاب التاريخي؟

٣- هل تنوع الحشو داخل المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي؟

٤- هل كان لأي فعل من الأفعال الثلاثة (ماضي - مضارع - أمر) مساحة حضور أكبر من البقية في لغة الخطاب التاريخي؟

وبنظرة فاحصة يكتشف الباحث في نص الطبري أن المباني النحوية قد تنوعت تنوعاً واضحاً وملحوظاً، فقد راوح المؤلف بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في هذا النص، حتى أنك لو قلبت طرفك يمنة ويسرة في النص لا تكاد تجد فقرة قد خلت من هذه المراوحة، مع تفاوت في نسبة حضور كل منهما في كل فترة من فقرات النص. بيد أن الجملة الفعلية سجلت حضوراً كبيراً وفاعلاً في هذا النص، فهي الحاضر الأكبر على فقرات النص، ولعل هذا الكم الكبير من الجمل الفعلية في النص مرده إلى طبيعة المادة المناقشة فيه، فالطبري هنا يناقش مادة تاريخية، أي: أحداث حصلت وانقضت في الزمان الغابر، وطالما أنه حدث فمن الطبيعي أن يكون الفعل أبلغ من الاسم في الدلالة على هذه الأحداث، وأعمق أثراً في نفس القارئ في التعبير عنها[2]. ولهذا السبب أيضاً كانت الغلبة في معركة الأفعال للفعل الماضي في النص بشكل واضح، حتى أنه لا يكاد يخلو سطر في النص من فعلين ماضيين على الأقل، يقابل هذا حضور على استحياء

[1] : إحياء النحو: ٣.

[2] : البحث النحوي عند الأصوليين، ١٤٧، دلالة الفعل على الزمن في ديوان النابغة الذبياني (حوليات آداب عين شمس)، ٤٥٣، دلالة الألفاظ: ٣٢، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٩١.

للفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر، إذ لم يرد في النص إلا نادرا نحو: "فخل"[١]، "انصرفوا"[٢]، و"ادخلوا"[٣]. وقد كان المؤلف كثيراً ما يستعيض عن التعبير بأفعال الأمر الحاصلة في زمان الحادثة بهذه الصيغة (فأمر ...)، ومثاله من النص "فأمر المعتصم فضرب مضربة في ذلك الموضع"[٤]. فعوضت هذه الصيغة إلى حد كبير غياب فعل الأمر في النص.

وقد صاحب تنوع المباني النحوية عند الطبري تنوع في الحشو النحوي داخل هذه المباني على مستوى الجملتين الفعلية والاسمية، وجاء هذا التنويع في الجملة الفعلية عبر (الفعل والفاعل والمفعول به أحياناً)، وفي الجملة الاسمية عبر ركينها (المبتدأ والخبر)، ومن أمثلة تنوع حشو الجملة الفعلية في النص ما يلي:

"أمضى المعتصم الأفشين"[٥].

(فعل + فاعل + مفعول به)

"أخذوا عدة ممن كان في عسكر الملك"[٦].

(فعل + فاعل "ضمير متصل" + مفعول به)

"كتب إلى أشناس"[٧].

(فعل + فاعل "ضمير مستتر")

"يوافيه كتاب أمير المؤمنين"[٨].

(فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل)

"وكان أشناس قد أسر عدة أسرى"[٩].

(فعل ناسخ + اسمة + خبره)

"باتوا فيه"[١٠].

---

[١] : تاريخ الطبري: ٩/٦٠.

[٢] : نفسه: ٩/ ٦٦.

[٣] : نفسه: ٩/٦٨.

[٤] : نفسه: ٩/٦٣.

[٥] : نفسه: ٩/٥٧.

[٦] : تاريخ الطبري: ٩/ ٥٩.

[٧] : نفسه: ٩/٦٠.

[٨] : نفسه: ٩/٥٩.

[٩] : نفسه: ٩/٦٠.

[١٠] : نفسه: ٩/٦١.

(فعل ناسخ + اسمة "ضمير متصل" + خبره " جار ومجرور)
"فسر المعتصم"[١].
(فعل مبنى للمفعول + نائب الفاعل)
ومن أمثلة تنوع الحشو النحوي في الجملة الاسمية:
"والأفشين في الميمنة "[٢]. (مبتدأ + خبر "شبة جملة")
"أنا أجمع بينك وبين الحارث"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر جملة فعلية)
"بينهما سبع مراحل"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)
"أنه وارد"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل " + خبره)

ويلاحظ من الأمثلة السابقة التنويع الواضح في الحشو النحوي على مستوى الجملتين الاسمية والفعلية عبر التقديم والتأخير تارة، واستعمال الضمائر تارة أخرى، وقد أعطت هذه النماذج صورة عامة عن المباني النحوية في نص الطبري، واستعمالات أداتي الحشو والتنويع في المباني النحوية.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

على الرغم من أن المادة المناقشة في هذا النص مادة تاريخية، ومعلوم أن المادة التاريخية العمدة في جمعها وتقصيها على الرواية التاريخية المتناقلة من راو إلى راو آخر، إلا أن الناظر في هذا النص يلاحظ ندرة استعمال ألفاظ الرواية التاريخية فيه. وأعني بألفاظ الرواية التاريخية تلك الألفاظ التي يصدّر بها المؤلفون رواياتهم ونقولاتهم التاريخية، سواء كانت هذه النقولات حرفية أو ضمينه، مثل (رَوى – رُوي – أخبرنا – ورد في – سمعنا من – جاء في الخبر – عن "العنعنة" – ذكر – قال – قيل) والتي لم ترد عند الطبري إلا في مواضع نادرة، ومن ذلك ما جاء عند حديثة عن تاريخ وقعة عمورية مستخدما لفظة (قيل): "وفي هذه السنة شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم، وقيل كان شخوصه إليها من سامرا في سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل في سنة

[١] : نفسه: ٦٢/٩.
[٢] : نفسه: ٦٣/٩.
[٣] : نفسه: ٩/ ٦٦.
[٤] : نفسه: ٩/ ٦٣.
[٥] : نفسه: ٦٢/٩.

اثنتين وعشرين ومائتين بعد قتله بابك"[1]. ومنه أيضا استعمال لفظة "قال" عند إسناده رواية لـ(مالك بن كيدر): "قال مالك بن كيدر: فدعوا الناس كلهم، خذوا ما أخذتم، ودعوا الباقي، فترك الناس السبي والمقاتلة وانصرفوا راجعين يريدون عسكر أشناس"[2]. وأنت تلاحظ أن المرة الأولى كانت على وجه التشكيك "قيل"، والثانية على وجه الجزم "قال".

ولعل السبب في ندرة ألفاظ الرواية التاريخية في نص الطبري يرجع إلى المنهج الذي اختاره المصنف، فقد اعتمد في رواية الأحداث على صياغته الشخصية للحدث والخبر المنقول، حرصاً منه على تبسيط مادة النص للتناول والقراءة، وطرد السآمة والملل عن المستمعين والقراء، لا سميا إذا عرفنا أنه كان يملى تاريخيه هذا على تلاميذه في ظل تذمرهم من طوله وكبر حجمه، وهو ما أكده الذهبي في سيره إذ يقول: "عن القاضي أبو عبد الله القضاعي: حدثنا علي بن نصر بن الصباح، حدثنا أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمسار، وأبو القاسم بن عقيل الوراق: أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة"[3]. فكان من البديهي أن يعمد الطبري إلى مادة سهلة ميسرة بعيدا عن العنعنة، وكثرة ألفاظ الرواية التاريخية، وقد شجعه على ذلك كون المادة المنقولة ليست نصاً من النصوص المقدسة التي لا تقبل إلا عبر إيرادها كما هي دون إعادة صياغة، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي الشريف –عند من يرى بتوقيفية ألفاظه–[4].

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

بما أن الحديث في هذا النص يتعلق بمعركة عمورية فليس من المستغرب أن ترد في النص بعض الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالمعارك والحروب، خاصة ونحن نعلم أن لكل بيئة (صنعة) ألفاظها ومصطلحاتها الخاصة بها، والمعبرة بدلالاتها عن مكونات

[1] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[2] : نفسه: ٦٢/٩.

[3] : سير أعلام النبلاء: ٢٧٥/١٤.

[4] : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: ١٤.

هذه البيئة ومحتوياتها[1]، وقد أردت بهذا المصطلح (معجم الآلة الحربية) التعبير عن الألفاظ المتعلقة بالمعارك والحروب[2].

فكما أن للمحدثين معجما، وللوراقين معجما، وللزراعين معجما، وللبحارة معجما، فكذلك للحروب والمعارك معجمها الخاص، ولقد حفل النص بكم زاخر من ألفاظ هذا المعجم، حتى إنك لا تكاد تفقدها ولو في ورقة واحدة من أوراقه، وقد كانت بعض ألفاظ هذا المعجم عربية، وبعضها الآخر معرّباً، وكانت تذكر أحياناً استرسالاً في موضع واحد، وأحياناً أخرى تنثر في مواضع عدة بحسب ما يقتضيه سياق الحديث، ومن هذه الألفاظ:

– "تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط، من السلاح، والعدد، والآلة، وحياض الأدم، والبغال، والروايا، والقرب، وآلة الحديد والنفط"[3]. وقد وردت ألفاظ الحرب هنا استرسالا في فقرة واحدة.

– ("المقدمة"، "القلب"، "الميمنه"، "الميسرة")[4]، "فكمن"[5]، "عساكر"[6]، "المنجنيق"[7]، "كردوس"[8]، "دبابة"[9]. وأنت تلحظ في الألفاظ السابقة أنها تنوعت بين الأسماء (المفرد والجمع) والأفعال، وأن بعضها احتفظ بدلالته اللغوية التي تتفق مع دلالته الاصطلاحية (الحربية)، وبعضها الآخر لم تتفق دلالته الاصطلاحية مع اللغوية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

من العلامات البارزة التي يمكن أن تستوقف الباحث في هذا النص، كثرة الأعلام والألقاب والكنى التي أوردها الطبري، حتى إنك لتشعر في الوهلة الأولى، أنك تطالع مصنفا من مصنفات التراجم وسير الرجال. ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: لماذا كل هذا الكم من الأعلام والكنى والألقاب في النص؟

---

[1] : معجم ألفاظ الحرف والمهن في نابلس، ٢٢.

[2] : ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي، ١٢. شعر الحرب في العصر الجاهلي: ٦١.

[3] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[4] : نفسه.

[5] : نفسه: ٥٨/٩.

[6] : نفسه: ٦٣/٩.

[7] : نفسه: ٦٥/٩.

[8] : نفسه: ٥٨/٩–٦٢.

[9] : نفسه: ٦٥/٩.

والإجابة على هذا التساؤل تحتم علينا الرجوع إلى طبيعة المادة المتناولة في النص (المادة التاريخية)، فالمصنف هنا يؤرخ لأحداث وأبطال، ورواية المؤلف لوقائع معركة عمورية دون ربط كل فعل بصحابة ونسبته إليه تعد في ذلك العصر قصوراً في الكتاب، لاسيما أن مشاهد المعركة لازالت حاضرة في أذهان كثير من أبناء ذلك الجيل نظراً لقرب عهدهم بها، أو لقرب عهدهم بمن عاصرها، ما سيجعل عزل الأحداث عن محدثيها قصوراً في نظرهم، إضافة إلى أن فيه نوع من الإجحاف المتمثل في عزل الإنجازات عن منجزيها، هذا فيما يتعلق بالأسماء والألقاب والكنى المرتبطة بالمسلمين، أما فيما يتعلق بالألقاب والأسماء والكنى المرتبطة بجيش الروم، وكثرة ورودها، وتكرار بعضها في مواضع متفرقة، فلعل مرده إلى مشاعر الفخر والاعتزاز لدى أبناء ذلك الجيل من المسلمين بعد هذا الانتصار في معركة عمورية، وكأنه يقول: قتلنا قادة الروم العظام، فلان وفلان وفلان، أصحاب تلك الأسماء الرنانة، وهؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا يقهرون قد قهرناهم، وأذقناهم أصناف الذل والهوان. فكان ذكر هذه الأسماء مهما عنده، لأنه يعبر عن مدى المجد والنصر الذي حققه المسلمون.

ومما يدعم هذا التأويل ما سبق وذكرنها عند حديثنا عن غياب أفعال الرواية في النص، فقد قررنا أن المؤلف عزف عن ذكر أسماء الرواة والمخبرين كراهة الإطالة والسآمة، وخوفاً من الإثقال على القراء والمستمعين الذين أملى عليهم كتابه، فما الذي سيجعله هنا يتخلى عن هذا التحفظ على ذكر الأسماء غير ما ذكرنها من ارتباط تخليه عن تحفظه بمشاعر الفخر والاعتزاز بانتصار المسلمين وتفوقهم على أعدائهم.

وقد كثرت الأسماء والألقاب والكنى الأعجمية في النص، لكون هذه المعركة بين الروم وهم أعاجم، والمسلمين وفيهم كثير من قواد المعتصم الأتراك والفرس، إضافة إلى الأسماء والألقاب والكنى العربية الواردة في النص. ومما يستلطف هنا أن الطبري استوقفه –على كثرة ما ذكر من الأسماء الأعجمية– اسم أعجمي، ففسره في استطراد لغوي لطيف، وذلك حين قال: "رجلاً من قواد الروم يقال له (وندوا) وتفسيره بالعربية (ثور)"[1]. فلماذا حرص على تفسير هذا الاسم دون غيره من الأسماء الأعجمية الأخرى التي جاء على ذكرها؟

لعل الأمر هنا عائد إلى أحد الافتراضات الآتية:

[1] : تاريخ الطبري: ٦٧/٩.

الأول: أن يكون هذا التفسير جاء بشكل اعتباطي شاذ عن المنهجية التي سار عليها المصنف فيما يتعلق بتفسير الأسماء التي يوردها. وهذا الافتراض مستبعد جملة وتفصيلاً؛ لأن ما أبداه الطبري من منهجية منضبطة -إلى حد كبير- في مصنفه هذا تبطل هذا المذهب.

الثاني: أن يكون تفسيره لهذا الاسم تحديداً نابع من جهله بمعنى سواه، وهذا الافتراض مردود ومرفوض أيضاً؛ لأن موسوعية الطبري، ولطائفة الفريدة والرائعة التي يوردها في مؤلفاتها ترد هذا التأويل.

الثالث: وهو أن يكون إفراده هذا الاسم بالشرح والتفسير نابع من استلطافه لمعناه (ثور)، فأراد أن يملي معنى هذا الاسم الأعجمي على طلابه ليشاركوه هذا اللطيفة، والتي قد تكون مشوبة بشيء من التهكم. وهذا الافتراض أكثرها مقبولية.

وفي نهاية هذا المبحث أورد بعض الأسماء والأعلام والألقاب والكنى التي جاء على ذكرها الطبري في نصه محل الدراسة: "المعتصم"[١]، "أشناس"[٢]، "الفرغاني"[٣]، "عمرو"[٤]، "إيتاخ"[٥]، "الأفشين"[٦]، "خيذر"[٧]، "كاوس"[٨]، "أمير المؤمنين"[٩]، "الأسقف"[١٠]، "مالك بن كيدر"[١١]، "ياطس"[١٢]، "أبا العباس"[١٣].

٦- الوصف الخرائطي:

وأعني به الحديث عن المواقع الجغرافية المتناولة في مادة النص المدروس، سواء عبر الوصف التفصيلي الدقيق لها، أو عن طريق الإشارة إليها دون تفصيل. ومثل هذا

---

[١] : نفسه: ٥٧/٩.
[٢] : نفسه.
[٣] : نفسه: ٥٨/٩.
[٤] : نفسه: ٥٩/٩.
[٥] : نفسه: ٦٩/٩.
[٦] : نفسه
[٧] : نفسه: ٥٧/٩.
[٨] : نفسه: ٧٠/٩.
[٩] : نفسه: ٦٣/٩.
[١٠] : نفسه: ٥٨/٩.
[١١] : نفسه: ٦٠/٩.
[١٢] : نفسه: ٦٤/٩.
[١٣] : نفسه: ٦٦/٩.

الوصف لا يستغرب أن يقع عليه الباحث في كتب الجغرافيا العربية مثلاً، أو كتب تاريخ البلدان والمدن، ولكن الذي قد يستغرب هو ظهور مثل هذا الوصف وبشكل واضح، عبر مساحات واسعة في كتب التاريخ والحوادث، غير أن هذا الحضور البارز للوصف الخرائطي في نص الطبري له ما يبرره، فكما هو معلوم أن النص يتناول وقعة عموريه، وهي وقعه حصلت في بقعة من بقاع الأرض، والمعتصم حين قصد فتحها والمسير إليها خرج من بقعة أخرى، وأثناء هذا المسير كان المرور على عدد من المدن والبلدان، والمؤلف في كل هذا بمنزلة الصحفي –وفق مفهوم هذا العصر– المرافق لوفد عسكري يرصد تحركاته، ويصف خطواته ومراتعه، فكان من المهم جداً عنده وصف هذه البقاع والمدن التي شملتها المعركة، ودارت أحداثها فيها.

وحُقَّ لسائل أن يسأل هنا لماذا أكثر الطبري من استخدام (الوصف الخرائطي) مقارنة بالنصوص الأخرى المتناولة في هذا البحث، على الرغم من أن المبرر الذي سقناه في الفقرة السابقة منطبق تماماً على كل المؤرخين الذين أرخوا لهذه المعركة، ودونوا أحداثها؟

والجواب على هذا التساؤل من وجهين:

الأول: ما قررناه في مبحث سابق فيما يتعلق بقرب عهد الطبري من هذه المعركة وعمق أثرها في نفسه، وأثرها في نفوس أبناء ذلك العصر بصورة عامة، والتي كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لهم، ما انعكس على اهتمامهم بأخبار هذه الواقعة، والحرص على أدق تفاصيلها، والخريطة المكانية لبقاع وساحه المعركة تعد ضمن هذه التفاصيل المشمولة بالعناية والمتابعة.

الثاني: وضع المنهج الذي اعتمده الطبري في الحسبان، والذي كان يعتمد الإطناب والحرص على التقصي ومتابعة أدق تفاصيل الأحداث التي يؤرخ لها، فكان من البديهي أن يلتفت إلى كثير من التفاصيل التي يزهد فيها غيره من بعض المؤرخين تبعاً لمناهجهم في الكتابة، ومن أبرز هذه التفاصيل (الوصف الخرائطي) لساحه وميادين المعركة، والتي أكد المصنف من خلالها دقته في الوصف والتجسيد، حتى إنك لتشعر أحياناً وأنت تقرأ بعض هذه الأوصاف بأنك جندي من جنود هذه المعركة، أو حتى قائد من قوادها؛ لأنه يصور لك المكان والموقع وكأنك تراه، وفيما يأتي طرف من نماذج الوصف الخرائطي الواردة في النص:

– "ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللمس، وهو على سلوقية قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وأمضي المعتصم الأفشين خيذر بين كاوس إلى سروج، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدث"[٢].

– "حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"[٣].

– "فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل، وبرز معه من نشط من الناس، ثم برز فضرب دابته بالسوط، فركض قريبا من ميلين ركضا شديدا، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه"[٤].

– " فأخبروهم أن الملك كان معسكرا على أربعة فراسخ من اللمس، حتى جاءه رسول، أن عسكرا ضخما قد دخل من ناحية الأرمنياق"[٥].

– "فوجه خلف الضياع فبنى وجه السور بالحجارة حجراً حجراً، وصير وراءه من جانب المدينة حشواً، ثم عقد فوقه الشرف كما كان"[٦].

والملاحظ من هذه الأمثلة مدى الدقة والبراعة التي تجلت عند الطبري عبر وصفه وتجسيده لمواقع المعركة وميادينها، حتى وكأنه لا يتكلم وإنما يرسم مجموعة فريدة من الخرائط والرسومات المعبرة عن مواقع القتال، وقد استعان بأدوات عدة في وصفه الخرائطي للمعركة، من أبرزها (ظروف المكان، أسماء المدن والبلدان، أسماء الأنهار والقرى والدروب، وأدوات القياس مثل: مرحلة – فرسخ – ميل).

ثانيا: نص أبي الحسن علي المسعودي من كتابه مروج الذهب:

٢– وصف النص:

لم يفرد المسعودي مساحة واسعة للحديث عن معركة عمورية، بل نراه اختزل الحديث عن هذه الحادثة في ورقة واحدة فقط، حتى أنه لم يجعل هذه الورقة خالصه تماماً للحديث عن وقعة عمورية، ولكنه استقطع ربعها الأول لإتمام حديث في موضوع

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : نفسه.

[٣] : نفسه: ٦٠/٩.

[٤] : نفسه:

[٥] : نفسه: ٦١/٩.

[٦] : نفسه.

سابق. ويعد هذا الاختزال اختزال مبرر ومقبول، إذ أن المسعودي يكتب بمنهجية تخالف منهجية الطبري في تاريخه، والذي كان يقصد الإطالة وتتبع التفاصيل عند تناوله الأحداث التاريخية، وجعل القارئ محيطاً بجميع جوانب الحادثة المتناولة، في حين أن المسعودي تجاوز هذا كله إلى مصنف يجد فيه الفاحص حضوراً لمعظم الأحداث التاريخية مع التضحية ببعض الجزئيات والتفاصيل العامة على حد تقدير المؤلف، فالحوادث المتناولة في الكتابين تكاد تكون واحدة، لكن الفرق في منهجية تعامل كل من المؤلفين مع هذه الوقائع والأحداث.

وهذه المنهجية هي التي دفعت المسعودي إلى عدم تخصيص عنوان مفرد ومستقل لوقعة عمورية، فتراه أوردها أثناء حديثه عن حوادث سنه ٢٢٣ هـ دون ذكر ميزة لها على حوادث ذلك العام، ولعل السبب في ذلك –إضافة إلى ما ذكرناه– التقدير الشخصي للمصنف، فالطبري قدر في أن معركة عمورية حدث بالغ الأهمية، وجدير بأن يكتب بحروف من ذهب تخليداً له في ذاكرة الأجيال، وشغلت هذه الفكرة حيزاً من تفكيره، وظهرت بالتالي عبر إطنابه في ذكر تفاصليها الموقعة، فيما قدر المسعودي أن هذا الحدث وإن كان بالغ الأهمية إلا أنه من الممكن الاختصار فيه واختزال بعض تفاصليه دون المساس بأهميته.

٢– المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند المسعودي متنوعة مبنى وحشواً، مبنى عبر المراوحة بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وحشواً عبر التغيير الداخلي في أركان كل جمة على حدة. ففي الجملة الفعلية جاء التغيير على مستوى ركنيها الفعل والفاعل وأحيانا المفعول به، وفي الجملة الاسمية على مستوى ركنيها المبتدأ والخبر، وكان التغيير في حشو كلا الجملتين يظهر من خلال عدة صور، من أبرزها: التقديم والتأخير، والظهور والاستتار في بعض أركانها، فيما سجلت الجملة الفعلية حضوراً أوسع من حضور الجملة الاسمية، وكان الفعل الماضي كان هو صاحب الحضور الأكبر، في ظل وجود منافسة ضعيفة من الفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر. وفيما يأتي بعض نماذج تنوع المباني النحوية على مستويي التركيب والحشو:

الجملة الفعلية:

– "خروج المعتصم". (فعل + فاعل)

- "فتح المعتصم حصوناً". (فعل + فاعل + مفعول به)
- "تعمم بعمامة". (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + جر ومجرور متعلق بالفعل)
- "جعل على مقدمته أشناس". (فعل + جر ومجرور + فاعل)
- "أراد المسير". (فعل + فاعل " ضمير مستتر" + مفعول به)
- "يتلوه محمد". (فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل مؤخر)
- "نُصبت الأعلام". (فعل مبني للمفعول + نائب فاعل)
- "نودي في الأمصار". (فعل مبني للمفعول + جر ومجرور)
- "كان الأفشين قصر عن أخذ الملك". (فعل ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "فلم يكن يحصي الناس العدد". (فعل ناسخ + خبر "جملة فعلية" + اسمه)

الجملة الاسمية:

- "هو ملك". (مبتدأ + خبر)
- "الملوك يبقي بعضها على بعض". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "فالمكثر يقول". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "أن ناساً قد بايعوه". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "وأنه كاتب". (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل" + خبره "جملة فعلية")

ونسجل أخيراً ملاحظة مهمة، وهي أن المباني النحوية رغم تنوعها في النص إلا أنها كانت بعيدة كل البعد عن التعقيد والتكلف، بل كانت بسيطة وميسرة، مجارية لمادة النص وطبيعته.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

إن من أبرز الملاحظات التي يمكن تدوينها في حق هذا النص هي غياب ألفاظ الرواية التاريخية بشكل تام عنه، ليس هذا وحسب، بل إن المؤلف لم يشر حتى ولو إشارة بسيطة إلى ما يعبر عن هذه الألفاظ، ومن الممكن هنا أن نرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور:

- المنهج الذي تعامل به المؤلف مع الروايات التاريخية وأسانيدها، إذ اعتمد حذف الأسانيد (العنعنة) من الروايات وإيرادها مجردة من أسماء رواتها ومحدثيها، ويكفي للوقوف على ذلك قراءة أي حادثة من الحوادث التي أرخ لها المسعودي في كتابه هذا.

– الصياغة الشخصية للأحداث والوقائع، والتي اعتمد عليها المسعودي كثيراً، فهو ينقل الرواية التاريخية معنى لا نصاً، في اعتماد ملحوظ على أسلوبه الذاتي، والذي هو بالتأكيد أقرب إلى أذهان أبناء جيله من أن يسوق لهم رواية تاريخية بشكل نصي.

– ميل المسعودي إلى الاختصار بشكل عام، فقد ألف مصنفه هذا معتمدا على الإيجاز في السرد، وقد يكون نزوع المؤلف إلى الاختصار مرده إلى رغبته بأن يكون كتابه مادة ميسرة لطلاب العلم، لا سيما الناشئة منهم، فنراه أقرب ما يكون إلى كونه كتابا تعليميا يسهل على العامة قراءته وتناول مادته العلمية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

لو أنَا قيمنا ألفاظ معجم الحرب الواردة في النص مقارنة بحجمه لوجدنا أن نستبها مرتفعة جداً، فقد ورد في النص خمس وعشرون لفظة من ألفاظ الحرب، أي بمعدل لفظة لكل سطر، وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، وكان لكل منها دلالته الخاصة ذات الصلة بالحروب مع احتفاظ بعضها بدلالتها اللغوية الأصلية، ومن ألفاظ الحرب الواردة في النص: (نافراً – دُرَّاعة – الغزاة – عسكر – الأعلام – النفير – المطوعة – مقدمته – ميمنة –ميسرته – ساقته – القلب – الثغور – فحاربه – هزمه – قتل – حماه – فتح – حصوناً – أسر – يهدم – يحرق – المسير).

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

لا نبحث عند حديثنا عن الأعلام والكنى عن عدد هذه الأسماء ومقدار حضورها في النص، بل نبحث في الدرجة الأولى عما إذا كان وجودها يعد ميزة من مزايا لغة الخطاب التاريخي أم لا. وقد ورد في نص المسعودي عدد من الأسماء العربية والأعجمية، وهي أسماء بعض المشاركين في معركة عمورية من قادة وجنود، كما وردت بعض الألقاب المرتبطة ببعض المشاركين في هذه المعركة، فيما غابت الكنى بشكل تام عن النص. ومن أمثلة الأعلام والألقاب ما يأتي:

الأعلام العربية:

(المعتصم – محمد بن إبراهيم – العباس).

الألقاب العربية:

(أمير المؤمنين – الخياط).

الأعلام الأعجمية:

(أشناس – إيتاخ التركي – لاوى – ياطس – البطريق – الأفشين).

٦- الوصف الخرائطي:

السبب في وضع مبحث (الوصف الخرائطي) ضمن مباحث الدراسة هو كونه يضم في طياته منظومة من الألفاظ ذات الدلالة الخاصة، ومجموعة من الأدوات والأساليب اللغوية المرتبطة به، هذا من جانب، ومن جانب آخر الرغبة في معرفة مدى الارتباط بين الوصف الخرائطي ولغة الخطاب التاريخي. وقد ورد في نص المسعودي عدة مواضع تدخل ضمن هذا المبحث، منها:

- "ونصبت الأعلام على الجسر".
- "فعسكر في غربي دجلة".
- "وسار المعتصم من الثغور الشامية، ودخل من درب السلامة، ودخل الأفشين من درب الحدث، ودخل الناس من سائر الدروب".
- "وأراد المسير إلى القسطنطينية والنزول على خليجها، والحيلة في فتحها براً وبحراً".

والملاحظة الأبرز التي يمكن رصدها عبر استعراض الأمثلة السابقة هي غياب (الوصف الخرائطي) العميق كما شاهدناه في نص الطبري، وكذلك ندرة ظروف المكان، والتي تعد من أهم أداوت (الوصف الخرائطي) التي يمكن للمؤلف الاعتماد عليها، كذلك كثرة استعمال الجار والمجرور في جمل الوصف، واستعانته بأسماء المدن والدروب وبعض الأنهار، وأسماء الجهات.

ثالثا: نص ابن الجوزي من كتابه المنتظم تاريخ الملوك والأمم:

١- وصف النص:

يعد كتاب المنتظم من أمهات كتب التاريخ في الحضارة الإسلامية، ومن الكتب المميزة في الموروث التاريخي للعرب. والحق أن هذا التميز لم يكن وليد الصدفة؛ بل هو وليد منهجية منضبطة سار عليها ابن الجوزي في تصنيفه لهذا الكتاب، والتي اعتمد فيها على البسط والإطناب في تتبع الحوادث التاريخية وتوثيقها، إضافة إلى ما عرف عن ابن الجوزي من العناية الشديدة بمصنفاته، والحرص على ظهورها بأحسن صورة. ومن هنا كان حديث المصنف عن معركة عمورية فيه شيء من البسط والإطالة، دون إفراد فصل مستقل لها، فقد ساق الحديث عنها سرداً ضمن حوادث ذلك العام. ومن

الامور التي يمكن ملاحظتها عند ابن الجوزي دون غيره من عينة الدراسة الاستطراد في بعض المواضع، كذكره لقصة يعقوب بن جعفر[١]، وحبس المعتصم للعباس بن المأمون[٢]. كما أن نص ابن الجوزي، تميز بإيراد بعض الأبيات الشعرية التي نظمت بمناسبة بعض أحداث هذه المعركة، ومن ذلك إيراده لأبيات محمد بن عبد الملك الزيات التي قالها في فتح عمورية[٣]، ولبيت ردده المعتصم[٤]، ولا شك أن هذه الإيرادات الشعرية كان لها دور فاعل في النص على مستوى التوثيق وتعزيز مصداقية النقل من جانب، ومن جانب آخر على مستوى تخفيف ثقل المادة التاريخية التي قد يكون الاسترسال فيها مورثا للسآمة والملل، ما يجعل إضافة مثل هذه التعليقات الأدبية مناسبا في هذا المقام.

٢- المباني النحوية:

سجلت الجملة الفعلية حضوراً لافتا (كماً ونوعاً) في النص، فيما تراجعت الجملة الاسمية في المقابل، مع احتفاظها بالتنوع على مستوى الحشو النحوي، وقد كان الفعل الماضي هو الحاضر الأكبر في النص، في حين أن ندرة حضور فعل الامر ظلت مستمرة، مع ملاحظة الحضور المحتشم للفعل المضارع، وفيما يأتي أمثلة على المباني النحوية في النص:

الجملة الفعلية:

- "بعث الأفشين"[٥]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "أمر المعتصم أشناس"[٦]. (فعل + فاعل + مفعول به)
- "أحضر القضاة"[٧]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "فأمره"[٨]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به "ضمير متصل")
- "فإن أردت الخروج"[١]. (فعل مضارع سبق بناصب + فاعل مستتر + مفعول به)

---

[١] : المنتظم: ٨٢/١١.
[٢] : نفسه: ٨٣/١١.
[٣] : نفسه: ٨٤/١١.
[٤] : نفسه: ٧٨/١١.
[٥] : نفسه: ٧٩/١١.
[٦] : نفسه.
[٧] : نفسه.
[٨] : المنتظم: ٧٩/١١.

– "كان السبب في ذلك تضييق الأفشين"[٢]. (فعل ناسخ + جار ومجرور + اسمه + خبره)

– "كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين"[٣]. (فعل ناسخ + اسمه + خبره "شبه جملة")

– " فطرحت الجلود"[٤]. (فعل "مبني للمفعول" + نائب فاعل)

الجملة الاسمية:

– "هي وقف"[٥]. (مبتدأ "ضمير" + خبر)

– "وهم يتقدمون"[٦]. (مبتدأ "ضمير" + خبر "جملة فعلية")

– "الرجل ممكن"[٧]. (مبتدأ "اسم ظاهر" + خبر "اسم ظاهر")

– "في دار لي"[٨]. (مبتدأ "ضمير مستتر" + خبر "شبه جملة")

– "أن العباس دسّ رجلاً"[٩]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")

– "لكن أشهد الله أني جعلت"[١٠]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير مستتر" + خبره "جملة فعلية")

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

بدى واضحاً أن ابن الجوزي تجنب الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالأحداث التاريخية، وتجلى ذلك عبر عزوفه عن ذكر أي من (ألفاظ الرواية التاريخية) رغم ما قررناه في مبحث سابق من أن المادة التاريخية العمدة فيها على الرواية، إذ لم يرد في النص ذكر لها إلا في موضعين، مرة عند الحديث عن تاريخ خروج الجيش الإسلامي حين قال: "وقيل: كان ذلك في سنة اثنين وعشرين. وقيل: سنة أربع وعشرين"[١١]، ومرة

---

[١] : نفسه: ٧٨/١١.

[٢] : نفسه: ١١/ ٧٨–٨٣.

[٣] : نفسه: ١١/ ٨١.

[٤] : نفسه: ٨١/١١.

[٥] : نفسه: ٨٣/١١.

[٦] : نفسه: ٨٢/١١.

[٧] : نفسه: ٨٣/١١.

[٨] : نفسه.

[٩] : نفسه.

[١٠] : نفسه.

[١١] : المنتظم: ٧٩/١١.

أخرى عند روايته لحكاية يعقوب بن جعفر بالسند حين قال: "وروى أبو بكر الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني يعقوب بن جعفر بن سليمان ..."[1].

ولسائل هنا أن يسأل لماذا سلك المؤلف هذا المسلك في تعامله مع ألفاظ الرواية التاريخية رغم أنه اعتمد منهجية الإطناب والإطالة في تأليفه لهذا المصنف؟

ولعل السبب في ذلك هو أن المصنف قد اعتمد منهجية الإطالة الموجهة، فجاء تهميشه لألفاظ الرواية التاريخية انطلاقاً من كونها –في تقديره– لن تقدم أو تأخر في المادة التاريخية المطروحة، فكان التخلي عنها هو الأولى.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

يعد نص ابن الجوزي أكثر نصوص عينة الدراسة إيرادا لألفاظ معجم الحرب، إذ كان حضورها في النص لافتا، وكما قلنا عند حديثنا عن النصوص السابقة أن هذا الحضور غير مستغرب البتة، لكون الحديث هنا عن معركة عمورية، فكان من المتوقع شغل هذه الألفاظ لمساحة واسعة في النص. ومن أمثلة هذه الألفاظ:

– ("السلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والحمير والبغال والروايا والقرب وآلة الحرب، والحرير والنفط"، "الدم")[2].

– ("ضربت عنقه"، " فأسرهم وخرب بلدهم "، " فأغار"، " حصون "، "مقاتلة")[3].

وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة) والمصادر أحياناً، فيما كان بعض تلك الألفاظ يحمل دلالة لغوية واصطلاحية واحدة، وبعضها الآخر اختلفت دلالتها اللغوية عن دلالتها الاصطلاحية ذات الصلة بمعجم الآلة الحربية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

ورد في النص العديد من الأعلام والألقاب والكنى، وقد كان بعض هذه الأعلام والألقاب عربيا، وبعضها الآخر أعجميا، أما الكنى فقد كانت عربية خالصة، ولم يرد في النص أي كنية أعجمية، وقد عبرت الأعلام والألقاب والكنى العربية عن جيش المسلمين، أما الأعلام الأعجمية فقد عبر جزء منها عن جيش المسلمين (قواد المعتصم

[1] : نفسه: ٨٢/١١.

[2] : نفسه: ٧٧/١١.

[3] : نفسه: ٧٨/١١.

من الفرس والأتراك)، وعبر جزؤها الآخر عن جيش الروم الذي لاقاه المعتصم في هذه الواقعة. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

- ("توفيل"، "ميخائيل"، "الأفشين"، "بابك"، "جعفر"، "دينار"، "إيتاخ"، "ملك الروم"، "عجيف"، "عنبسة"، "المعتصم")[1].
- ("أشناس"، "محمد"، "إبراهيم"، "الصولي"، "البطريق")[2].
- ("أبوبكر"، "السمرقندي"، "الحارث"، "العباس")[3].

ولعل التساؤل المهم طرحه هنا هو: لماذا تم إضافة هذا المبحث (الأعلام والألقاب والكنى) ضمن مباحث الدراسة؟

ويكفي للإجابة على هذا التساؤل أن نشير إلى الثمرة المرجوة من تناول هذا المبحث، وهي: الكشف عن مدى ارتباط (الأعلام والألقاب والكنى) بلغة الخطاب التاريخي، والبحث عما إذا كان من الممكن عدها من العلامات البارزة التي تميز بها الخطاب التاريخي؟

٦- الوصف الخرائطي:

يمكن الربط بين منهجية الكاتب التي اعتمدها في التأليف وبين حجم مواضع (الوصف الخرائطي) في النص، فكلما كانت منهجية المؤلف قوامها البسط والإطالة كانت رقعة الوصف الخرائطي أوسع في النص، أما إذا كانت منهجيته مرتكزة على الاختصار والإيجاز كانت رقعة الوصف الخرائطي -على الأغلب- أضيق.

وهذا تماماً ما يؤكده تتبع مواضع الوصف الخرائطي في نص ابن الجوزي، والتي حظيت بشيء من البسط والتوسع على امتداد النص تبعاً للمنهجية التي اعتمدها المصنف. وفيما يأتي بعض الأمثلة:

- ("عسكر في غربي دجلة"، "ووجه عجيف بن عنبسة في جماعة من القواد إلى زبطرة")[4].
- ("فدخل بلاد البروم، فأقام على سلوقية قريباً من البحر"، "ودبر النزول على أنقرة"، "وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طرطوس")[1].

---

[1] : المنتظم: ٧٨/١١.
[2] : نفسه: ٧٩/١١.
[3] : نفسه: ٨٣/١١.
[4] : نفسه: ٧٨/١١.

– ("حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"، "وبين كل عسكر وعسكر فرسخان"، "فصار لكل قائد ما بين البرجين إلى عشرين برجاً")[٢].

ويمكنك هنا ملاحظة أن المؤلف قد استعان في وصفه الخرائطي بمجموعة من الأدوات أبرزها: (الظروف المكانية، أسماء المدن والقرى والبلدان، أسماء الجهات، أسماء الأنهار).

رابعا: نص ابن الأثير من كتابه الكامل في التاريخ:

١– وصف النص:

من المهم هنا أن أشير إلى أن ما قلناه عند وصفنا لنص الطبري صالح –إلى حد كبير– لتعميمه على نص ابن الأثير، فالقواسم المشتركة بين النصيين كثيرة، وهذا ما أكده ابن الأثير في مقدمته حين شرع في شرح منهجيته ومصادره في تصنيف هذا الكتاب إذ يقول: " فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا.

ولا أقول إني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ، فإن من هو بالموصل لا بد أن يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب، ولكن أقول إنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك. فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة ... وإنما اعتمدت عليه –الطبري– من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا"[٣].

إذا علم هذا فلتعلم أن ابن الأثير قد أطال وفصل في سياق حديثه عن وقعة عمورية، لأنه أراد كتابه هذا كاملا كما أسماه، فأراده كاملاً في استعراضه لحوادث العصور والأزمان، وكاملاً في تقصيه لتفاصيل هذه الحوادث، وما فتح عمورية إلا حادثة من هذه الحوادث، تخضع للمنهجية ذاتها التي حددها ابن الاثير. وقد أفرد عنواناً مستقلاً

---

[١] : المنتظم: ٧٩/١١.

[٢] : نفسه: ٨٠/١١.

[٣] : الكامل: ٦/١–٧.

للحديث عن عمورية، جمع تحته شتات أحداث هذه الموقعة، وهو منهج اختاره ابن الأثير وسار عليه، وقد أثبته في مقدمته حين قال: "على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصبا واللآلي. ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض"[١].

٢- المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند ابن الأثير في نصه هذا متنوعة على المستويين (الداخلي والخارجي)، وأعني بالمستوى الداخلي: تنوع الحشو النحوي داخل الجملة الواحدة، وبالمستوى الخارجي: المراوحة بين الجملتين الاسمية والفعلية. غير أن الجملة الفعلية استمرت في فرض سيطرتها على النص كما كانت مسيطرة في النصوص السابقة، وكذلك على مستوى الأفعال كان الفعل الماضي هو الحاضر الاكبر في النص، وقد استخدم المؤلف لتحقيق التغيير في المستوى الداخلي للجملة التقديم والتأخير أحيانا، والظهور والاستتار أحيانا أخرى. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

الجملة الفعلية:

- "وأمضى المعتصم الأفشين"[٢]. (فعل متعدي + فاعل ظاهر + مفعول به ظاهر)
- "رحل المعتصم"[٣]. (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "جمع العساكر"[٤]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به ظاهر)
- "فأشهدهم"[٥]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به "ضمير متصل")
- "لم يعرض لها أحد"[٦]. (فعل مسبوق بجازم + جار ومجرور + فاعل مؤخر)

---

[١] : الكامل: ٦/٧.
[٢] : نفسه: ٦/٣٩.
[٣] : نفسه.
[٤] : نفسه: ٦/٣٨.
[٥] : نفسه.
[٦] : نفسه: ٦/٣٩.

– "يكون اجتماعهم فيه"[١]. (فعل مضارع ناسخ + اسمه "ظاهر" + خبره "ظاهر")

الجملة الاسمية:

– "وهو جالس"[٢]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر)

– "وهي عين النصرانية"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر "مضاف ومضاف إليه")

– "ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)

– "أن الملك مقيم"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره)

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

لم يستعمل ابن الأثير في نصه هذا أيا من (ألفاظ الرواية التاريخية)، إلا في موضع واحد عند حديثه عن تاريخ خروج المعتصم من (سر من رأى) حين قال: "فسار المعتصم من سر من رأى، وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين، وقيل سنة أربع وعشرين"[٦]. والسبب في هذا دون شك يعود إلى الأسلوب الذي اعتمده المؤلف في مصنفه هذا، والذي يتضمن استبعاد الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالمادة التاريخية المطروحة، لاسيما بعد ما قررناه في مبحث (وصف النص) من تأثر ابن الأثير بالطبري في أسلوبه ومنهجيته، إذ لم يكن لكليهما عناية بألفاظ الرواية التاريخية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

كثر إيراد ألفاظ (الآلة الحربية) في النص، وهذا أمر لا يستغرب نظراً لما قررناه في مباحث سابقة بأن الحديث هنا عن معركة، فلا غرابة في أن تكون الألفاظ المعبرة عن بيئة المعركة حاضرة في النص، ولكن اللافت في نص ابن الأثير هو تكراره لبعض هذه الألفاظ تكرارا محظا أحيانا، وتكرارا جزئيا أحيانا أخرى، نحو: "سير – مسير – عسكر – عساكر – معسكر – يتجهز – جهازاً – جهزه"[٧]. وقد يكون هذا التكرار سببه سياق الكلام الذي اضطر المصنف أحياناً إلى التكرار، وقد يكون سببه

---

[١] الكامل: ٣٩/٦.

[٢] : نفسه: ٣٨/٦.

[٣] : نفسه: ٣٩/٦.

[٤] : نفسه: ٣٨/٦.

[٥] : نفسه: ٣٩/٦.

[٦] : نفسه: ٣٩/٦.

[٧] : نفسه.

أسلوب المؤلف وطريقة اختياره للألفاظ، لا سيما ونحن نعلم أن تاريخ الطبري –وهو النموذج الذي سار عليه ابن الأثير في كامله– لم يضطر إلى التكرار بالشكل الذي نجده عند ابن الأثير. وقد تنوعت ألفاظ (المعجم الحربي) في النص، إذ تضمنت الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، فيما جاء بعضها عربياً وبعضها الآخر أعجميا. ومن أمثلتها في النص:

– ("أسيرة"، "النفير"، "وسمط خلفه شكالاً"، "سكة حديد"، " القواد "، "أمنع وأحصن")[1].

– ("فارس"، "سرية")[2].

– ("الأرمنياق"، "حياض الأدم"، "ظفر")[3].

ويلاحظ هنا أن معظم الألفاظ السابقة اتحدت دلالتها اللغوية والاصطلاحية في الدلالة على مدلولات ذات صلة بالحروب والمعارك.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

سجلت أسماء الأعلام والألقاب حضوراً واسعا في النص، فيما غابت الكنى عن النص، وقد تنوعت هذه الأعلام بين العربي والأعجمي، والألقاب كذلك. ومن أمثلتها:

– ("محمد بن إبراهيم"، "خليفة"، "إيتاخ"، " ملك الروم"، "المعتصم")[4].

– ("الحارث"، "البطريق"، "أشناس"، "الأفشين"، "السمرقندي")[5].

وقد ظهر هنا اعتماد ابن الأثير لتاريخ الطبري مصدرا رئيسا في نقل وقائع معركة عمورية، وذلك عبر التشابه الكبير في الأعلام والألقاب المتناولة عند كل منهما، بل إن ابن الأثير لم يفسر أي علم أعجمي إلا ذلك العلم الذي فسره الطبري بـ(ثور) في العربية، إذ قال: "وكان البطريق الموكل بهذه الناحية (وندوا)، وتفسيره ثور"[6].

٦– الوصف الخرائطي:

استرسل ابن الأثير في وصف البقاع والبلدان التي قصدها الجيش الإسلامي، وكذلك ميادين وساحات المعركة، وقد تميز هذا الوصف بالدقة، حتى إن القارئ ليقف عند

---

[1] : الكامل: ٣٨/٦.

[2] : نفسه: ٣٩/٦

[3] : نفسه: ٤٠/٦.

[4] : نفسه: ٣٧/٦–٣٩.

[5] : نفسه: ٤٣/٦.

[6] : نفسه.

بعض مواضع (الوصف الخرائطي) في النص وكأنه يشاهد صورة (فوتوغرافية) لا كأنه يقرأ وصفاً لبقعة أو مكان، هذا وقد اعتمد المؤلف في صياغة (الوصف الخرائطي) على عدة أدوات، منها: (ظروف المكان، أسماء البلدان، أسماء الأنهار، أسماء الدروب، أسماء الجهات). ومن أمثلة الوصف الخرائطي في النص:

– " فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن، وهو على سلوقية، قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وساروا حتى خرجوا من الغيضة، وسار بهم الشيخ حتى أتى جبلا، فنزله ليلا، فلما أصبحوا قال الشيخ: وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل، فينظرا ما فوق"[٢].

– "ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر: عسكر فيه أشناس في الميسرة، والمعتصم في القلب، وعسكر الأفشين في الميمنة، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمر كل عسكر أن يكون له ميمنة وميسرة"[٣].

ثالثا: نص ابن كثير من كتابه البداية والنهاية:

١ – وصف النص:

على الرغم من أن ابن كثير قد اعتمد –عند تصنيفه للبداية والنهاية– منهجية البسط والإطالة في تتبع الحوادث على مر العصور، إلا أن حديثه عن معركة عمورية جاء غاية في الاختصار مقارنة بما ورد عند أصحاب كتب التاريخ المطولة الأخرى، فقد جاء الحديث عن معركة عمورية في البداية والنهاية في ورقتين وزيادة، مع إفراد فصل للحديث عنها، وقد عنون لهذا الفصل بـ "فتح عمورية على يد المعتصم". ولعل السبب في ذلك هي الوسطية التي اختارها ابن كثير لتحكم منهجية تأليفه، فقد كان حريصاً على أن يؤرخ لأكبر عدد ممكن من الحوادث التاريخية مع الاحتفاظ بأداة الاختصار في تفاصيل هذه الحوادث، فيقع اختياره أحياناً على بعض الحوادث ليطبق الاختصار عليها لحساب حوادث أخرى أطال فيها، فتتحقق في النهاية هذه الموازنة، فما كان من إطالة في خبر معين قابله اختصار في موضع آخر، وقد كانت معركة عمورية –على ما يبدو– من الحوادث التي كان نصيبها عند ابن كثير الاختصار.

---

[١] : الكامل: ٣٩/٦

[٢] : نفسه: ٤٠/٦.

[٣] : نفسه: ٤١/٦.

والذي قد يميز نص ابن كثير عن غيره من النصوص محل الدراسة هو التركيز في المعلومة المطروحة، فقد جاءت الألفاظ عنده مركزة، فلا تستطيع إسقاط أي عبارة أو كلمة من النص دون أن يسقط معها فائدة رئيسة ترتبط بأحداث عمورية. إضافة إلى ذلك كانت لغته سهلة وقريبة من أذهان أبناء هذا العصر؛ ولعله السبب في ذلك يرجع إلى كونه من أواخر كتب التاريخ المطولة التي وصلتنا، فكانت الأمور أمامه ناضجة وتامة في ضوء ملكة لغوية سخرها في ذلك.

٢- المباني النحوية:

إن عالما بجلالة قدر ابن كثير ليعرف تمام المعرفة كيف يوظف المباني النحوية في النص التوظيف النافع، فقد أراد لها أن تكون بسيطة وميسرة وقريبة من الأذهان، بعيدة عن التكلف والتعقيد، فكانت كذلك، إذ جاءت هذه المباني منوعة على المستويين الخارجي والداخلي، مع ملاحظة تفوق الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، وغلبت استخدام الفعل الماضي على غيره من الأفعال. وفيما يأتي بعض الامثلة[١]:

الجملة الفعلية:

- "فوافاه الافشين". (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "فسره ذلك". (فعل + مفعول "ضمير متصل" + فاعل "اسم إشارة")
- "فتقاربا". (فعل + فاعل "ضمير متصل")
- "وسار إلى عمورية". (فعل + جار ومجرور "متعلق به")
- "لم يجهزه أحد كان قبله". (فعل سبق بجازم + فاعل)
- "أن يجعل لجيشه ميمنة". (فعل سبق بناصب + فاعل "مستتر")
- "وكان بينها وبين مدينة انقرة سبع مراحل". (فعل ناسخ + خبره مقدم + اسمه مؤخر)

الجملة الاسمية:

"وهو قريب". (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبره)

"وذاك في رجب". (مبتدأ "اسم إشارة" + خبره "شبه جملة")

" فالميمنة عليها الأفشين". (مبتدأ + خبره "جملة اسمية")

"أن بقية الجيش قد شردوا". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "فعليه")

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤.

"فأول من وصل إليها من الجيش اثنان". (خبر متقدم + إضافات + مبتدأ مؤخر)

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

الأسلوب الذي اعتمده ابن كثير لرواية الأحداث والوقائع التاريخية التي أرخ لها قلل من مساحة وجود (ألفاظ الرواية التاريخية) عند حديثه عن معركة عمورية، وهذا ما يؤكده خلو النص من أي من تلك الألفاظ. وقد كان لخلو النص من (ألفاظ الرواية التاريخية) أثره الواضح على لغة النص، فلو أن المؤلف اعتمد سرد الروايات التاريخية المتعلقة بالمعركة بنصها كما رواها الرواة لكان في ذلك شيء من الإطالة والتعسير؛ لكون هذه الرواية صيغت في أزمان غابرة، فكان من المؤكد أن لغتها لا توافق لغة عصر ابن كثير والتي كانت أكثر نمواً وتطوراً من لغة عصر الرواة السابقين، أضف إلى ذلك أنها ستحد من لمسة الكاتب في النص؛ لأنه سيضطر لسردها بأسلوب ناظمها وفي ذلك تحجيم وحد من أسلوبه الشخصي، ولكن ابن كثير تجاوز كل هذا حينما اعتمد رواية هذه الاحداث بأسلوبه وصياغته الخاصة دون عزوها بأسانيد ثقيلة إلى رواتها.

٤- معجم الآلة الحربية:

لسنا بحاجة هنا إلى سرد أسباب ورود ألفاظ (المعجم الحربي) في النص؛ لأن ما ذكرناه في المباحث السابقة يغنينا عن ذلك، لكنني أورد لكم بعض ما جاء في النص من ألفاظ هذا المعجم: ("الجين"، "العسكر"، "الميمنة"، "دبابات"، "السلالم"، "الخندق"، "قتل"، "حرقوه"، "المجانيق"، "الحصون"، "الأبراج"، "السور"، "المسير")[١].

٥- الأعلام والألقاب والكنى:

بدت آثار رغبة المؤلف في الاختصار واضحة عبر التقنين الشديد في ذكر الأعلام والألقاب والكنى، فقد كان ورودها في النص بشكل مركز دون تكرار، وإذا اضطر إلى تكرار اسم أو لقب كرره بقدر حاجة السياق. أما الكنى فقد خلت ساحة النص تماماً منها. وفيما يأتي بعض الأمثلة من النص:

("المعتصم"، "الأفشين"، "الخليفة"، "ملك الروم"، "أمير المؤمنين"، "مناطس")[٢].

---

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

[٢] : نفسه.

ويلاحظ هنا أن العلم الاخير "مناطس" قد ضبطه المؤرخون السابقون بـــ"يـــاطس"، ولا أدري إن كان ما جاء عند ابن كثير يعد من أخطاء الطباعة أم أنه تـــصحيف فـــي التحقيق، لا سيما وأن الاسم تكرر مرتين في النص بهذا الشكل.

٦- الوصف الخرائطي:

تميز الوصف الخرائطي عند ابن كثير بالتركيز والتقنين، فلم يطلق لنفسه العنان فـــي وصف كل بقعة من بقاع المعركة أو المسير إليها، بل وصف ما اعتقد أن القراء بحاجة إلى معرفته. ومن أمثلته في النص:

("فتقاربا حتى كان بين الجيشين أربعة فراسخ"، "ودخل الأفشين بلاد الروم مـــن ناحيـــة أخرى")[١]، ويلاحظ هنا أن ابن كثير قال "من ناحية أخرى" دون اللجوء إلـــى تحديـــدها؛ لتقديره عدم أهمية معرفة القارئ لهذه الناحية وعـــدم ترتـــب أي شـــيء علـــى فقـــدان معرفتها. وقد استعان في (وصفه الخرائطي) بظروف الزمان، وأدوات القياس، وغيرها مما أشرنا إليه من الأدوات في المباحث السابقة. كما ورد عنده ضبط اسم نهـــر خلافـــا لما ضبطه عليه المؤرخون قبله فجاء عنده باسم نهر "اللسى"، فيما سماه من سبقه نهـــر "اللمس".

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

نتائج الدراسة:

مما سبق عرضه ومناقشته من مباحث يمكننا أن نستخلص عدد من النتائج نختم بها هذه الدراسة:

١- تميزت لغة الخطاب التاريخي بالسهولة والبساطة والبعد عن الزخرفة القولية والتعقيد، كما تميزت بأنها لغة مباشرة يحكمها الأسلوب السردي والروائي.

٢- على مستوى المباني النحوية تميزت لغة الخطاب التاريخي بعلاقتها الوطيدة مع الجملة الفعلية على حساب الجملة الاسمية، كما سجل الفعل الماضي حضوراً لافتاً على حساب بقية الأفعال الأخرى.

٣- يتوقف التعامل مع ألفاظ الرواية –ذكرا أو تجاهلا– في لغة الخطاب التاريخي على المنهجية التي يعتمدها المؤلف في مصنفه.

٤- معجم الآلة الحربية شكل حيزاً في كثير من نصوص لغة الخطاب التاريخي، لا سيما تلك التي تؤرخ للمعارك والحروب.

٥- يكثر في لغة الخطاب التاريخي إيراد الأعلام والألقاب والكنى لارتباطها بالأحداث التي يتناولها المؤرخون.

٦- تشترك لغة الخطاب التاريخي في كثير من مواضعها مع اللغة الجغرافية فيما يتعلق بالوصف الخرائطي، وذلك عبر استخدام عدد من الأدوات أهمها ظروف المكان، وأدوات القياس، وأسماء الجهات.

المراجع:

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨.
- همامي، د. عبد النبي، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة، السنة ٥، العدد ١٣، أبريل ٢٠٠٧.
- جمال الدين، د. السيد مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥.
- حويت، وفاء عباس حسن، دلالة الفعل على الزمن (دراسة نحوية تحليلية) من خلال ديوان النابغة الذبياني، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٧، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٩.
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.
- الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١.
- الجندي، الدكتور علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الجامعة العربية، بيروت.
- اللوقة، ناظم خليل، ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية)، جامعة الأزهر (غزة)، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- عبوة، زينة عبد الرحيم، معجم ألفاظ الحرف والمهن التقليدية في نابلس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.
- يوسف، أحمد، النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥.
- خليل، الدكتور إبراهيم محمود، في اللّسانيّات ونحو النّصّ، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩.
- جنتي فر، محمد، تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، السنة الثانية، العدد السابع، أيلول ٢٠١٢.

- عمايرة، د. حنان إسماعيل، تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي (مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد التاسع، العدد الثالث، تموز ٢٠١٣.
- العنبر، عبد الله العنبر، القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤١، ملحق ٢، ٢٠١٤.
- العنبر، عبد الله، المناهج الأسلوبية والنظريات النصية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٤، ٢٠١٦.
- أحمد، علي زواري. وبلخضر، أحمد، منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الحادي عشر، مايو ٢٠١٧.
- حاج علي، عبد الرحمن، أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية، مجلة آداب ذي قار، العدد ٢٢، ٢٠١٧.
- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.
- مصلوح، الدكتور سعد، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية (آفاق جديدة)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٠.
- أنيس، الدكتور إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- نهر، الدكتور هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١.
- ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: علي شيري، ١٩٨٨.

لغة الخطاب التاريخي
من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري
(دراسة استقرائية تحليلية)

دكتور/ عبد الله شعف عماش الحربي
دكتوراة في اللغة العربية (اللغة والنحو)

المستخلص:

يتناول هذا البحث لغة الخطاب التاريخي عبر دراسة عينة منتقاة من أمهات المصنفات التاريخية من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري في ضوء عدد من المحاور هي: المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والأعلام والألقاب والكنى، والوصف الخرائطي. والهدف الرئيس من البحث في هذا الموضوع هو اكتشاف أهم ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها المميزة. وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: لغة الخطاب التاريخي، المباني النحوية، معجم الحرب، الأعلام الألقاب، الوصف الخرائطي، ألفاظ الرواية، خصائص..

This research deals with the language of historical discourse by studying a selected sample of the mothers of historical works from the third to the eighth centuries AH in light of a number of axes: the syntactic buildings, the expressions of the historical novel, the dictionary of the war machine, the flags, titles and nicknames, and the cartographic description. The main objective of research on this topic is to discover the most important features of the language of historical discourse and its distinctive characteristics. This study followed the descriptive and analytical approach.

أولا: المقدمة:

قصر كثير من الباحثين اللغويين في هذا العصر دراساتهم وأبحاثهم على الموروث اللغوي الذي خلفه لنا الأسلاف من علماء اللغة العربية، فإذا كانت الدراسات اللغوية التي تناولت المصنفات المتخصصة في علوم اللغة العربية قد حظيت بالنصيب الوافر من اهتمام اللغويين وعنايتهم، فإن مما يؤسف أن ذلك الاهتمام لم يتعد إلى غيرها من المصنفات الأخرى في موروثنا الثقافي، وقد ترتب على ذلك زهد كثير من الباحثين في دراسة كنوز لغوية عظيمة في تراثنا العربي؛ فقط لكونها وجدت خارج اهتمامات اللغويين.

وبمرور الزمن، ترسخ خطأً في الأدبيات العربية أن اللغة هي أقوال الرجال على الرجال، متناسين بذلك مجالات عدة يمكن للدراسات اللغوية خوض غمارها، وسبر أغوارها. وصار حالهم في هذا الشأن كحال قوم أدركهم العطش حتى كاد يفنيهم، فجدوا في طلب الماء حتى وقعوا على بئر نزيحة، فتهافتوا عليها، فمنهم من أدرك رشفة، ومنهم من ملأ كفه، ومنهم من أروى ظمأه، ومنهم من لم يبلغ الماء أطراف حلقه. لكن البعض لم يعجبه هذا الزحام، فجد واجتهد حتى وقع على نهر فياض لا يبعد عن تلك البئر شيئاً، فأقبل عليه يعب وينهل، ويدعو أصحابه إلى الورود عليه، وترك تلك البئر التي إن لم تكن قد نضبت، فإن الزحام حولها مؤذن بجفاف قريب لها.

وقد سعيت في هذه الدراسة إلى طرق باب آخر من أبواب الدراسات اللغوية، تمثل في دراسة المصنفات التاريخية التي دونها عدد من المؤرخين العرب في مدة امتدت نحوا من خمسة قرون، للتعرف إلى لغة الخطاب التاريخي التي سادت في تلك المصنفات، واكتشاف ملامحها وأهم خصائصها. وحرصت على أن تكون النصوص المتناولة تمثل خمسة قرون مختلفة، من القرن الثالث حتى الثامن الهجري، ليكون كشف خصائص لغة الخطاب التاريخي أيسر وأقرب، وليكون تعميم النتائج المتوقع التوصل إليها على الفترة الزمنية المحددة مقبولا.

ثانيا: أهداف الدراسة:

١- الإسهام بفتح آفاق جديدة في البحث اللغوي العربي.

٢- التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأبرز خصائصها.

٣- بحث المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي على المستويين الداخلي والخارجي.
٤- دراسة العلاقة بين لغة الخطاب التاريخي وألفاظ الرواية التاريخية.
٥- اكتشاف أهم الألفاظ التي استعملها المؤرخون العرب من معجم الآلة الحربية.
٦- معرفة صور استعمالات الأعلام والألقاب والكنى لدى المؤرخين.
٧- التعرف إلى أسلوب الوصف الخرائطي ودواعي استخدامه لدى المؤرخين العرب.

ثالثا: مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في التعرف إلى ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها في مصنفات المؤرخين العرب في الفترة من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري، عبر دراسة النصوص التي تطرقت إلى معركة (عمورية)، ورصد بعض الظواهر اللغوية، لاسيما المباني النحوية، وألفاظ الرواية التاريخية، ومعجم الآلة الحربية، والوصف الخرائطي.

رابعا: منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد سرت فيها وفق المنهجية الآتية:

١- تحديد حادثة تاريخية لتكون نواة لعينة الدراسة (معركة عمورية). والسبب في هذا التحديد هو الرغبة في تتبع لغة الخطاب التاريخي، إذ يتشكل جزء كبير من تلك اللغة على يد المؤرخين، ولن تظهر ملامح تلك اللغة بوضوح في القصص التي تنقل بروايات تاريخية متواترة؛ لأنها ستنقل بأسلوب صائغ الرواية، دون أن تكون هناك فرصة لظهور ملامح لغة الخطاب التاريخي.
٢- تتبع هذه الحادثة التاريخية المختارة (معركة عمورية) في كتب بعض المؤرخين. وقد تتبعت الدراسة ما جاء عن هذه الحادثة عند خمسه من المؤرخين وهم على الترتيب: (الطبري، والمسعودي، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن كثير).
٣- رصد أهم الظواهر اللغوية، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وخصائصها، وذلك عبر دراسة النصوص عينة الدراسة بمعية المجالات الآتية:
- المباني النحوية.
- ألفاظ الرواية التاريخية.

– معجم الآلة الحربية (الحرب).
– الأعلام والألقاب والكنى.
– الوصف الخرائطي.

٤– تدوين النتائج التي توصلت إليها الدراسة، واستخلاص ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها.

والمصنفات التي تناولتها الدراسة هي:

– تاريخ الرسل والملوك للطبري (القرن الثالث الهجري).
– مروج الذهب للمسعودي (القرن الرابع الهجري).
– المنتظم في تاريخ الملوك لابن الجوزي (القرن السادس الهجري).
– الكامل في التاريخ لابن الأثير (القرن السابع الهجري).
– البداية والنهاية لابن كثير (القرن الثامن الهجري).

خامسا: أسئلة الدراسة:

هنالك أسئلة رئيسية تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها، وهي:

١– ما هي ملامح لغة الخطاب التاريخي وأهم خصائصها؟

٢– ما أهم الألفاظ الواردة في مصنفات المؤرخين العرب التي يمكن اعتبارها ضمن المعجم العسكري العربي؟

٣– ما المنهج الذي تعامل به المؤرخون العرب مع الروايات التاريخية وأسانيدها في مصنفاتهم؟

٤– ما أهم الألفاظ التي كانت سائدة في الوصف الخرائطي في المصنفات التاريخية العربية؟ وما هي الأدوات التي استخدمت للتعبير عن هذا الوصف؟

٥– ما الارتباط الموجود بين ألفاظ الوصف الخرائطي وبين لغة الخطاب التاريخي في المصنفات التاريخية العربية؟

٦– كيف تعامل المؤرخون العرب مع الأعلام والألقاب والكنى عند تناولهم للمادة التاريخية؟

سادسا: الدراسات السابقة:

من الصعوبات التي واجهتها عند التحضير لهذه الدراسة هو ندرة الدراسات التي تطرقت بصورة مباشرة إلى بحث لغة الخطاب التاريخي، وقد توصلت إلى عدد من

الدراسات العلمية التي ناقشت موضوعات تتصل بموضوع دراستي هذه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومنها:

١- دراسة أحمد يوسف (٢٠٠٥). النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية. أظهرت الدراسة أن الفرضيات التي بسطها النحاة الجدد في صرامتها العلمية وتطبيقاتها الحرفية لا تكتسي على جميع الألسن التي تشترك في محيط واحد، ولكن تكمن- أيضا- في الطابع الإجرائي الكامن وراء تلك الدعاوى التي ثارت على تقاليد البحث اللغوي السائد في مطلع القرن التاسع عشر؛ وليس أدل على ذلك أنهم أبعدوا تلك المعتقدات الخاصة بسلسلة من الصلات الصوتية المشتركة بين الكلمات للغتين أو أكثر دون أن تقع في محظور الاستثناءات التي كانت تعترض سبيل الفليلولوجيا. ومن ثم، كانوا يقتربون شيئا فشيئا من فكرة "النسق" système التي بلورتها فيما بعد لسانيات دو سوسير وكذلك فكرة "العمومية" généralité التي صارت صفة لموصوف اللسانيات. وتبين من الدراسة أن المسائل الكبرى التي تطرق لها النحاة الجدد لم تفقد كل راهنيتها في الدراسات اللسانية المعاصرة وإن اتسمت بغياب المتصورات النسقية التي يعود الفضل لدو سوسير في إرساء قواعدها؛ ولهذا ليس من الموضوعية في شيء أن يقلل المرء من إسهاماتهم في فتح آفاق جديدة للسانيات الوصفية المعاصرة التي لم تول ظهرها لبعض القضايا التي كانت مطروحة من قبل. ومن أهم نتائج الدراسة أن اللسانيات التاريخية سعت سعيا حثيثا إلى وصف تطور الأشكال اللغوية أملا في الوقوف على القواعد التي تحكمها من جهة، وكذا صوغ منطق تطور المعنى الذي صار قبلة الدلاليات والسيميائية.

٢- دراسة إبراهيم خليل (٢٠٠٧). في اللّسانيّات ونحو النّصّ. أظهرت الدراسة أن الكلام المنطوق يمثل طبيعة اللغة، وجوهرها، تمثيلا يفوق بدرجات تمثيل الكتابة. فالانفعال والتعاطف والتوكيد والتنغيم أمور لا يكشفها الكلام المكتوب، وتستعرض نموذج سوسير الذي يربط الدراسة اللسانية بعلوم عدة هي: علم الصوتيات، الصرف، علم الدلالة، النحو، علم النص. وتستعرض الدراسة تاريخ الصوت اللغوي وبعض العلماء العرب الذين اهتموا بهذا المجال. وتبين الدراسة أن الصرف متصل اتصالا وثيقا بالصوتيات، لا سيما بالجانب الفونولوجي، فأي إجراء صرفي يلحق بالجذر لا بد أن يصحبه تغيير في البنية الصوتية له. ومن أهم نتائج الدراسة أن ثمة تشابكا بين

المستويين الصرفي والصوتي، وتداخلا بين النحو والصرف، فاللغة تتألف من نظام متعدد: صوتي وصرفي ونحوي ومعجمي لا يمكن إنكار ما بين مستوياتها المتعددة من الترابط والوحدة.

٣- دراسة محمد جنتي فر (٢٠١٢). تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه. أظهرت الدراسة أن دراسة العلاقات التاريخية والثقافية للغة والآداب القومية في علاقاتها باللغة والآداب عند الشعوب الأخرى من القضايا المهمة والمنظورة منذ القدم، وأن مجالات هذا التأثير المتبادل يمكن أن تتناسب مع قضايا اجتماعية وثقافية ودينية وأدبيه ولغوية مختلفة. وتطرقت الدراسة إلى المجال اللغوي ولاسيما مجال التعامل بين اللغتين العربية والفارسية من خلال تناول التغييرات الصوتية والدلالية للمفردات العربية في تاريخ البيهقي بأسلوب وصفي تحليلي وتاريخي. وبينت أن اللغة العربية باعتبارها لغة المبدأ (الأصل) جعلت أساليب اللغة المقصودة أي اللغة الفارسية ولاسيما في مجال المفردات تواجه تحولات وأزمات عدة.

٤- دراسة حنان إسماعيل العمايرة (٢٠١٣). تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي – مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري. هدفت الدراسة إلى رصد ملامح من التطور اللغوي، الماثل في تغير الأنماط التعبيرية اليوم عما كان يمثل عرفا لغويا في الأمس، والتي هي مجموعة من التراكيب اللغوية التي تنظر المعيارية إليها على أنها (ثوابت) حفظت للغة بقاءها وسيلة تواصل بين متحدثيها في مختلف الأزمنة والأمكنة. وتوقفت الدراسة عند كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري والتقطت منه عددا من الأنماط التركيبية اللغوية التي قامت فرضية هذه الدراسة عليها، إضافة إلى التقاط أنماط أخرى من لغة القرآن الكريم، ورصد هذه الأنماط الصحيحة لغويا لتبيان ما آلت إليه في الاستعمال اللغوي الحديث. وتوصلت الدراسة إلى وصف النظرة الحديثة إلى هذه التراكيب من خلال تضمينها في استبانة أجاب عنها خمسون متخصصا في اللغة العربية من طلبة السنة الرابعة، وموضوع الاستبانة هو التراكيب ومدى صحتها في نظرهم. وأسفرت نتائج الاستبانة عن تقييم المستبينين لكثير من هذه الأنماط على أنها (خطأ) أو (ركيكة). وهي في واقع الحال تمثل جزءا من صميم الثابت الصحيح في التراث اللغوي الفصيح وفي هذا ما يشير إلى فجوة حاصلة بين كثير من التراكيب اللغوية المعيارية وما آل إليه الذوق الحديث في

استخدامها. كما يدعو ذلك إلى اتخاذ موقف من هذه الانزياحات اللغوية التي ترتب عليها جعل الصحيح الفصيح مستهجنا أو ركيكا أو خطأ.

٥- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٤). القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية. تؤسس هذه الدراسة لقراءة نقدية تستطلع قوى الهيمنة المؤلفة للنصوص الأدبية على وجه دون آخر، وترصد الطرق الأسلوبية التي تضاعف دلالات البنى وتكسب النصوص الأدبية لذتها وفتنتها وسلطتها وتكون مسؤولة عن أدبية الأدب، وتفسح المجال لتطوير الوعي الثقافي من جيل إلى آخر. وتبين الدراسة أنّ القراءة النقدية تضع الناقد أمام رسالته الحضارية لكي يتسنى له إعادة إنتاج الثقافة وتحويلها إلى أقصى درجات الوعي لمواكبة المناهج النقدية في عالم متغير. وتكشف أنّ النظرية الأسلوبية تحظى بموقع متفرد في النقد الحديث وتتمتع بطرق جمالية تسهم في قراءة النص الأدبي وبيان دلالاته وتجلياته. وتبيّن من خلال الدراسة أنّ النظرية الأسلوبية تعتمد على استراتيجيات بسطت نفوذها في مقاربة النص الأدبي وهي: الاختيار الأسلوبي، والتكرار الأسلوبي والبنية المهيمنة والاستبدال والمفعول الإيحائي والمبدع والرسالة والمتلقي.

٦- دراسة عبد الله العنبر (٢٠١٦). المناهج الأسلوبية والنظريات النصية. أظهرت الدراسة أن الأسلوبية صارت أسلوبيات، وترتب على ذلك اختلاف المناهج الأسلوبية في قراءة النص الأدبي، فقد تجاذبتها عناصر الثالوث النقدي (المبدع والنص والمتلقي)، وشكلت منطلقاتها في استطلاع فرادة النص الأدبي وبيان تجلياته المائزة. وبينت أن الجامع النصي بين المناهج الأسلوبية النظر للأسلوب على أنه عالم من الفرادة وتوظيف للغة على نحو خاص واختيار من البدائل اللغوية وبحث عن المعاني الإضافية (الفائض الدلالي). وكشفت أن الأسلوبية استراتيجية لاكتناه قوى إنتاج الدلالة التي تفجر طاقات اللغة وتموقع عناصرها في مواقع جمالية لم تعهد. وأظهرت أن النص الأدبي نسيج متماسك تتجاذبه (اللذة والمتعة والفراغ المعرفي ومجهول البيان وبؤر التوتر)، ويجتاح مواقع المؤتلف نحو بناء مختلف يقوده العدول المؤسس على الفرادة.

٧- دراسة علي زواري وأمجد بلخضر (٢٠١٧). منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق. تتطرق الدراسة إلى المنهج التحليلي الأسلوبي وإشكالية التطبيق، الذي تبرز إشكاليته في بيان الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء مقاربته النصوص

الأدبية بالمنهج الأسلوبي وما يعتمد عليه من آليات وإجراءات أثناء تطبيقها. وسعت الدراسة إلى إبراز أهم النقاط المتعلقة بفك هذا الإشكال، انطلاقا من تقرير المنهج الأسلوبي وأهميته، ثمّ التعريج على علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى، والاختلاف في بعض المصطلحات في علم الأسلوب، ما أدى إلى اختلاف المنطلقات أثناء التحليل. وأظهرت الدراسة أبرز الإشكالات التي تعترض المحلل الأسلوبي أثناء التطبيق، وأهم الأسباب الكامنة وراء ذلك.

٨- دراسة عبد الرحمن حاج علي (٢٠١٧). أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية. واشتملت على محورين أساسيين: المحور الأول تناول " الأسلوب" مصطلحاً نقدياً، في حين تطرق المحور الثاني إلى مدى تأثير المصطلح في قراءة النصوص التراثية وفق النظريات النقدية المعاصرة. وأظهرت الدراسة أن الكثير من النقاد المحدثين لم يتطرقوا إلى معالجة وتحليل التراث الأدبي واللغوي لأسباب عدة، منها وجود صعوبة في إسقاط المصطلحات النقدية المعاصرة على الأعمال التراثية، وانتشار مصطلحات التّعمية على الدرس النقدي واللغوي بعد التوجه نحو الاستيراد والترجمة. وبينت أنه لما كان من الأهداف الرئيسية للنقد خدمة الأدب وتوجيه الكتابة الأدبية نحو الأفضل، كان لزاماً على الكتاب والمبدعين مسايرة التطورات الحاصلة في الساحة الإبداعية، لكنهم وجدوا أنفسهم يبتعدون عن المعايير التي نشأ عليها الأدب العربي، ما وسع الهوة بين التراث والمعاصرة وقطع حبل الوصال بينهما، ولم يبق للمهتمين بالتراث إلا بعض المحاولات لإيجاد مرادفات مناسبة نوعاً ما لقراءة بعض النصوص التراثية. كما أظهرت الدراسة أن الجهود المبذولة لا تزال تتصف بالشتات وعدم تحقيق الفعالية المرجوة في ظل افتقار الدرس النقدي واللغوي العربي لنظرية واضحة، وأنه من خلال قراءة النصوص التراثية وفق نظريات نقدية معاصرة تمّ تحوير وتطوير هذه النظريات لترتكز على أصول ثابتة وتنفتح على تطورات موضوعية مدروسة بعناية، لا تابعة لطوارئ مستوردة.

- **التعليق على الدراسات السابقة:**

استفاد الباحث من الدراسات السابقة من حيث المناهج المستخدمة فيها، والمراجع التي اعتمدت عليها، إضافة إلى البيانات والمعلومات التي وردت فيها. كما استفاد الباحث من النتائج والتوصيات والاقتراحات التي خرجت بها تلك الدراسات.

وركز الباحث في دراسته هذه على أمر لم تتطرق إليه معظم هذه الدراسات، وهو اكتشاف خصائص لغة الخطاب التاريخي عبر مدة طويلة امتدت نحوا من خمسة قرون، عبر دراسة نموذج تاريخي واحد ورد في مصنفات خمسة من المؤرخين العرب في عصور متفاوتة.

لغة الخطاب التاريخي من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري:

أولا: نص محمد بن جرير الطبري من كتابه تاريخ الأمم والملوك:

١- وصف النص:

أفرد الطبري في تاريخه فصلاً للحديث عن وقعه فتح عمورية وقد عنون له بـ"ذكر الخبر عن فتح عمورية"[١]، فأفاض الحديث وأطال في ذكر هذه الواقعة، وسرد أحداثها ومجرياتها، مسجلاً بذلك الكم الأكبر بين النصوص محل الدارسة في تناول هذه الحادثة، ولعل هذا الإطناب من الطبري في ذكر تفاصيل معركة عمورية نابع من كونه قريب عهد بها، فالروايات التاريخية تظهر أن فتح عمورية وقع في عام ٢٢٣ هـ، أي قبل ولادة الطبري بعام واحد فقط[٢]. ما جعله من معاصري هذا الحدث، أو على الأقل من معاصري آثاره وتبعاته.

وقد كان لهذه المعاصر أثر بالغ في تناول الطبري لمعركة فتح عمورية، فالحالة المعنوية التي كان يعشيها الناس في ذلك العصر –نظراً لقربهم من سنه الفتح– تجعل المؤرخ يتردد في تجاوز أدق التفاصيل المتعلقة بالحدث، ناهيك عن أجلها وأعظمها، لاسيما وأن الطبري لم يُسبق إلى توثيق هذه الحادثة إلا من قبل أبو الحسن البلاذري في ورقات موجزة[٣]، فكان يكتب وهو يعلم أنه الأصل الذي سيبني عليه من سيأتي بعده، وأنه الموثق الأول لهذه الواقعة، فتطلب ذلك منه هذا السرد والإطالة.

أضف إلى ذلك أن الطبري قد بنى تاريخه هذا على منهجية الاستفاضة والتقصي لأدق التفاصيل التاريخية، حتى وصف بأنه من أمهات كتب التاريخ المطولة، فلا عجب إذاً أن يفرد فصلاً بهذا القدر من التفصيل والسرد لوقعة عمورية مقارنة بالنصوص المدروسة الأخرى، حتى أنها كانت هي الحدث الأبرز عند حديثه عن أحداث سنة ٢٢٣ هـ.

٢- المباني النحوية:

تعد المباني النحوية (نحو المباني) تطورا إيجابيا لنحو القواعد الذي تقف حدوده عند النظر في أحكام أواخر الكلمات، فيما يفتح نحو المباني المجال واسعا أمام الباحثين للانتقال من طور القاعدة إلى طور الاستعمال[٤]، وكشف أحكام نظم الكلام، وأسرار

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : سير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٤.

[٣] : فتوح البلدان: ٢٠٣.

[٤] : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٢٣-٢٢٤، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، د. عبد النبي هماني: ٢٣.

تأليف العبارات، وفقه العربية[1]. وأنبه هنا إلى أن هذا المبحث من الدراسة يتناول وصف المباني النحوية فقط دون الخوض في جوانب أخرى تتعلق بدلالات وتداوليات تلك المباني، أو غيرهما من المواضيع التي يمكن بحثها في هذا الميدان، وذلك انسجاما مع المنهج الذي انتهجته وبينت ملامحه في مقدمة الدراسة.

ومن المهم هنا أن يتعرف القارئ على الأسباب التي دفعت الباحث إلى دراسة المباني النحوية في النصوص المتناولة، والتي تلخصها الأسئلة الآتية:

١- هل تميزت المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي عن غيرها من المباني النحوية الأخرى في لغات الخطاب المختلفة؟

٢- أي الجمل (الفعلية أم الاسمية) كان لها الحضور الأكبر في نصوص الخطاب التاريخي؟

٣- هل تنوع الحشو داخل المباني النحوية في لغة الخطاب التاريخي؟

٤- هل كان لأي فعل من الأفعال الثلاثة (ماضي - مضارع - أمر) مساحة حضور أكبر من البقية في لغة الخطاب التاريخي؟

وبنظرة فاحصة يكتشف الباحث في نص الطبري أن المباني النحوية قد تنوعت تنوعاً واضحاً وملحوظاً، فقد راوح المؤلف بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في هذا النص، حتى أنك لو قلبت طرفك يمنة ويسرة في النص لا تكاد تجد فقرة قد خلت من هذه المراوحة، مع تفاوت في نسبة حضور كل منهما في كل فترة من فقرات النص. بيد أن الجملة الفعلية سجلت حضوراً كبيراً وفاعلاً في هذا النص، فهي الحاضر الأكبر على فقرات النص، ولعل هذا الكم الكبير من الجمل الفعلية في النص مرده إلى طبيعة المادة المناقشة فيه، فالطبري هنا يناقش مادة تاريخية، أي: أحداث حصلت وانقضت في الزمان الغابر، وطالما أنه حدث فمن الطبيعي أن يكون الفعل أبلغ من الاسم في الدلالة على هذه الأحداث، وأعمق أثراً في نفس القارئ في التعبير عنها[2]. ولهذا السبب أيضاً كانت الغلبة في معركة الأفعال للفعل الماضي في النص بشكل واضح، حتى أنه لا يكاد يخلو سطر في النص من فعلين ماضيين على الأقل، يقابل هذا حضور على استحياء

[1] : إحياء النحو: ٣.

[2] : البحث النحوي عند الأصوليين، ١٤٧، دلالة الفعل على الزمن في ديوان النابغة الذبياني (حوليات آداب عين شمس)، ٤٥٣، دلالة الألفاظ: ٣٢، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٩١.

للفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر، إذ لم يرد في النص إلا نادرا نحو: "فخل"[١]، "انصرفوا"[٢]، و"ادخلوا"[٣]. وقد كان المؤلف كثيراً ما يستعيض عن التعبير بأفعال الأمر الحاصلة في زمان الحادثة بهذه الصيغة (فأمر ...)، ومثاله من النص "فأمر المعتصم فضرب مضربة في ذلك الموضع"[٤]. فعوضت هذه الصيغة إلى حد كبير غياب فعل الأمر في النص.

وقد صاحب تنوع المباني النحوية عند الطبري تنوع في الحشو النحوي داخل هذه المباني على مستوى الجملتين الفعلية والاسمية، وجاء هذا التنويع في الجملة الفعلية عبر (الفعل والفاعل والمفعول به أحياناً)، وفي الجملة الاسمية عبر ركينها (المبتدأ والخبر)، ومن أمثلة تنوع حشو الجملة الفعلية في النص ما يلي:

"أمضى المعتصم الأفشين"[٥].

(فعل + فاعل + مفعول به)

"أخذوا عدة ممن كان في عسكر الملك"[٦].

(فعل + فاعل "ضمير متصل" + مفعول به)

"كتب إلى أشناس"[٧].

(فعل + فاعل "ضمير مستتر")

"يوافيه كتاب أمير المؤمنين"[٨].

(فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل)

"وكان أشناس قد أسر عدة أسرى"[٩].

(فعل ناسخ + اسمة + خبره)

"باتوا فيه"[١٠].

---

[١] : تاريخ الطبري: ٩/٦٠.

[٢] : نفسه: ٩/ ٦٦.

[٣] : نفسه: ٩/٦٨.

[٤] : نفسه: ٩/٦٣.

[٥] : نفسه: ٩/٥٧.

[٦] : تاريخ الطبري: ٩/ ٥٩.

[٧] : نفسه: ٩/٦٠.

[٨] : نفسه: ٩/٥٩.

[٩] : نفسه: ٩/٦٠.

[١٠] : نفسه: ٩/٦١.

(فعل ناسخ + اسمة "ضمير متصل" + خبره " جار ومجرور)
"فسر المعتصم"[١].
(فعل مبنى للمفعول + نائب الفاعل)
ومن أمثلة تنوع الحشو النحوي في الجملة الاسمية:
"والأفشين في الميمنة "[٢]. (مبتدأ + خبر "شبة جملة")
"أنا أجمع بينك وبين الحارث"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر جملة فعلية)
"بينهما سبع مراحل"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)
"أنه وارد"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل " + خبره)

ويلاحظ من الأمثلة السابقة التنويع الواضح في الحشو النحوي على مستوى الجملتين الاسمية والفعلية عبر التقديم والتأخير تارة، واستعمال الضمائر تارة أخرى، وقد أعطت هذه النماذج صورة عامة عن المباني النحوية في نص الطبري، واستعمالات أداتي الحشو والتنويع في المباني النحوية.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

على الرغم من أن المادة المناقشة في هذا النص مادة تاريخية، ومعلوم أن المادة التاريخية العمدة في جمعها وتقصيها على الرواية التاريخية المتناقلة من راو إلى راو آخر، إلا أن الناظر في هذا النص يلاحظ ندرة استعمال ألفاظ الرواية التاريخية فيه. وأعني بألفاظ الرواية التاريخية تلك الألفاظ التي يصدّر بها المؤلفون رواياتهم ونقولاتهم التاريخية، سواء كانت هذه النقولات حرفية أو ضمينه، مثل (رَوى – رُوي – أخبرنا – ورد في – سمعنا من – جاء في الخبر – عن "العنعنة" – ذكر – قال – قيل) والتي لم ترد عند الطبري إلا في مواضع نادرة، ومن ذلك ما جاء عند حديثة عن تاريخ وقعة عمورية مستخدما لفظة (قيل): "وفي هذه السنة شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم، وقيل كان شخوصه إليها من سامرا في سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل في سنة

[١] : نفسه: ٦٢/٩.
[٢] : نفسه: ٦٣/٩.
[٣] : نفسه: ٩/ ٦٦.
[٤] : نفسه: ٩/ ٦٣.
[٥] : نفسه: ٦٢/٩.

اثنتين وعشرين ومائتين بعد قتله بابك"[1]. ومنه أيضا استعمال لفظة "قال" عند إسناده رواية لـ(مالك بن كيدر): "قال مالك بن كيدر: فدعوا الناس كلهم، خذوا ما أخذتم، ودعوا الباقي، فترك الناس السبي والمقاتلة وانصرفوا راجعين يريدون عسكر أشناس"[2]. وأنت تلاحظ أن المرة الأولى كانت على وجه التشكيك "قيل"، والثانية على وجه الجزم "قال".

ولعل السبب في ندرة ألفاظ الرواية التاريخية في نص الطبري يرجع إلى المنهج الذي اختاره المصنف، فقد اعتمد في رواية الأحداث على صياغته الشخصية للحدث والخبر المنقول، حرصاً منه على تبسيط مادة النص للتناول والقراءة، وطرد السآمة والملل عن المستمعين والقراء، لا سميا إذا عرفنا أنه كان يملى تاريخيه هذا على تلاميذه في ظل تذمرهم من طوله وكبر حجمه، وهو ما أكده الذهبي في سيره إذ يقول: "عن القاضي أبو عبد الله القضاعي: حدثنا علي بن نصر بن الصباح، حدثنا أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمسار، وأبو القاسم بن عقيل الوراق: أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة"[3]. فكان من البديهي أن يعمد الطبري إلى مادة سهلة ميسرة بعيدا عن العنعنة، وكثرة ألفاظ الرواية التاريخية، وقد شجعه على ذلك كون المادة المنقولة ليست نصاً من النصوص المقدسة التي لا تقبل إلا عبر إيرادها كما هي دون إعادة صياغة، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي الشريف –عند من يرى بتوقيفية ألفاظه–[4].

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

بما أن الحديث في هذا النص يتعلق بمعركة عمورية فليس من المستغرب أن ترد في النص بعض الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالمعارك والحروب، خاصة ونحن نعلم أن لكل بيئة (صنعة) ألفاظها ومصطلحاتها الخاصة بها، والمعبرة بدلالاتها عن مكونات

[1] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[2] : نفسه: ٦٢/٩.

[3] : سير أعلام النبلاء: ٢٧٥/١٤.

[4] : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: ١٤.

هذه البيئة ومحتوياتها[1]، وقد أردت بهذا المصطلح (معجم الآلة الحربية) التعبير عن الألفاظ المتعلقة بالمعارك والحروب[2].

فكما أن للمحدثين معجما، وللوراقين معجما، وللزراعين معجما، وللبحارة معجما، فكذلك للحروب والمعارك معجمها الخاص، ولقد حفل النص بكم زاخر من ألفاظ هذا المعجم، حتى إنك لا تكاد تفقدها ولو في ورقة واحدة من أوراقه، وقد كانت بعض ألفاظ هذا المعجم عربية، وبعضها الآخر معرّباً، وكانت تذكر أحياناً استرسالاً في موضع واحد، وأحياناً أخرى تنثر في مواضع عدة بحسب ما يقتضيه سياق الحديث، ومن هذه الألفاظ:

– "تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط، من السلاح، والعدد، والآلة، وحياض الأدم، والبغال، والروايا، والقرب، وآلة الحديد والنفط"[3]. وقد وردت ألفاظ الحرب هنا استرسالا في فقرة واحدة.

– ("المقدمة"، "القلب"، "الميمنه"، "الميسرة")[4]، "فكمن"[5]، "عساكر"[6]، "المنجنيق"[7]، "كردوس"[8]، "دبابة"[9]. وأنت تلحظ في الألفاظ السابقة أنها تنوعت بين الأسماء (المفرد والجمع) والأفعال، وأن بعضها احتفظ بدلالته اللغوية التي تتفق مع دلالته الاصطلاحية (الحربية)، وبعضها الآخر لم تتفق دلالته الاصطلاحية مع اللغوية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

من العلامات البارزة التي يمكن أن تستوقف الباحث في هذا النص، كثرة الأعلام والألقاب والكنى التي أوردها الطبري، حتى إنك لتشعر في الوهلة الأولى، أنك تطالع مصنفا من مصنفات التراجم وسير الرجال. ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: لماذا كل هذا الكم من الأعلام والكنى والألقاب في النص؟

---

[1] : معجم ألفاظ الحرف والمهن في نابلس، ٢٢.

[2] : ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي، ١٢. شعر الحرب في العصر الجاهلي: ٦١.

[3] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[4] : نفسه.

[5] : نفسه: ٥٨/٩.

[6] : نفسه: ٦٣/٩.

[7] : نفسه: ٦٥/٩.

[8] : نفسه: ٥٨/٩–٦٢.

[9] : نفسه: ٦٥/٩.

والإجابة على هذا التساؤل تحتم علينا الرجوع إلى طبيعة المادة المتناولة في النص (المادة التاريخية)، فالمصنف هنا يؤرخ لأحداث وأبطال، ورواية المؤلف لوقائع معركة عمورية دون ربط كل فعل بصحابة ونسبته إليه تعد في ذلك العصر قصوراً في الكتاب، لاسيما أن مشاهد المعركة لازالت حاضرة في أذهان كثير من أبناء ذلك الجيل نظراً لقرب عهدهم بها، أو لقرب عهدهم بمن عاصرها، ما سيجعل عزل الأحداث عن محدثيها قصوراً في نظرهم، إضافة إلى أن فيه نوع من الإجحاف المتمثل في عزل الإنجازات عن منجزيها، هذا فيما يتعلق بالأسماء والألقاب والكنى المرتبطة بالمسلمين، أما فيما يتعلق بالألقاب والأسماء والكنى المرتبطة بجيش الروم، وكثرة ورودها، وتكرار بعضها في مواضع متفرقة، فلعل مرده إلى مشاعر الفخر والاعتزاز لدى أبناء ذلك الجيل من المسلمين بعد هذا الانتصار في معركة عمورية، وكأنه يقول: قتلنا قادة الروم العظام، فلان وفلان وفلان، أصحاب تلك الأسماء الرنانة، وهؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا يقهرون قد قهرناهم، وأذقناهم أصناف الذل والهوان. فكان ذكر هذه الأسماء مهما عنده، لأنه يعبر عن مدى المجد والنصر الذي حققه المسلمون.

ومما يدعم هذا التأويل ما سبق وذكرنها عند حديثنا عن غياب أفعال الرواية في النص، فقد قررنا أن المؤلف عزف عن ذكر أسماء الرواة والمخبرين كراهة الإطالة والسآمة، وخوفاً من الإثقال على القراء والمستمعين الذين أملى عليهم كتابه، فما الذي سيجعله هنا يتخلى عن هذا التحفظ على ذكر الأسماء غير ما ذكرنها من ارتباط تخليه عن تحفظه بمشاعر الفخر والاعتزاز بانتصار المسلمين وتفوقهم على أعدائهم.

وقد كثرت الأسماء والألقاب والكنى الأعجمية في النص، لكون هذه المعركة بين الروم وهم أعاجم، والمسلمين وفيهم كثير من قواد المعتصم الأتراك والفرس، إضافة إلى الأسماء والألقاب والكنى العربية الواردة في النص. ومما يستلطف هنا أن الطبري استوقفه –على كثرة ما ذكر من الأسماء الأعجمية– اسم أعجمي، ففسره في استطراد لغوي لطيف، وذلك حين قال: "رجلاً من قواد الروم يقال له (وندوا) وتفسيره بالعربية (ثور)"[1]. فلماذا حرص على تفسير هذا الاسم دون غيره من الأسماء الأعجمية الأخرى التي جاء على ذكرها؟

لعل الأمر هنا عائد إلى أحد الافتراضات الآتية:

[1] : تاريخ الطبري: ٦٧/٩.

الأول: أن يكون هذا التفسير جاء بشكل اعتباطي شاذ عن المنهجية التي سار عليها المصنف فيما يتعلق بتفسير الأسماء التي يوردها. وهذا الافتراض مستبعد جملة وتفصيلاً؛ لأن ما أبداه الطبري من منهجية منضبطة -إلى حد كبير- في مصنفه هذا تبطل هذا المذهب.

الثاني: أن يكون تفسيره لهذا الاسم تحديداً نابع من جهله بمعنى سواه، وهذا الافتراض مردود ومرفوض أيضاً؛ لأن موسوعية الطبري، ولطائفة الفريدة والرائعة التي يوردها في مؤلفاتها ترد هذا التأويل.

الثالث: وهو أن يكون إفراده هذا الاسم بالشرح والتفسير نابع من استلطافه لمعناه (ثور)، فأراد أن يملي معنى هذا الاسم الأعجمي على طلابه ليشاركوه هذا اللطيفة، والتي قد تكون مشوبة بشيء من التهكم. وهذا الافتراض أكثرها مقبولية.

وفي نهاية هذا المبحث أورد بعض الأسماء والأعلام والألقاب والكنى التي جاء على ذكرها الطبري في نصه محل الدراسة: "المعتصم"[١]، "أشناس"[٢]، "الفرغاني"[٣]، "عمرو"[٤]، "إيتاخ"[٥]، "الأفشين"[٦]، "خيذر"[٧]، "كاوس"[٨]، "أمير المؤمنين"[٩]، "الأسقف"[١٠]، "مالك بن كيدر"[١١]، "ياطس"[١٢]، "أبا العباس"[١٣].

٦- الوصف الخرائطي:

وأعني به الحديث عن المواقع الجغرافية المتناولة في مادة النص المدروس، سواء عبر الوصف التفصيلي الدقيق لها، أو عن طريق الإشارة إليها دون تفصيل. ومثل هذا

---

[١] : نفسه: ٥٧/٩.
[٢] : نفسه.
[٣] : نفسه: ٥٨/٩.
[٤] : نفسه: ٥٩/٩.
[٥] : نفسه: ٦٩/٩.
[٦] : نفسه
[٧] : نفسه: ٥٧/٩.
[٨] : نفسه: ٧٠/٩.
[٩] : نفسه: ٦٣/٩.
[١٠] : نفسه: ٥٨/٩.
[١١] : نفسه: ٦٠/٩.
[١٢] : نفسه: ٦٤/٩.
[١٣] : نفسه: ٦٦/٩.

الوصف لا يستغرب أن يقع عليه الباحث في كتب الجغرافيا العربية مثلاً، أو كتب تاريخ البلدان والمدن، ولكن الذي قد يستغرب هو ظهور مثل هذا الوصف وبشكل واضح، عبر مساحات واسعة في كتب التاريخ والحوادث، غير أن هذا الحضور البارز للوصف الخرائطي في نص الطبري له ما يبرره، فكما هو معلوم أن النص يتناول وقعة عموريه، وهي وقعه حصلت في بقعة من بقاع الأرض، والمعتصم حين قصد فتحها والمسير إليها خرج من بقعة أخرى، وأثناء هذا المسير كان المرور على عدد من المدن والبلدان، والمؤلف في كل هذا بمنزلة الصحفي –وفق مفهوم هذا العصر– المرافق لوفد عسكري يرصد تحركاته، ويصف خطواته ومراتعه، فكان من المهم جداً عنده وصف هذه البقاع والمدن التي شملتها المعركة، ودارت أحداثها فيها.

وحُقَّ لسائل أن يسأل هنا لماذا أكثر الطبري من استخدام (الوصف الخرائطي) مقارنة بالنصوص الأخرى المتناولة في هذا البحث، على الرغم من أن المبرر الذي سقناه في الفقرة السابقة منطبق تماماً على كل المؤرخين الذين أرخوا لهذه المعركة، ودونوا أحداثها؟

والجواب على هذا التساؤل من وجهين:

الأول: ما قررناه في مبحث سابق فيما يتعلق بقرب عهد الطبري من هذه المعركة وعمق أثرها في نفسه، وأثرها في نفوس أبناء ذلك العصر بصورة عامة، والتي كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لهم، ما انعكس على اهتمامهم بأخبار هذه الواقعة، والحرص على أدق تفاصيلها، والخريطة المكانية لبقاع وساحه المعركة تعد ضمن هذه التفاصيل المشمولة بالعناية والمتابعة.

الثاني: وضع المنهج الذي اعتمده الطبري في الحسبان، والذي كان يعتمد الإطناب والحرص على التقصي ومتابعة أدق تفاصيل الأحداث التي يؤرخ لها، فكان من البديهي أن يلتفت إلى كثير من التفاصيل التي يزهد فيها غيره من بعض المؤرخين تبعاً لمناهجهم في الكتابة، ومن أبرز هذه التفاصيل (الوصف الخرائطي) لساحه وميادين المعركة، والتي أكد المصنف من خلالها دقته في الوصف والتجسيد، حتى إنك لتشعر أحياناً وأنت تقرأ بعض هذه الأوصاف بأنك جندي من جنود هذه المعركة، أو حتى قائد من قوادها؛ لأنه يصور لك المكان والموقع وكأنك تراه، وفيما يأتي طرف من نماذج الوصف الخرائطي الواردة في النص:

– "ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللمس، وهو على سلوقية قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وأمضي المعتصم الأفشين خيذر بين كاوس إلى سروج، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدث"[٢].

– "حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"[٣].

– "فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل، وبرز معه من نشط من الناس، ثم برز فضرب دابته بالسوط، فركض قريبا من ميلين ركضا شديدا، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه"[٤].

– " فأخبروهم أن الملك كان معسكرا على أربعة فراسخ من اللمس، حتى جاءه رسول، أن عسكرا ضخما قد دخل من ناحية الأرمنياق"[٥].

– "فوجه خلف الضياع فبنى وجه السور بالحجارة حجراً حجراً، وصير وراءه من جانب المدينة حشواً، ثم عقد فوقه الشرف كما كان"[٦].

والملاحظ من هذه الأمثلة مدى الدقة والبراعة التي تجلت عند الطبري عبر وصفه وتجسيده لمواقع المعركة وميادينها، حتى وكأنه لا يتكلم وإنما يرسم مجموعة فريدة من الخرائط والرسومات المعبرة عن مواقع القتال، وقد استعان بأدوات عدة في وصفه الخرائطي للمعركة، من أبرزها (ظروف المكان، أسماء المدن والبلدان، أسماء الأنهار والقرى والدروب، وأدوات القياس مثل: مرحلة – فرسخ – ميل).

ثانيا: نص أبي الحسن علي المسعودي من كتابه مروج الذهب:

٢– وصف النص:

لم يفرد المسعودي مساحة واسعة للحديث عن معركة عمورية، بل نراه اختزل الحديث عن هذه الحادثة في ورقة واحدة فقط، حتى أنه لم يجعل هذه الورقة خالصه تماماً للحديث عن وقعة عمورية، ولكنه استقطع ربعها الأول لإتمام حديث في موضوع

---

[١] : تاريخ الطبري: ٥٧/٩.

[٢] : نفسه.

[٣] : نفسه: ٦٠/٩.

[٤] : نفسه:

[٥] : نفسه: ٦١/٩.

[٦] : نفسه.

سابق. ويعد هذا الاختزال اختزال مبرر ومقبول، إذ أن المسعودي يكتب بمنهجية تخالف منهجية الطبري في تاريخه، والذي كان يقصد الإطالة وتتبع التفاصيل عند تناوله الأحداث التاريخية، وجعل القارئ محيطاً بجميع جوانب الحادثة المتناولة، في حين أن المسعودي تجاوز هذا كله إلى مصنف يجد فيه الفاحص حضوراً لمعظم الأحداث التاريخية مع التضحية ببعض الجزئيات والتفاصيل العامة على حد تقدير المؤلف، فالحوادث المتناولة في الكتابين تكاد تكون واحدة، لكن الفرق في منهجية تعامل كل من المؤلفين مع هذه الوقائع والأحداث.

وهذه المنهجية هي التي دفعت المسعودي إلى عدم تخصيص عنوان مفرد ومستقل لوقعة عمورية، فتراه أوردها أثناء حديثه عن حوادث سنه ٢٢٣ هـ دون ذكر ميزة لها على حوادث ذلك العام، ولعل السبب في ذلك –إضافة إلى ما ذكرناه– التقدير الشخصي للمصنف، فالطبري قدر في أن معركة عمورية حدث بالغ الأهمية، وجدير بأن يكتب بحروف من ذهب تخليداً له في ذاكرة الأجيال، وشغلت هذه الفكرة حيزاً من تفكيره، وظهرت بالتالي عبر إطنابه في ذكر تفاصليها الموقعة، فيما قدر المسعودي أن هذا الحدث وإن كان بالغ الأهمية إلا أنه من الممكن الاختصار فيه واختزال بعض تفاصليه دون المساس بأهميته.

٢– المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند المسعودي متنوعة مبنى وحشواً، مبنى عبر المراوحة بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وحشواً عبر التغيير الداخلي في أركان كل جمة على حدة. ففي الجملة الفعلية جاء التغيير على مستوى ركنيها الفعل والفاعل وأحيانا المفعول به، وفي الجملة الاسمية على مستوى ركنيها المبتدأ والخبر، وكان التغيير في حشو كلا الجملتين يظهر من خلال عدة صور، من أبرزها: التقديم والتأخير، والظهور والاستتار في بعض أركانها، فيما سجلت الجملة الفعلية حضوراً أوسع من حضور الجملة الاسمية، وكان الفعل الماضي كان هو صاحب الحضور الأكبر، في ظل وجود منافسة ضعيفة من الفعل المضارع، وغياب تام لفعل الأمر. وفيما يأتي بعض نماذج تنوع المباني النحوية على مستويي التركيب والحشو:

الجملة الفعلية:

– "خروج المعتصم". (فعل + فاعل)

- "فتح المعتصم حصوناً". (فعل + فاعل + مفعول به)
- "تعمم بعمامة". (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + جر ومجرور متعلق بالفعل)
- "جعل على مقدمته أشناس". (فعل + جر ومجرور + فاعل)
- "أراد المسير". (فعل + فاعل " ضمير مستتر" + مفعول به)
- "يتلوه محمد". (فعل + مفعول به "ضمير متصل" + فاعل مؤخر)
- "نُصبت الأعلام". (فعل مبني للمفعول + نائب فاعل)
- "نودي في الأمصار". (فعل مبني للمفعول + جر ومجرور)
- "كان الأفشين قصر عن أخذ الملك". (فعل ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "فلم يكن يحصي الناس العدد". (فعل ناسخ + خبر "جملة فعلية" + اسمه)

الجملة الاسمية:

- "هو ملك". (مبتدأ + خبر)
- "الملوك يبقي بعضها على بعض". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "فالمكثر يقول". (مبتدأ + خبر "جملة فعلية")
- "أن ناساً قد بايعوه". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")
- "وأنه كاتب". (حرف ناسخ + اسمه "ضمير متصل" + خبره "جملة فعلية")

ونسجل أخيراً ملاحظة مهمة، وهي أن المباني النحوية رغم تنوعها في النص إلا أنها كانت بعيدة كل البعد عن التعقيد والتكلف، بل كانت بسيطة وميسرة، مجارية لمادة النص وطبيعته.

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

إن من أبرز الملاحظات التي يمكن تدوينها في حق هذا النص هي غياب ألفاظ الرواية التاريخية بشكل تام عنه، ليس هذا وحسب، بل إن المؤلف لم يشر حتى ولو إشارة بسيطة إلى ما يعبر عن هذه الألفاظ، ومن الممكن هنا أن نرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور:

- المنهج الذي تعامل به المؤلف مع الروايات التاريخية وأسانيدها، إذ اعتمد حذف الأسانيد (العنعنة) من الروايات وإيرادها مجردة من أسماء رواتها ومحدثيها، ويكفي للوقوف على ذلك قراءة أي حادثة من الحوادث التي أرخ لها المسعودي في كتابه هذا.

– الصياغة الشخصية للأحداث والوقائع، والتي اعتمد عليها المسعودي كثيراً، فهو ينقل الرواية التاريخية معنى لا نصاً، في اعتماد ملحوظ على أسلوبه الذاتي، والذي هو بالتأكيد أقرب إلى أذهان أبناء جيله من أن يسوق لهم رواية تاريخية بشكل نصي.

– ميل المسعودي إلى الاختصار بشكل عام، فقد ألف مصنفه هذا معتمدا على الإيجاز في السرد، وقد يكون نزوع المؤلف إلى الاختصار مرده إلى رغبته بأن يكون كتابه مادة ميسرة لطلاب العلم، لا سيما الناشئة منهم، فنراه أقرب ما يكون إلى كونه كتابا تعليميا يسهل على العامة قراءته وتناول مادته العلمية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

لو أنَا قيمنا ألفاظ معجم الحرب الواردة في النص مقارنة بحجمه لوجدنا أن نستبها مرتفعة جداً، فقد ورد في النص خمس وعشرون لفظة من ألفاظ الحرب، أي بمعدل لفظة لكل سطر، وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، وكان لكل منها دلالته الخاصة ذات الصلة بالحروب مع احتفاظ بعضها بدلالتها اللغوية الأصلية، ومن ألفاظ الحرب الواردة في النص: (نافراً – دُرَّاعة – الغزاة – عسكر – الأعلام – النفير – المطوعة – مقدمته – ميمنة –ميسرته – ساقته – القلب – الثغور – فحاربه – هزمه – قتل – حماه – فتح – حصوناً – أسر – يهدم – يحرق – المسير).

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

لا نبحث عند حديثنا عن الأعلام والكنى عن عدد هذه الأسماء ومقدار حضورها في النص، بل نبحث في الدرجة الأولى عما إذا كان وجودها يعد ميزة من مزايا لغة الخطاب التاريخي أم لا. وقد ورد في نص المسعودي عدد من الأسماء العربية والأعجمية، وهي أسماء بعض المشاركين في معركة عمورية من قادة وجنود، كما وردت بعض الألقاب المرتبطة ببعض المشاركين في هذه المعركة، فيما غابت الكنى بشكل تام عن النص. ومن أمثلة الأعلام والألقاب ما يأتي:

الأعلام العربية:

(المعتصم – محمد بن إبراهيم – العباس).

الألقاب العربية:

(أمير المؤمنين – الخياط).

الأعلام الأعجمية:

(أشناس – إيتاخ التركي – لاوى – ياطس – البطريق – الأفشين).

٦- الوصف الخرائطي:

السبب في وضع مبحث (الوصف الخرائطي) ضمن مباحث الدراسة هو كونه يضم في طياته منظومة من الألفاظ ذات الدلالة الخاصة، ومجموعة من الأدوات والأساليب اللغوية المرتبطة به، هذا من جانب، ومن جانب آخر الرغبة في معرفة مدى الارتباط بين الوصف الخرائطي ولغة الخطاب التاريخي. وقد ورد في نص المسعودي عدة مواضع تدخل ضمن هذا المبحث، منها:

- "ونصبت الأعلام على الجسر".
- "فعسكر في غربي دجلة".
- "وسار المعتصم من الثغور الشامية، ودخل من درب السلامة، ودخل الأفشين من درب الحدث، ودخل الناس من سائر الدروب".
- "وأراد المسير إلى القسطنطينية والنزول على خليجها، والحيلة في فتحها براً وبحراً".

والملاحظة الأبرز التي يمكن رصدها عبر استعراض الأمثلة السابقة هي غياب (الوصف الخرائطي) العميق كما شاهدناه في نص الطبري، وكذلك ندرة ظروف المكان، والتي تعد من أهم أداوت (الوصف الخرائطي) التي يمكن للمؤلف الاعتماد عليها، كذلك كثرة استعمال الجار والمجرور في جمل الوصف، واستعانته بأسماء المدن والدروب وبعض الأنهار، وأسماء الجهات.

ثالثا: نص ابن الجوزي من كتابه المنتظم تاريخ الملوك والأمم:

١- وصف النص:

يعد كتاب المنتظم من أمهات كتب التاريخ في الحضارة الإسلامية، ومن الكتب المميزة في الموروث التاريخي للعرب. والحق أن هذا التميز لم يكن وليد الصدفة؛ بل هو وليد منهجية منضبطة سار عليها ابن الجوزي في تصنيفه لهذا الكتاب، والتي اعتمد فيها على البسط والإطناب في تتبع الحوادث التاريخية وتوثيقها، إضافة إلى ما عرف عن ابن الجوزي من العناية الشديدة بمصنفاته، والحرص على ظهورها بأحسن صورة. ومن هنا كان حديث المصنف عن معركة عمورية فيه شيء من البسط والإطالة، دون إفراد فصل مستقل لها، فقد ساق الحديث عنها سرداً ضمن حوادث ذلك العام. ومن

الامور التي يمكن ملاحظتها عند ابن الجوزي دون غيره من عينة الدراسة الاستطراد في بعض المواضع، كذكره لقصة يعقوب بن جعفر[١]، وحبس المعتصم للعباس بن المأمون[٢]. كما أن نص ابن الجوزي، تميز بإيراد بعض الأبيات الشعرية التي نظمت بمناسبة بعض أحداث هذه المعركة، ومن ذلك إيراده لأبيات محمد بن عبد الملك الزيات التي قالها في فتح عمورية[٣]، ولبيت ردده المعتصم[٤]، ولا شك أن هذه الإيرادات الشعرية كان لها دور فاعل في النص على مستوى التوثيق وتعزيز مصداقية النقل من جانب، ومن جانب آخر على مستوى تخفيف ثقل المادة التاريخية التي قد يكون الاسترسال فيها مورثا للسآمة والملل، ما يجعل إضافة مثل هذه التعليقات الأدبية مناسبا في هذا المقام.

٢- المباني النحوية:

سجلت الجملة الفعلية حضوراً لافتا (كماً ونوعاً) في النص، فيما تراجعت الجملة الاسمية في المقابل، مع احتفاظها بالتنوع على مستوى الحشو النحوي، وقد كان الفعل الماضي هو الحاضر الأكبر في النص، في حين أن ندرة حضور فعل الامر ظلت مستمرة، مع ملاحظة الحضور المحتشم للفعل المضارع، وفيما يأتي أمثلة على المباني النحوية في النص:

الجملة الفعلية:

- "بعث الأفشين"[٥]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "أمر المعتصم أشناس"[٦]. (فعل + فاعل + مفعول به)
- "أحضر القضاة"[٧]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به)
- "فأمره"[٨]. (فعل + فاعل "ضمير مستتر" + مفعول به "ضمير متصل")
- "فإن أردت الخروج"[١]. (فعل مضارع سبق بناصب + فاعل مستتر + مفعول به)

---

[١] : المنتظم: ٨٢/١١.
[٢] : نفسه: ٨٣/١١.
[٣] : نفسه: ٨٤/١١.
[٤] : نفسه: ٧٨/١١.
[٥] : نفسه: ٧٩/١١.
[٦] : نفسه.
[٧] : نفسه.
[٨] : المنتظم: ٧٩/١١.

– "كان السبب في ذلك تضييق الأفشين"[٢]. (فعل ناسخ + جار ومجرور + اسمه + خبره)

– "كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين"[٣]. (فعل ناسخ + اسمه + خبره "شبه جملة")

– " فطرحت الجلود"[٤]. (فعل "مبني للمفعول" + نائب فاعل)

الجملة الاسمية:

– "هي وقف"[٥]. (مبتدأ "ضمير" + خبر)

– "وهم يتقدمون"[٦]. (مبتدأ "ضمير" + خبر "جملة فعلية")

– "الرجل ممكن"[٧]. (مبتدأ "اسم ظاهر" + خبر "اسم ظاهر")

– "في دار لي"[٨]. (مبتدأ "ضمير مستتر" + خبر "شبه جملة")

– "أن العباس دسّ رجلاً"[٩]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره "جملة فعلية")

– "لكن أشهد الله أني جعلت"[١٠]. (حرف ناسخ + اسمه "ضمير مستتر" + خبره "جملة فعلية")

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

بدى واضحاً أن ابن الجوزي تجنب الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالأحداث التاريخية، وتجلى ذلك عبر عزوفه عن ذكر أي من (ألفاظ الرواية التاريخية) رغم ما قررناه في مبحث سابق من أن المادة التاريخية العمدة فيها على الرواية، إذ لم يرد في النص ذكر لها إلا في موضعين، مرة عند الحديث عن تاريخ خروج الجيش الإسلامي حين قال: "وقيل: كان ذلك في سنة اثنين وعشرين. وقيل: سنة أربع وعشرين"[١١]، ومرة

---

[١] : نفسه: ٧٨/١١.

[٢] : نفسه: ١١/ ٧٨–٨٣.

[٣] : نفسه: ١١/ ٨١.

[٤] : نفسه: ٨١/١١.

[٥] : نفسه: ٨٣/١١.

[٦] : نفسه: ٨٢/١١.

[٧] : نفسه: ٨٣/١١.

[٨] : نفسه.

[٩] : نفسه.

[١٠] : نفسه.

[١١] : المنتظم: ٧٩/١١.

أخرى عند روايته لحكاية يعقوب بن جعفر بالسند حين قال: "وروى أبو بكر الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني يعقوب بن جعفر بن سليمان ..."[1].

ولسائل هنا أن يسأل لماذا سلك المؤلف هذا المسلك في تعامله مع ألفاظ الرواية التاريخية رغم أنه اعتمد منهجية الإطناب والإطالة في تأليفه لهذا المصنف؟

ولعل السبب في ذلك هو أن المصنف قد اعتمد منهجية الإطالة الموجهة، فجاء تهميشه لألفاظ الرواية التاريخية انطلاقاً من كونها –في تقديره– لن تقدم أو تأخر في المادة التاريخية المطروحة، فكان التخلي عنها هو الأولى.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

يعد نص ابن الجوزي أكثر نصوص عينة الدراسة إيرادا لألفاظ معجم الحرب، إذ كان حضورها في النص لافتا، وكما قلنا عند حديثنا عن النصوص السابقة أن هذا الحضور غير مستغرب البتة، لكون الحديث هنا عن معركة عمورية، فكان من المتوقع شغل هذه الألفاظ لمساحة واسعة في النص. ومن أمثلة هذه الألفاظ:

– ("السلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والحمير والبغال والروايا والقرب وآلة الحرب، والحرير والنفط"، "الدم")[2].

– ("ضربت عنقه"، " فأسرهم وخرب بلدهم "، " فأغار"، " حصون "، "مقاتلة")[3].

وقد تنوعت هذه الألفاظ بين الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة) والمصادر أحياناً، فيما كان بعض تلك الألفاظ يحمل دلالة لغوية واصطلاحية واحدة، وبعضها الآخر اختلفت دلالتها اللغوية عن دلالتها الاصطلاحية ذات الصلة بمعجم الآلة الحربية.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

ورد في النص العديد من الأعلام والألقاب والكنى، وقد كان بعض هذه الأعلام والألقاب عربيا، وبعضها الآخر أعجميا، أما الكنى فقد كانت عربية خالصة، ولم يرد في النص أي كنية أعجمية، وقد عبرت الأعلام والألقاب والكنى العربية عن جيش المسلمين، أما الأعلام الأعجمية فقد عبر جزء منها عن جيش المسلمين (قواد المعتصم

[1] : نفسه: ٨٢/١١.

[2] : نفسه: ٧٧/١١.

[3] : نفسه: ٧٨/١١.

من الفرس والأتراك)، وعبر جزؤها الآخر عن جيش الروم الذي لاقاه المعتصم في هذه الواقعة. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

- ("توفيل"، "ميخائيل"، "الأفشين"، "بابك"، "جعفر"، "دينار"، "إيتاخ"، "ملك الروم"، "عجيف"، "عنبسة"، "المعتصم")[1].
- ("أشناس"، "محمد"، "إبراهيم"، "الصولي"، "البطريق")[2].
- ("أبوبكر"، "السمرقندي"، "الحارث"، "العباس")[3].

ولعل التساؤل المهم طرحه هنا هو: لماذا تم إضافة هذا المبحث (الأعلام والألقاب والكنى) ضمن مباحث الدراسة؟

ويكفي للإجابة على هذا التساؤل أن نشير إلى الثمرة المرجوة من تناول هذا المبحث، وهي: الكشف عن مدى ارتباط (الأعلام والألقاب والكنى) بلغة الخطاب التاريخي، والبحث عما إذا كان من الممكن عدها من العلامات البارزة التي تميز بها الخطاب التاريخي؟

٦- الوصف الخرائطي:

يمكن الربط بين منهجية الكاتب التي اعتمدها في التأليف وبين حجم مواضع (الوصف الخرائطي) في النص، فكلما كانت منهجية المؤلف قوامها البسط والإطالة كانت رقعة الوصف الخرائطي أوسع في النص، أما إذا كانت منهجيته مرتكزة على الاختصار والإيجاز كانت رقعة الوصف الخرائطي -على الأغلب- أضيق.

وهذا تماماً ما يؤكده تتبع مواضع الوصف الخرائطي في نص ابن الجوزي، والتي حظيت بشيء من البسط والتوسع على امتداد النص تبعاً للمنهجية التي اعتمدها المصنف. وفيما يأتي بعض الأمثلة:

- ("عسكر في غربي دجلة"، "ووجه عجيف بن عنبسة في جماعة من القواد إلى زبطرة")[4].
- ("فدخل بلاد البروم، فأقام على سلوقية قريباً من البحر"، "ودبر النزول على أنقرة"، "وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طرطوس")[1].

---

[1] : المنتظم: ٧٨/١١.
[2] : نفسه: ٧٩/١١.
[3] : نفسه: ٨٣/١١.
[4] : نفسه: ٧٨/١١.

– ("حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل"، "وبين كل عسكر وعسكر فرسخان"، "فصار لكل قائد ما بين البرجين إلى عشرين برجاً")[٢].

ويمكنك هنا ملاحظة أن المؤلف قد استعان في وصفه الخرائطي بمجموعة من الأدوات أبرزها: (الظروف المكانية، أسماء المدن والقرى والبلدان، أسماء الجهات، أسماء الأنهار).

رابعا: نص ابن الأثير من كتابه الكامل في التاريخ:

١– وصف النص:

من المهم هنا أن أشير إلى أن ما قلناه عند وصفنا لنص الطبري صالح –إلى حد كبير– لتعميمه على نص ابن الأثير، فالقواسم المشتركة بين النصيين كثيرة، وهذا ما أكده ابن الأثير في مقدمته حين شرع في شرح منهجيته ومصادره في تصنيف هذا الكتاب إذ يقول: " فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا.

ولا أقول إني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ، فإن من هو بالموصل لا بد أن يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب، ولكن أقول إنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك. فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة ... وإنما اعتمدت عليه –الطبري– من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا"[٣].

إذا علم هذا فلتعلم أن ابن الأثير قد أطال وفصل في سياق حديثه عن وقعة عمورية، لأنه أراد كتابه هذا كاملا كما أسماه، فأراده كاملاً في استعراضه لحوادث العصور والأزمان، وكاملاً في تقصيه لتفاصيل هذه الحوادث، وما فتح عمورية إلا حادثة من هذه الحوادث، تخضع للمنهجية ذاتها التي حددها ابن الاثير. وقد أفرد عنواناً مستقلاً

---

[١] : المنتظم: ٧٩/١١.

[٢] : نفسه: ٨٠/١١.

[٣] : الكامل: ٦/١–٧.

للحديث عن عمورية، جمع تحته شتات أحداث هذه الموقعة، وهو منهج اختاره ابن الأثير وسار عليه، وقد أثبته في مقدمته حين قال: "على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصبا واللآلي. ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض"[١].

٢- المباني النحوية:

جاءت المباني النحوية عند ابن الأثير في نصه هذا متنوعة على المستويين (الداخلي والخارجي)، وأعني بالمستوى الداخلي: تنوع الحشو النحوي داخل الجملة الواحدة، وبالمستوى الخارجي: المراوحة بين الجملتين الاسمية والفعلية. غير أن الجملة الفعلية استمرت في فرض سيطرتها على النص كما كانت مسيطرة في النصوص السابقة، وكذلك على مستوى الأفعال كان الفعل الماضي هو الحاضر الاكبر في النص، وقد استخدم المؤلف لتحقيق التغيير في المستوى الداخلي للجملة التقديم والتأخير أحيانا، والظهور والاستتار أحيانا أخرى. وفيما يأتي بعض الشواهد من النص:

الجملة الفعلية:

- "وأمضى المعتصم الأفشين"[٢]. (فعل متعدي + فاعل ظاهر + مفعول به ظاهر)
- "رحل المعتصم"[٣]. (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "جمع العساكر"[٤]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به ظاهر)
- "فأشهدهم"[٥]. (فعل متعدي + فاعل مستتر + مفعول به "ضمير متصل")
- "لم يعرض لها أحد"[٦]. (فعل مسبوق بجازم + جار ومجرور + فاعل مؤخر)

---

[١] : الكامل: ٦/٧.
[٢] : نفسه: ٦/٣٩.
[٣] : نفسه.
[٤] : نفسه: ٦/٣٨.
[٥] : نفسه.
[٦] : نفسه: ٦/٣٩.

– "يكون اجتماعهم فيه"[١]. (فعل مضارع ناسخ + اسمه "ظاهر" + خبره "ظاهر")

الجملة الاسمية:

– "وهو جالس"[٢]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر)

– "وهي عين النصرانية"[٣]. (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبر "مضاف ومضاف إليه")

– "ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا"[٤]. (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر)

– "أن الملك مقيم"[٥]. (حرف ناسخ + اسمه + خبره)

٣– ألفاظ الرواية التاريخية:

لم يستعمل ابن الأثير في نصه هذا أيا من (ألفاظ الرواية التاريخية)، إلا في موضع واحد عند حديثه عن تاريخ خروج المعتصم من (سر من رأى) حين قال: "فسار المعتصم من سر من رأى، وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين، وقيل سنة أربع وعشرين"[٦]. والسبب في هذا دون شك يعود إلى الأسلوب الذي اعتمده المؤلف في مصنفه هذا، والذي يتضمن استبعاد الألفاظ غير ذات العلاقة المباشرة بالمادة التاريخية المطروحة، لاسيما بعد ما قررناه في مبحث (وصف النص) من تأثر ابن الأثير بالطبري في أسلوبه ومنهجيته، إذ لم يكن لكليهما عناية بألفاظ الرواية التاريخية.

٤– معجم الآلة الحربية (الحرب):

كثر إيراد ألفاظ (الآلة الحربية) في النص، وهذا أمر لا يستغرب نظراً لما قررناه في مباحث سابقة بأن الحديث هنا عن معركة، فلا غرابة في أن تكون الألفاظ المعبرة عن بيئة المعركة حاضرة في النص، ولكن اللافت في نص ابن الأثير هو تكراره لبعض هذه الألفاظ تكرارا محظا أحيانا، وتكرارا جزئيا أحيانا أخرى، نحو: "سير – مسير – عسكر – عساكر – معسكر – يتجهز – جهازاً – جهزه"[٧]. وقد يكون هذا التكرار سببه سياق الكلام الذي اضطر المصنف أحياناً إلى التكرار، وقد يكون سببه

---

[١] الكامل: ٣٩/٦.

[٢] : نفسه: ٣٨/٦.

[٣] : نفسه: ٣٩/٦.

[٤] : نفسه: ٣٨/٦.

[٥] : نفسه: ٣٩/٦.

[٦] : نفسه: ٣٩/٦.

[٧] : نفسه.

أسلوب المؤلف وطريقة اختياره للألفاظ، لا سيما ونحن نعلم أن تاريخ الطبري –وهو النموذج الذي سار عليه ابن الأثير في كامله– لم يضطر إلى التكرار بالشكل الذي نجده عند ابن الأثير. وقد تنوعت ألفاظ (المعجم الحربي) في النص، إذ تضمنت الأفعال والأسماء (المفردة والمجموعة)، فيما جاء بعضها عربياً وبعضها الآخر أعجميا. ومن أمثلتها في النص:

– ("أسيرة"، "النفير"، "وسمط خلفه شكالاً"، "سكة حديد"، " القواد "، "أمنع وأحصن")[1].

– ("فارس"، "سرية")[2].

– ("الأرمنياق"، "حياض الأدم"، "ظفر")[3].

ويلاحظ هنا أن معظم الألفاظ السابقة اتحدت دلالتها اللغوية والاصطلاحية في الدلالة على مدلولات ذات صلة بالحروب والمعارك.

٥– الأعلام والألقاب والكنى:

سجلت أسماء الأعلام والألقاب حضوراً واسعا في النص، فيما غابت الكنى عن النص، وقد تنوعت هذه الأعلام بين العربي والأعجمي، والألقاب كذلك. ومن أمثلتها:

– ("محمد بن إبراهيم"، "خليفة"، "إيتاخ"، " ملك الروم"، "المعتصم")[4].

– ("الحارث"، "البطريق"، "أشناس"، "الأفشين"، "السمرقندي")[5].

وقد ظهر هنا اعتماد ابن الأثير لتاريخ الطبري مصدرا رئيسا في نقل وقائع معركة عمورية، وذلك عبر التشابه الكبير في الأعلام والألقاب المتناولة عند كل منهما، بل إن ابن الأثير لم يفسر أي علم أعجمي إلا ذلك العلم الذي فسره الطبري بـ(ثور) في العربية، إذ قال: "وكان البطريق الموكل بهذه الناحية (وندوا)، وتفسيره ثور"[6].

٦– الوصف الخرائطي:

استرسل ابن الأثير في وصف البقاع والبلدان التي قصدها الجيش الإسلامي، وكذلك ميادين وساحات المعركة، وقد تميز هذا الوصف بالدقة، حتى إن القارئ ليقف عند

---

[1] : الكامل: ٣٨/٦.

[2] : نفسه: ٣٩/٦

[3] : نفسه: ٤٠/٦.

[4] : نفسه: ٣٧/٦–٣٩.

[5] : نفسه: ٤٣/٦.

[6] : نفسه.

بعض مواضع (الوصف الخرائطي) في النص وكأنه يشاهد صورة (فوتوغرافية) لا كأنه يقرأ وصفاً لبقعة أو مكان، هذا وقد اعتمد المؤلف في صياغة (الوصف الخرائطي) على عدة أدوات، منها: (ظروف المكان، أسماء البلدان، أسماء الأنهار، أسماء الدروب، أسماء الجهات). ومن أمثلة الوصف الخرائطي في النص:

– " فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن، وهو على سلوقية، قريباً من البحر، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم"[١].

– "وساروا حتى خرجوا من الغيضة، وسار بهم الشيخ حتى أتى جبلا، فنزله ليلا، فلما أصبحوا قال الشيخ: وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل، فينظرا ما فوق"[٢].

– "ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر: عسكر فيه أشناس في الميسرة، والمعتصم في القلب، وعسكر الأفشين في الميمنة، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمر كل عسكر أن يكون له ميمنة وميسرة"[٣].

ثالثا: نص ابن كثير من كتابه البداية والنهاية:

١ – وصف النص:

على الرغم من أن ابن كثير قد اعتمد –عند تصنيفه للبداية والنهاية– منهجية البسط والإطالة في تتبع الحوادث على مر العصور، إلا أن حديثه عن معركة عمورية جاء غاية في الاختصار مقارنة بما ورد عند أصحاب كتب التاريخ المطولة الأخرى، فقد جاء الحديث عن معركة عمورية في البداية والنهاية في ورقتين وزيادة، مع إفراد فصل للحديث عنها، وقد عنون لهذا الفصل بـ "فتح عمورية على يد المعتصم". ولعل السبب في ذلك هي الوسطية التي اختارها ابن كثير لتحكم منهجية تأليفه، فقد كان حريصاً على أن يؤرخ لأكبر عدد ممكن من الحوادث التاريخية مع الاحتفاظ بأداة الاختصار في تفاصيل هذه الحوادث، فيقع اختياره أحياناً على بعض الحوادث ليطبق الاختصار عليها لحساب حوادث أخرى أطال فيها، فتتحقق في النهاية هذه الموازنة، فما كان من إطالة في خبر معين قابله اختصار في موضع آخر، وقد كانت معركة عمورية –على ما يبدو– من الحوادث التي كان نصيبها عند ابن كثير الاختصار.

---

[١] : الكامل: ٣٩/٦

[٢] : نفسه: ٤٠/٦.

[٣] : نفسه: ٤١/٦.

والذي قد يميز نص ابن كثير عن غيره من النصوص محل الدراسة هو التركيز في المعلومة المطروحة، فقد جاءت الألفاظ عنده مركزة، فلا تستطيع إسقاط أي عبارة أو كلمة من النص دون أن يسقط معها فائدة رئيسة ترتبط بأحداث عمورية. إضافة إلى ذلك كانت لغته سهلة وقريبة من أذهان أبناء هذا العصر؛ ولعله السبب في ذلك يرجع إلى كونه من أواخر كتب التاريخ المطولة التي وصلتنا، فكانت الأمور أمامه ناضجة وتامة في ضوء ملكة لغوية سخرها في ذلك.

٢- المباني النحوية:

إن عالما بجلالة قدر ابن كثير ليعرف تمام المعرفة كيف يوظف المباني النحوية في النص التوظيف النافع، فقد أراد لها أن تكون بسيطة وميسرة وقريبة من الأذهان، بعيدة عن التكلف والتعقيد، فكانت كذلك، إذ جاءت هذه المباني منوعة على المستويين الخارجي والداخلي، مع ملاحظة تفوق الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، وغلبت استخدام الفعل الماضي على غيره من الأفعال. وفيما يأتي بعض الامثلة[١]:

الجملة الفعلية:

- "فوافاه الافشين". (فعل لازم + فاعل ظاهر)
- "فسره ذلك". (فعل + مفعول "ضمير متصل" + فاعل "اسم إشارة")
- "فتقاربا". (فعل + فاعل "ضمير متصل")
- "وسار إلى عمورية". (فعل + جار ومجرور "متعلق به")
- "لم يجهزه أحد كان قبله". (فعل سبق بجازم + فاعل)
- "أن يجعل لجيشه ميمنة". (فعل سبق بناصب + فاعل "مستتر")
- "وكان بينها وبين مدينة انقرة سبع مراحل". (فعل ناسخ + خبره مقدم + اسمه مؤخر)

الجملة الاسمية:

"وهو قريب". (مبتدأ "ضمير ظاهر" + خبره)

"وذاك في رجب". (مبتدأ "اسم إشارة" + خبره "شبه جملة")

" فالميمنة عليها الأفشين". (مبتدأ + خبره "جملة اسمية")

"أن بقية الجيش قد شردوا". (حرف ناسخ + اسمه + خبره "فعليه")

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤.

"فأول من وصل إليها من الجيش اثنان". (خبر متقدم + إضافات + مبتدأ مؤخر)

٣- ألفاظ الرواية التاريخية:

الأسلوب الذي اعتمده ابن كثير لرواية الأحداث والوقائع التاريخية التي أرخ لها قلل من مساحة وجود (ألفاظ الرواية التاريخية) عند حديثه عن معركة عمورية، وهذا ما يؤكده خلو النص من أي من تلك الألفاظ. وقد كان لخلو النص من (ألفاظ الرواية التاريخية) أثره الواضح على لغة النص، فلو أن المؤلف اعتمد سرد الروايات التاريخية المتعلقة بالمعركة بنصها كما رواها الرواة لكان في ذلك شيء من الإطالة والتعسير؛ لكون هذه الرواية صيغت في أزمان غابرة، فكان من المؤكد أن لغتها لا توافق لغة عصر ابن كثير والتي كانت أكثر نمواً وتطوراً من لغة عصر الرواة السابقين، أضف إلى ذلك أنها ستحد من لمسة الكاتب في النص؛ لأنه سيضطر لسردها بأسلوب ناظمها وفي ذلك تحجيم وحد من أسلوبه الشخصي، ولكن ابن كثير تجاوز كل هذا حينما اعتمد رواية هذه الاحداث بأسلوبه وصياغته الخاصة دون عزوها بأسانيد ثقيلة إلى رواتها.

٤- معجم الآلة الحربية:

لسنا بحاجة هنا إلى سرد أسباب ورود ألفاظ (المعجم الحربي) في النص؛ لأن ما ذكرناه في المباحث السابقة يغنينا عن ذلك، لكنني أورد لكم بعض ما جاء في النص من ألفاظ هذا المعجم: ("الجين"، "العسكر"، "الميمنة"، "دبابات"، "السلالم"، "الخندق"، "قتل"، "حرقوه"، "المجانيق"، "الحصون"، "الأبراج"، "السور"، "المسير")[١].

٥- الأعلام والألقاب والكنى:

بدت آثار رغبة المؤلف في الاختصار واضحة عبر التقنين الشديد في ذكر الأعلام والألقاب والكنى، فقد كان ورودها في النص بشكل مركز دون تكرار، وإذا اضطر إلى تكرار اسم أو لقب كرره بقدر حاجة السياق. أما الكنى فقد خلت ساحة النص تماماً منها. وفيما يأتي بعض الأمثلة من النص:

("المعتصم"، "الأفشين"، "الخليفة"، "ملك الروم"، "أمير المؤمنين"، "مناطس")[٢].

---

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

[٢] : نفسه.

ويلاحظ هنا أن العلم الاخير "مناطس" قد ضبطه المؤرخون السابقون بـــ"يـــاطس"، ولا أدري إن كان ما جاء عند ابن كثير يعد من أخطاء الطباعة أم أنه تـــصحيف فـــي التحقيق، لا سيما وأن الاسم تكرر مرتين في النص بهذا الشكل.

٦- الوصف الخرائطي:

تميز الوصف الخرائطي عند ابن كثير بالتركيز والتقنين، فلم يطلق لنفسه العنان فـــي وصف كل بقعة من بقاع المعركة أو المسير إليها، بل وصف ما اعتقد أن القراء بحاجة إلى معرفته. ومن أمثلته في النص:

("فتقاربا حتى كان بين الجيشين أربعة فراسخ"، "ودخل الأفشين بلاد الروم مـــن ناحيـــة أخرى")[١]، ويلاحظ هنا أن ابن كثير قال "من ناحية أخرى" دون اللجوء إلـــى تحديـــدها؛ لتقديره عدم أهمية معرفة القارئ لهذه الناحية وعـــدم ترتـــب أي شـــيء علـــى فقـــدان معرفتها. وقد استعان في (وصفه الخرائطي) بظروف الزمان، وأدوات القياس، وغيرها مما أشرنا إليه من الأدوات في المباحث السابقة. كما ورد عنده ضبط اسم نهـــر خلافـــا لما ضبطه عليه المؤرخون قبله فجاء عنده باسم نهر "اللسى"، فيما سماه من سبقه نهـــر "اللمس".

[١] : البداية والنهاية: ١٠/٣١٤-٣١٥.

نتائج الدراسة:

مما سبق عرضه ومناقشته من مباحث يمكننا أن نستخلص عدد من النتائج نختم بها هذه الدراسة:

١- تميزت لغة الخطاب التاريخي بالسهولة والبساطة والبعد عن الزخرفة القولية والتعقيد، كما تميزت بأنها لغة مباشرة يحكمها الأسلوب السردي والروائي.

٢- على مستوى المباني النحوية تميزت لغة الخطاب التاريخي بعلاقتها الوطيدة مع الجملة الفعلية على حساب الجملة الاسمية، كما سجل الفعل الماضي حضوراً لافتاً على حساب بقية الأفعال الأخرى.

٣- يتوقف التعامل مع ألفاظ الرواية –ذكرا أو تجاهلا– في لغة الخطاب التاريخي على المنهجية التي يعتمدها المؤلف في مصنفه.

٤- معجم الآلة الحربية شكل حيزاً في كثير من نصوص لغة الخطاب التاريخي، لا سيما تلك التي تؤرخ للمعارك والحروب.

٥- يكثر في لغة الخطاب التاريخي إيراد الأعلام والألقاب والكنى لارتباطها بالأحداث التي يتناولها المؤرخون.

٦- تشترك لغة الخطاب التاريخي في كثير من مواضعها مع اللغة الجغرافية فيما يتعلق بالوصف الخرائطي، وذلك عبر استخدام عدد من الأدوات أهمها ظروف المكان، وأدوات القياس، وأسماء الجهات.

المراجع:

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨.
- همامي، د. عبد النبي، النظم بين نحو القواعد ونحو المباني، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة، السنة ٥، العدد ١٣، أبريل ٢٠٠٧.
- جمال الدين، د. السيد مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥.
- حويت، وفاء عباس حسن، دلالة الفعل على الزمن (دراسة نحوية تحليلية) من خلال ديوان النابغة الذبياني، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٧، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٩.
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.
- الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١.
- الجندي، الدكتور علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الجامعة العربية، بيروت.
- اللوقة، ناظم خليل، ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية)، جامعة الأزهر (غزة)، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- عبوة، زينة عبد الرحيم، معجم ألفاظ الحرف والمهن التقليدية في نابلس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠١١.
- المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.
- يوسف، أحمد، النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥.
- خليل، الدكتور إبراهيم محمود، في اللّسانيّات ونحو النّصّ، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩.
- جنتي فر، محمد، تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، السنة الثانية، العدد السابع، أيلول ٢٠١٢.

- عمايرة، د. حنان إسماعيل، تراكيب لغوية بين الالتزام المعياري والتطور اللغوي (مثل من تاريخ الأمم والملوك للطبري)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد التاسع، العدد الثالث، تموز ٢٠١٣.
- العنبر، عبد الله العنبر، القراءة النقدية في ظل النظرية الأسلوبية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤١، ملحق ٢، ٢٠١٤.
- العنبر، عبد الله، المناهج الأسلوبية والنظريات النصية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٤، ٢٠١٦.
- أحمد، علي زواري. وبلخضر، أحمد، منهج التحليل الأسلوبي وإشكالية التطبيق، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الحادي عشر، مايو ٢٠١٧.
- حاج علي، عبد الرحمن، أثر المفاهيم الأسلوبية المعاصرة في القراءة النقدية للنصوص التراثية، مجلة آداب ذي قار، العدد ٢٢، ٢٠١٧.
- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.
- مصلوح، الدكتور سعد، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية (آفاق جديدة)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٠.
- أنيس، الدكتور إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- نهر، الدكتور هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١.
- ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: علي شيري، ١٩٨٨.